

ديوان أسامة بن منقذ

حققه وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢٥٥ هـ

ديوان

أسامة بن منقذ

الطبعة الثانية

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقية : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



مقدمة الذكر أحمد أحمد بدوي

(١)

في يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يولييه سنة ١٩٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، في أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهي مدينة في الشمال الغربي لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربي الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن ، الصيد في النهار ، ونسخ كتاب الله في الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينأه عن أن يمضي إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها في الدار ميته ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصصره منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه في رياضته المفضلة عنده ، وهي الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعدّ للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن ماثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومثور ، وما اقتبس من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجرى إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساندة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بني منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أثيرا لدى عمه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابنا له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وجرأة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين ؛ دفاعا عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه . خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يثول الملك إليه دونهم ، فضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيقى داهم الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس وطنه الأتول شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وأن ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ؛ فقتلتوا في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فأنهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ، وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها : معين الدين أنر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نجح أسامة في ذلك ، نجاحا رفعا مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكن المقام لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين أنر يعاتبه فيها — أن السر في نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون إلى معين الدين ، صدقها ، فأنحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميرى : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أم
هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الورى علم
تضييع واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، وانخدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
ولا اعتقدت الذي بيني وبينك من ود ، وإن أ جلب الأعداء ، ينصرم
لكن ثقاتك مازالوا بغشهم « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
والله مانصحو . لما استشترتهم وكلهم ذو هوى في الرأي متهم
كم حرقوا من مقال في سفارتهم وكلهم سعيوا بفساد . ضل سعيهم
ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
كان يضمّر في قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد هذا
العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشتلى ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالني من يؤسه نعم
ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها في جمادى الثانية
سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله .
وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام . وأقطعه
إقطاعا ، عاش به في رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة في أول
الأمر أن يزج بنفسه في الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولي الظافر ألقى
بنفسه في خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك في المؤامرات
التي انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
وبين الوزير المصري الجديد : طلائع بن رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فنهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصري طلائع قصائد يحثه بها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثمر ثمرتها ، ولم يصغ نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شنها نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها ، فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين ، قضاها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، ففضى إلى حصن كيناء ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف . وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، ففضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلوات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآتسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلم به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوبا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤ هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨ م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ - كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hratwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصور الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدون ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصور طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويحوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقبحة الكتاب في أن ما رواه من حوادث تاريخية ومعارك ، تتجلى بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ، ولذا كان من أهم منابع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتب مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، يتحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموجز البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تحدثت عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر . وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعدناه للنشر .

٥ - كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، في أثناء إقامته في حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل ، والديار ، والأطلال ، والربع ، والدمن ، والرسم ، وغيرها . والمتحف الآسيوي ببلنجراد نسخة منه .

٦ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي .

٧ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي أيضا .
والكتابان مخطوطان بدار الكتب .

٨ - تاريخ القلاع والحصون .

٩ - أخبار النساء .

١٠ - التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرا من الفريقين .

١١ - التجائر المربحة ، والمساعي المنجحة .

١٢ - النوم والأحلام .

١٣ - الشيب والشباب .

١٤ - التأمي والتسلي .

١٥ - ذيل يتيمة الدهر .

١٦ - أخبار النساء .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا ، ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تكريدة القصر ، والروضتين ، في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوبا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر متفرق في الكتب ، وسنلحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وآخر لشكوى الفراق ، وغيرهما للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء ، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ، رغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو ، حتى لقد قال :

ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيعي يطيعني ، حين أدعوه ، وأعصيه
يهمُّ أن يذكر القوم الأسماء بما فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الغنى وإن جنى . ولاذكر ذى نقص بما فيه

(١) محفوظة بالدار تحت رقم ١٦٨٧٧ ز .

وفى ذلك مسحة من ترفع الإمارة التى تحول بينه وبين النزول إلى مستوى
التشائم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة
الواحدة ، فيضع غزلها مثلاً فى باب الغزل ، ومديحها أو نغرها فى باب المديح
أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته
فى تتبع الدراسة الفنية ، لكل فن من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة
تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذى
توحى به ، وإدراك مدى الصلة التى تربط بين عناصرها .

ويبدو ، لأول ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدقن كل ما قاله من الشعر ،
لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه ، لحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما رددتُ فى شعرى النظر بان ضعف العى فيه ، وظهر
ليس يرضينى ، ولا يمكنتنى بجد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجيل الفكر فى تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى ما فيه من عيب ستر

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى ، كان يبغي أن يصل إليه مستوى
شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره فى تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم
والتنقيح ، حتى ظهر شعره فى هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر
الفحول ، الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهرًا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجرى

وراء محسن لفظي، من غير أن يكون في البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فليدبه ما يقوله، في أسلوب قوي، وعبارة رصينة.

وتتدفق خواطر أسامة في قصيدته، ويرتبط بعضها ببعض، حتى يصبح البيت لبنة، في بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلاً قوله:

لا تجزعنْ نلطب فكلّ دهرك خطب
وحادثات الليالي مملّة، ما تغب
تروح سلماً، وتغدو على الفتى، وهي حرب
ولا تضق باصطبار ذرعا، إذا اشتدّ كرب
فصبر يومك مرّة وفي غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم فأدر كوا ما أحبوا
وكلّ نار حريق يخشى لظاها ستخبو

ترفيه التحام الخواطر وتسلسلها، ولا تجد ذلك في مقطوعاته القصيرة فحسب، بل في قصائده الطويلة أيضاً، حتى ليخيل إليك أحياناً أنك تقرأ قطعة مثورة، لا قصيدة منظومة. ويطول نفس أسامة أحياناً حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتاً، كتلك التي كتبها على لسان نور الدين، يعدّد فيها وقائعه مع الفرنج.

وينهج أسامة في كثير من الأحيان المنهج التقليدي، فيبدأ قصائده بالغزل حين يفتخر، أو يمدح، أو يشكو، وحيناً يبدأ موضوعه من غير مقدّمة غزلية،

كهذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقي الفريخ وهزمهم ،
فقال أسامة .

كل يوم فتح مبین ، ونصر . واعتلاء على الأعادی ، وقهر
ومضى في قصيدته .

ولكثر ما اطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمته بعض قصائده . حتى
قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى
التضمين ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولى شكية ، أنت فيها « الخضم والحكم »
وما ظننك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »

وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : واحر قلباه ممن قلبه شيم .
أما قصيدة أسامة التي مطاعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهى عليه ، ولا أمر
فقد ضمها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي صخر
الهلدي ، وغيرهم . وليس التضمين بكثير في شعر أسامة . وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلبس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا
نادرا ، وليس في باب الملاح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الإمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاحترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا ، وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره ، وصوّر
آثارها في نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه ،
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول : شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته ،
وملاعب صباه ، وملاهي شببته . وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن ،
ثمنا لا يطقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر الحنّ ، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهمّ ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليك هما ضاق عن كتمان صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهمّ ، أقرىها الكرى وتلظّ بي صبحا ، فاستفرق

ويأتيه بأنه قد صم على فراق دار الهون ، ما دام الحقد عليه قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعني وقطع الأرض ، دون معاشر كلّ على ، لغير جرم ، مُحَقَّق

تغلى على صدورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فبئست من إدراكه ، ما التجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشى على ، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفوني فالأبعد أرفق
وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

أأسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذا أسامة
هيئات ، لا ترضى المعأ لى صاحباً يرضى اهتضامه

وألقى أسامة بنفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التى لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبى من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لقي
وناظر قرحت أجفانه ، أسفا عليك ، فى لحظة من دمعه غرق
وبعد ما بى ، فاشفاق يهددنى بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قد رانت عليه ، من الواشين بى ، جفوة يهماء ، كالغسق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعدك عن عبنى ، وفرقة إخوان الصبا الصدق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الدلق
أغشى الوغى مفردا من أسرتى، وهم هم إذا الخليل خاضت لجة العلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كيسى ولا حمى
وكان موقفه من دمشق حين نبت به ، كوقفه من وطنه الأول ، فارقتها ،
غير راض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البزاة سواء فيه والرخم
تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر، ملؤها ندم
أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
الملك والسلطان ما صح أن يقول معه :

خمسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كأتى كنت عنها غائبا
وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كلّها وتجاربا
شاهدت من لعب الزمان بأهله وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا
ولعلّ الأزمات السياسية التى مرّت به فى مصر، كانت عملا صدره بالهم حيناً،
والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى، ولا فيك أوطانى وأوطارى
لكن إذا حمت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حيناً إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض لحة السنياسة — وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يريجي الـ آمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ما خولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كأتني في منام زال منه ما سر ، عند انتباهي

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقها ، وكان يتمنى أن يلي

دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعوه فيها إلى العودة

والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلاً ، أيقن رأى الملك الصالح فيما أتهم

به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يبرئ أسامة براءة تامة من هذا

الإثم ، ويراه نقي الصفحة ، طاهر اليدين ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعوه

إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه قد نال بالغدر من بني نبي الهدى ما لم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل جرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والغا كالكلب ظلما وحزبه دماءهم ، لاحاطه الله من حزب

ويا ليت لو كان فيه من الوفا لمالكه بعض الذي هو في الكاب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دتوه يحاذر أن تدنو الصالح من الحرب

كان لكثرة الترحال أثره في شعر أسامة ، فكثيرا ما شكا الفرقة والافتراق ،
وكثرة جوبه البلاد . وتحس في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن
المفارق ، والآل الغائبين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترباً ناءً عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقر جيادى في معرسها حتى أروّعها بالشّد والظعن
ويقول :

أين السرور من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطن ولا خلائ
عيد البرية موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشّمل الجميع تراحت في قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرحيل الدائم . مصدر ألم لأسامة ، يؤزق حياته ، وينغص
عليه عيشه . وكان له أثره في مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدّد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل
الظافر . وغرق بعضها في البحر عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ
من نفسه . وأثره القوي في شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح . وطلب منه
المعونة . فقال له :

أنا أشكو إليك دهرًا لحى عو دى . وأعره ، فهو يبس سليب
وخطوبًا رمى بها حادث الدهر سوادى وكلهن مصيب

أذهبت تالدى وطارفى الطارى ، فضاع المورثُ والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق فكى ، وذا منهوب

ويظهر أنَّ الفقر قد عضه بنابه حيناً من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون اليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكن مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤلمه فى حالة السرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
أخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

متى رآنى الشامتون ضرعاً لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل برزنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحاً للنوال والندى

فإذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . ورغم
ما كان بينه وبينهم : من إحنٍ وبغضاء ، عزَّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوعاً لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمن ، وإذا أفردت بالرزة ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قوى فى هلاكهم ولا تخرمهم مثنى ووحداً

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا أخوا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظنَّ به ظانٌّ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعلَّ من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جرّاه ، دارانا
يقول بالظنِّ إذ لم يدر ما خلقى ولا محافظتى من حان أو باننا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضغانا
وما درى أنّ فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجفان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دعى دمهم وإن أرونى مناواة وشتانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتّى ، حين ألقى الخطب عريانا
وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت مئوى قبورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلىن تحت الثرى ، عفوا وغفرانا
ولما علت سنّ أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، فحينما يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف ،
فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشى الأسير مثقلا بالكبل ، وحينا يأسف على أنه لم ينل في شببته ، من المتع
والملاذ . ما كان جديرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزما ن ليلى نهارا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكّل سرور قرارا
فوجدى أئى فارقته ولم أبلّ ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ،
فوجد اليتيم ينتظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجلبة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون مخبرها أن سوف تيم عن قرب ، وتنعانى
وهى الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تتمرى دمعى وأحزاني

وصور لنا أسامة نفسه محنيا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وئرا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيّد
بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعى إلى الحرب
وكنت إن توب داعى الوغى لبيتته بالطعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلىن والأوطان . والأتراب ماتوا

ولبس عيش المرء قارقه الأحبة واللذات
فإلام أشقى بالبقا ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة محمد ،
وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه محمد - قوية وثيقة ، يضمرا لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعنى أكبر ما يعنى ، بأن يكون راضيا عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدي عنهم برضاك لي إن الذي ترضى عليه موقف
حتى إذا أثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد ينشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أن تغيرا ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالي وللشفعاء فيما أرتجى من حسن رأيك في ، وهو شفيعي
أعذبت لي من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعي
وبك اعتليت ، وطلت من ساميته نخرا بمجدك لا بحسن صنيعي
وقضى ببعدي عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعي

وكتب مرة إليه من مقتربه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق ممّا أنت فى ملاقى

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أتظنّ أتى بعد بعدك باقى أبجى عن الأشواق بالأشواق
أأبا المظفر ، دعوة تشفى الظما منى ، وإن أضحى بها إحراق
لم أستكن أبدا لخطب نازل إلا لبعذك فهو غير مطاق
فاذا أطعت الوجد فىك أطاعنى قلبى ، ويبدى إن عصبت شقاقى
فاذا ذكرتك خلت أتى شارب ثمل سقاه من المدامة ساقى

ولعلّ والده رأى هذه القصيدة غير مبينة عما يضره قلبه لولده من لاجع
الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولما شئت لإخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعتبى ، وصادق الحب والمودة ،
وحدث أن أخاه مجدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيزر من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسراخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أنحى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمي

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعل خير ما يصور موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مالت عتابهم ، ويئت منهم فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم فؤادي كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا كأني ما سمعت ، ولا رأيت
تجنوا لي ذنوبا ما جتها يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا كما قد أظهوره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدا ، وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت النقرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكل هذا يدلنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حب يضمه لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظللهم جميعا الود والوئام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكاد ألمس في شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزيك ،
 ودارين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكن بين قليهما ،
 وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
 إلى مصر حينا ، وتعتب عليه لإثارة البعد عنها حينا آخر ، وتأخذ عليه أحيانا
 أنه مقل في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيرا ما حدثه الصالح عما قام به من
 حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
 على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
 في حياته ، وكان الصالح معجبا بمواهب أسامة في الحرب والسلم ، يرى فيه
 محاربا شجاعا ، وشاعرا مفلقا ، وخطيبا بارعا ، وحكيما في إبداء الرأي صائبا ،
 يقول له :

وجهادُ العدوِّ بالفعل والقو ل ، على كل مسلم ، مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
 أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
 وإذا ما حرّضت فالتشاعر المفلق فيما تقوله والخطيب
 وإذا ما أشرت فالحرزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
 لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن
يجمعها معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تنشت وحدتهم، ولا يستطيعوا
الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشيهما ،
ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمتا لك ، بازال يدرك المطلوب
والق عنا رسالة عند نور الدين ما في إلقاتها ما يريب
قصدا أن يكون متا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرقيب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغيوث مال صيب

فهو يعد بالجيش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
كفيل بأن يلقي بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو ان نور الدين يجعل فعانا فيهم مثالا
ويسير الأجناد جهرا ، كي تنازلهم نزالا
ونفى لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
لأيت للافرنج طرا في معاقلة اعقالا
وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا القملا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المفوه المقبول
فرأى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى المالكين معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ، ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس : من محن على أيدي الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان الصالح يره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة يجذ غضاضة فى سؤال الصالح ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالبحور فى ، ولم يزل يحور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوائبه عودى ، وأنفد مو جودى ، وشئت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرتبجا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أهنى نوالا تنيله وتثيب
جاءنى والبعاد دونى ، كما جا بت فيافى البلاد ريج هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقم المسترفد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنر حاكم دمشق، عندما كان فى كنفه،
وبعد أن فارقه وجاء إلى مصر، يثنى عليه بالجود الذى تعبده فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثنى عليه ببلائه فى حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فل غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الإسلام ياسيفه الخدم عزاً ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبى الفتوح وزير الظاهر، وابنه نصراً على نعمه
وما أولاه من الفضل والكرامة . وفى ديوانه قصيدة ، لا أدرى لمن وجهها ،
مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه فى نور الدين محمود :

فهو المحامى عن بلاد الشام جمعا أن تذالا
وميد أملاك الفر نج وجمعهم حالا فخالا
ملك يتيه الدهر والدنيا بدولته اختيالا
فإذا بدا للناظرين رأت عيونهم الكمالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلائها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباهج الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وشأنه وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نفخه في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما طلق الحيا ، ووجه الموت قد كلبها
بصارم من رآه في قتام وغى أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أغدو لنار الوغى في الحرب ، إن محمدت بالمبيض في البيض والهجمات مقتدحا
فسل كماة الوغى غنى ؛ لتعلم كم كرب كشفت ، وكم ضيق بي انفسحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبدية في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يحسبوا في السلم منزلتي من العز المنيف
فبما أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فطالما أقدمت أقدام الخوف على الخوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكروه وأحداث الزمان .

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فلا سرور غاية ينتهي إليها ، ولا أحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال ، فمن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام ، فإن الشدائد إذا كانت ستنتفضي وتزول ، فمن العبث أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفّض عليك ، فلامور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

اللق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إنّ هذه النظرة تنتهي بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا التمر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مسترجعا تزر المواهب والعطايا

متغابر الأحوال مختلف الضرائب والسجايا
 لا نعمة فيه تدوم ، ولا تدوم به البلايا
 لم أغتبط فيه بفا ندة ولم أحش الرزايا

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطبر فإن الليالى بالخطوب حوامل
 فكل الذى يأتى به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
 وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى ينقضى فحسب ، ولكنه الطريق
 إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأواً العلاء سبقاً وتبريزاً
 وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
 واثق من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقنط ، فأيا أس ما تكون يأتيك لطف الله بالفرج
 ثق بالذى يسمع النجوى ، وينجى من السبلوى ، ويستنقذ الفرقى من اللجج
 وإذا كان كل شيء فى هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
 فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغتم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحت إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإيثار العيش في محمول وهدوء :
ارض المحول ، تعش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم ، وقلق لا يهدأ :
لا تقربن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
فإن أبوابه كالبحر ، راكبه مروع القلب ، يخشى دهره الغرقا
وأسماء ممن يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدين بالخط ، ويرى الرزق مقسوما ،
لا حيلة في تبديله :

فؤض الأمر راضيا جف بالكائن القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كاحم على وضم
وافتنار القوى تر هبه الأسد في الأجم
أن للخلق خالقا لا مرء لما حكم
ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهدون فيها إلا متكلفين
مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسماء في ديوانه بابا للزئاء ، خصّ جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :
عتيق كأللال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول إذا به الأتراب حفوا : أهذا البدر ما بين النجوم

وأكاد ألمس في تشبيهِه بالهلّال يبدو لسارى اللّيل ، أنّه كان أملاً لأبيه ،
 طالما تمنّاه ، ليكون رفيقاً لولده الآخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لذعة ألم
 في قلبه ، أمضته ففضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا سِماً أنّه نكب به
 وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عنده في خلف يأتي به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فؤاده الدائم بابنه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كيف اصطبارى ؟ ! ما عنك صبرى جميل
 أنت ، حيث أتجهت ، فى أسودى عيى سنى وقلبي ، عثّـل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك ، والأشجان تمنعنى أن أهتدى لطريق حيث أنصرف
 فما أرى غير أحجار منضّدة قد احتوتك ، ومأوى الدّرة الصّدف
 فأنثنى ، لست أدرى أين منقلبي كأننى حائر فى اللّيل معتسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
 ويتوجع لمصيرهم ، بل أثار فيه الألم لحياته القلقة المشردة ، التى لا تأوى إلى وطن :

رمتنى فى عشر الثمانين نكبة من الثكل بودى حملها من له عشر
 على حين أفنى الدهر قوى ، ولم تزل لهم ذروة العلياء ، والعدد الذّر
 فلم يبق إلّا ذكرهم وتأسفى عليهم ، ولن يبقى التأسف والذكر
 وأصبحت لا آل يلبون دعوى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
 كائن من غير التراب ، فليس لى

من الأرض ذات العرض ، دون الورى . شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقبي أمرها - لا تستحق عناء طلبها ، ولا التعب
في جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس في غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التي تشعرنا بقلب دله الحب ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتبين له إحساسا تفرد به ، أو لمحات امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحب ، بل أرجح أنه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كله ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليهم في وصف عواطف
الحب ، ومما يلحظ على غزله أنه شاك حزين ، لاتكاد تلمح فيه ابتسامة سرور،
وقد يرقّ أسامة أحيانا ، ويتخذ أوزانا مرقصة ، وتحسّ ببعض نبضات الحياة
في غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفوني من كراها
والذى أوهم عيني أنّ في النوم قذاها :
يا ملولا ، قلما استرعى عهدا فرعاها
يا ظلوما ، كلما استعطفته ، صدّ وتاها
زدت في تيهك ، والشئ إذا زاد تنهى
تنقضى دولة الحسن ، وإن طال مداها
راحتى لو سمع الشكوى إليه ووعاها

غير أَنَّ الصَّم لا تسمع دعوى من دعاها
وهو لو نادى عظامى رمة لبي صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :

ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلّموا فليتهم حكوا فينا بما علّموا
ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بى إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهداً، ولا اطلّعت على ودائعهم فى صدرى التّهم
وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ؛ لو قيل لى : ما ذا تحبّ؟ وما منك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
هم مجال الكرى من مقلّتى ، ومن قلبى محلّ المنى، جاروا ، أو اجترموا
وهاك من غزله فى قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرّفا فعاد ينكر ممّا كلّ ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستلّ الضّغائن
من القلوب ، تشعّر فيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمّه يستعطفه :

هبنى أتيت بجهل ما قدفت به فأين حلمك ، والفضل الذى عرفا

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يبرّفيا أتى ، إن قال ، أو حلّفا

ما حدّثني نفسي عند خلوتها بما تعنّفني فيه إذا انكشفا

وبعد فشعر أسامة من النوع الجزل الفخم ، لا سكاّد تجد فيه من الهنات

إلا ما يعدّ ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جدّدوا

شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوّة والجلال .

أحمد أحمد بدوي

مقدمة

حامد عبد المجيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، عني بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجيل قلبه في أرجائه بالحو حينا والتعديل حينا آخر ، وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لكبار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلسم أسباب الإجابة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ؛ وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، مغتبطين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجابة والاتقان .

وقد عني أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبو أدبه ، وراه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما راقه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختار له العماد الأصفهاني في خريدته ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزبير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين ؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العماد الكاتب قال ^(١) : "لزمت خدمة السلطان (صلاح الدين) ، أرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ؛ وكنت ليلة عنده ، وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسنت قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين مامنهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمد خصب خاطره من مرزها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروقت معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ؛ التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أو زينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا

راجع الديوان ص ٧٨ و ١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم، وقد تجلّت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة ، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه .لباب الآداب وسواه . فقد كان الرجل واسع الاطلاع؛ معدودا من علماء عصره و كبار مثقفيه ، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين ، وأن اقتبس منهم حيناً ، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر ، فثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه .

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسمائهم : المهذب بن الزبير وأخاه ، وطلائع بن رزيك ، وعمارة اليمنى ، والعماد الأصفهاني . ولعل سرفوقه — فضلاً عن ثقافته الأدبية الواسعة التي تحدثنا عنها — أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به في الحياة من تجاربه الشخصية ، فكان لحياة التجربة في نفسه أثرها في قوة شعره .

ولقد هيا له طول العمر لإنتاجاً غزيراً في الشعر، جمعه في ديوان كبير . ولسنا ندري متى جمع أسامه ديوانه ، وأغلب الظن أنه قام بجمعه في أنحريات أيامه ؛ ففيه شعره الذي قاله في شيخوخته . ويحوى الديوان معظم شعر أسامه ، فلم نعثر في مراجعه المختلفة إلا على النادر الذي لم يرد في الديوان .

ولما كان أسامة هو الذي قام بجمع ديوانه ، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائى المعروفة في عصره ، ورأى أن يجزئ القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة ، أجزاء يضع كل جزء في الباب الذى يناسبه — فقد احترمنا النهج الذى ارتضاه أسامة لديوانه ، وأشرنا كلما أمكنا ذلك — إلى باقى أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، ليتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ، ومنهجه في تأليف قريضه ، وطريقته في التخلص من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائى ، من غزل ، ومدح ، ووصف ، ورتاء ، وغيرها ، مبتدئاً بالغزل ، ولعل بدؤه الأبواب بالغزل ، لما للغزل من صلة بكل قالب ، ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءاً تقليدياً بالغزل ، فرجح ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفى المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره فى كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من غير أن يستغرق هذه الحروف فى كل باب ، كما كان مقلاً فى القوافى القليلة الاستعمال كالثناء والذال .

أحسن أسامة فى ترتيب ديوانه على الوضع الذى ارتضاه لإذاعة شعره فى الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجاً آخر فى ترتيب ديوان ؟

لاريب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التى لا تنكر ، من خلق جق واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر وطريقته ومنهجه فى كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذى نفضله فى ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخى الذى يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، منذ بدأ الشاعر يقرض الشعر إلى اليوم الذى صمت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخى هو الذى يبين فى وضوح عن تطور فن الشاعر من الحداثة إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر فى كل أدوار حياته ، مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه ، كلما تقدم به العمر ، إذ الشعر
صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها
النوازع ، وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة - وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب
الأغراض - في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنشائها ، والظروف التي
أحاطت بها ، لنعرف الجو الذي أحاط به عندما قرضها .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر
سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة
ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر
الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، كحريدة القصر ، ومسالك الأبصار ،
والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه
المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لكيلا ندع بين القارئ
والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهارس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان
وقصائده ، كما رقمنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر
أسامة ونقده

حامد عبد المجيد

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثَقِيَ بِاللَّهِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين ، وأصحابه البررة المتقين ، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أقالك الله صفقة الندم ، وأقلك من زلة القدم ، وعاذك من خطإ المقال
واجترأه ، وحصائد اللسان وجراحه ، ولأجعلك ممن إذا قال ، ندم واستقال ،
فأني [كلفت^(١)] بنظم الشعر في غرة [العمر^(٢)] أظنه من المآثر والمناقب ،
[وأعده من الذخائر^(٣)] للعواقب .

فلما علت سني ، وانجلت جاهلية باطلي عني ، ووضح لي أن الشعر لهو وهون ،
وأن الشعراء يتبعهم الغاؤون ، أكبرت خطي وأعظمته ، وندمت على تفريطي
فيا نظمته . على أني بحمد الله ما فُهِتُ بِرَفَثٍ ولا هُجَاءٍ ، ولا مدحتُ لطمع
ولا رَجَاءٍ ، تنزهاً عن رَفَثِ المقال ، وترفعاً عن مِنَنِ الرِّجَالِ ، فحاولتُ أن أغسل
عني وَضْرَةً ، وأعني أثره ، فعصاني منه ما شاع ، ومُلِيتُ به الأفواه والأسماعُ ، فعدت
إلى تَقْلِيلِهِ وتَمَحْصِيهِ ، [ووقُتَ] بَتَنْخِيلِهِ وتَلْخِيصِهِ ، وفيه بعد ذلك عيوبٌ يشهد

(١) نكبة لسقط بالأصل بملها ييم المعنى .

(٢) » » » » يستقيم المعنى .

بها لإنصافي وإفراى ، وبشفع في سترها اعترافي واعتداری ، وأثبت في هذا
الجزء منه ما حصلت منه على الاختصار ، لا على الاختيار ، وفيه ما فيه ، مما
لا أنكره ولا أخفيه ، فظهوره قائل صدق وعدل ، وساتره أخو كرم وفضل ،
وأنا القائل :

كلما رددت في شعري النظر بأن ضعف العي فيه ، وظهر
ليس يرضيني ، ولا يمكنني بحدا ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجبل الفكر في قلبه فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى ما فيه من عيب ستر
وقد جعلته مشتملا على ستة أبواب :

الباب الأول - الغزل . وينظم في سلكه شكوى الفراق ، ووصف الحنين
والاشتياق ، ثم ما يجوز أن يلتحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات
الخلان ، وما يجذب هذا المعنى بأهدابه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - الملح .

الباب الرابع - المديح . ويتشبت به القول في الفخر المتضمن مآثر الإنسان
وخلاله ، ثم الحماسة الراجع معناها إلى التمدح بالشجاعة والبسالة

الباب الخامس - الأدب . ويتعلّق بسببه الأمثال ، وما يجري مجراها ،
أو يلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشيب والكبر ، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر .

الباب السادس - المراثي .

وكلُّ باب من هذه الأبواب المذكورة مرَّتْ على حروف المُعْجَم ، فصلاً
فصلاً ، ليقرب تناول ما يُقصد منه ، والله تعالى المستول في رحمةٍ توجب
الغفران ، وتكفّر جرائم الألسان ؛ إنّه جوادٌ منان .

باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبُهُمْ بِتَرْفُقٍ مَا أَصْحَبُوا^(١) وَتَجَافَى عَنْ تَعْنِيفِهِمْ إِنْ اذْذَبُوا
وَدَعَ الْعِنَابَ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ جَوْرَ الْمَلَالِ ، وَحَمَلُهُ صَعْبٌ ، وَلَكِنْ الْقَطِيعَةُ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ ، وَالْمَجْرُودُ وَهْ وَبَعْدُ التَّقَالِي^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا ، وَبَيْنَنَا كَمَا بَيْنَ عَيْنِ فِي التَّدَانِي وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنِي قَرَبٌ ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قُدْفٌ^(٦) أُنْعِثَ ظَهْوَرُ الرِّكَائِبِ
تَجَنَّبَنِي لِي الدَّنْبُ الَّذِي مَا جَنَّبَنِي وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعُذْرَةٍ تَأْنِبِ

(١) أصحب : اتقاد .

(٢) يقال تجرم على فلان أى ادعى ذنباً لم أفضله .

(٣) العني بالضم : الرضا . واستعنه : أعطاه العني ، كاعنه .

(٤) تقالوا : تناغضوا . وبينهم تقال .

(٥) السباب : جمع سبب ، كالسبابس جمع بسبس ، وهما المفازة .

(٦) نوى ونية وقلاة قذف ، محركة وبضمتين وكسبور : بعيدة .

وملّ ، فلو أهدي إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عائب
وضنّ ؛ فلو أنّ النسيم يطيعه لحنّني برد الصبا والحنائب^(١)
إذا رجعت بالياس منه مطامعي علقْتُ بأذيال الظنون الكواذب
وأعجبُ ما خبرته من صباي به ، والهوى مازال جمّ العجائب
حنّني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوق إلى من ليس عني بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائم إيماض بارقة خلوب؟!
وإلام ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟!
وأعلّل النفس العليلة فيك بالأمل الكذوب
وأقول : تصلحك الخطوب بـ ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعيين سلوة عن الحب ، لم يستحسن الظلم في الحب
وما بالله يلقى البريء من الضنى حريرة ما يأتي المسىء من الذنب
وكيف استمرّ الجحور فيه ، وأوجبت عقوبة ما تنجي العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سبيل إلى مطلع الثريا والجمع جناب .

(٢) الخلب : بالكسر : لحية رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو السكب .

(٥)

وقال :

قَرَّ إِذَا عَاتَبُهُ كَانَتْ قَطِيعَتُهُ جَوَابِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجْرِعُنِي مَرَارَاتِ الْعِتَابِ
كَمْ سَهَّلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصْلِهِ وَغَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُن هَذَا التَّلَوُّنُ فِي حِسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خِيَالُكَ الْمُتَابُ فَأَلَمَ ، وَهُوَ بُوْدُنَا مَرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خِيَالٍ زَائِرٍ مُتَعَتِّبٍ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٍ^(٤) كَالْبَدْرِ خَلْفَ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكَرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ بِجَوْرِهِ^(٥) يَقْضِي بَأَن يَنْهَاجِرَ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عِتَابُ
وَدَى كَعَهْدِكَ ، وَالْدِيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقَطَعَ الْأَسْبَابُ
ثَبْتُ ، فَلَا طَوْلَ الزَّيَارَةِ نَاقِصٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْيَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضا في الحريدة القصير ١ : ١٠٣ ، وياقوت ٥ : ٢٠٣ .

(٣) في الحريدة « متعيب » . والتعيب مخاطبة الإدلال . والإعتاب مصدر أعته : أعطاه العني وهي الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : دفع بهره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بئدوه » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الحريدة وياقوت يخالف ترتيب الديوان . والإغياب مصدر أغب إذا نجا .

(٧)

وقال :

نفسى بزهره دُنياها معذبةٌ فكيف حال من الدنيا تُعذبه
ومن سمّت لوصالِ الشمس همةً فغير مُستنكرٍ إن عَزَّ مطلبه

(٨)

وقال :

واعص اضطبارك إن تكفل أنه لك مُسعدٌ، فالهجرُ يُظهر حُوبه^(١)
وَيَحْسَبُ قَلْبِكَ ما به : من حُبهم فعلامٌ تَقْرَفُ بالصدود نُدوبه^(٢)

(٩)

وقال :

لَيْسَ طَرَفِي جَارًا لِقَلْبِي ، وَلَكِنْ دَمٌ هَذَا بَدَمِ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فِي تَبَايِنِ الْحَالِ : هَذَا أَبَدًا ظَاهِرٌ ، وَذَا مُحْجُوبٌ
وَإِطْرَفِي فِي كُلِّ نَهْجٍ مِنَ الْحُبِّ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِي الْمَحْجُوبُ^(٣)
وَسَهَامُ الْعَيُونِ أَخْفَى مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ تَدْبِي الْقُلُوبِ

(١) الحوب : الإثم .

(٢) قرف القرحة : قشرها . والندوب : جمع ندبة وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمحجوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه من نظمه :

أطع الهوى ، واغص المعائب واضدِف عن الواثي المراقب
وتغنى اللذات إن ممرها مر السحاب
وانظر إلى الأغصان حاملة شمساً في غياهب
من كل حاوٍ ، قد تكتفه نعاين الدواب
في وجهه ضدان ، كل منهما لب سالب :
نار بلا لَفْج تضرم ، وسط ماوٍ غير ذائب
هذى بقايا سحر با بل ، وهى من إحدى العجائب
خذار يا أسد الشرى من فتك ألحاظ الربارب^(٢)
غضبان أفديه على ما كان منه : من مغاضب^(٣)
دع ذا ، فاعذر الفقى في غيبه ، والفود شائب

(١١)

وقال :

من زين الأخوان الرطب بالشائب ونظم الدر بين الراج والحبيب
ومن ترى غرس الأغصان حاملة شمساً تردت دياجي الشعر في كُتب
وقل لِسَادِنِ آرام الكئاس : ألا فانظر إلى ملج في شادن العرب^(٤)

(١) هو طلائع بن رزيك (٤٩٥ - ٥٥٦) ولي وزارة الخليفة الفاطمي : الفاتح بنصر الله ، ثم وزارة العاضد

وكان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً ولوعاً بغزو الفرنج . (٢) الربوب : القطيع من بقر الوحش .

(٣) المناصب : جمع منصبية وهي ضد الرضا . (٤) شدن الظبي : قوى واستغنى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِحَدِّهِ بِلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرَ مُنْسَكَبٍ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنَ الْمَلَاَحَةِ لَا مِنْ أَسْهُمِ الْغَرْبِ^(١)
إِذَا رَمِينَ فَمَا دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْسَنَ ، مِنْ جُنِّ نَحْيٍ وَلَا جُجِبِ
كَانَتْ ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُنْحَفِي دِيَابِرُهُ عَنِّي سَبِيلَ النَّهْيِ وَالرُّشْدِ، مِنْ أُرْبَى
أُعْصَى النَّصِيحَةِ فِيهَا غَيْرَ مُعْتَذِرٍ وَأَرْكَبُ الْغَى عَمْدًا غَيْرَ مُتَنَبِّ^(٢)
وَأَحْمِلُ الضُّغْنَ فِي وَجْدِيهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحِلْمِ أَجْمَلِ بِي
حَتَّى إِذَا نَادَتْ السَّبْعِينَ : حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْآمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهْفَهْفٌ يُجْلُ بَدْرُ الدُّجَى فَإِنْ رَأَاهُ اكْتَنَى فِي السُّخْبِ
قَوَامُهُ يُزِرِّي ، إِذَا مَا انْتَنَى مِنْ لَيْنِهِ ، بِالْغُصْنِ الرُّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ ، تَعَالَى الَّذِي نَظَّمَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
أَلَامٌ فِيهِ ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجْرِ عَنْ لَوْمٍ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي ، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ ؟ !
هَجْرُكَ لِي ظَالِمًا ، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ ، يَا ظَالِمِي ، هُوَ الْعَجَبُ

(١) الغرب : شجر . (٢) اناب : نزي واستعجا .

يَدْعُو لِسَانِي، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي، يَجِبُ
وَبَعْدُ مَنْ لِي، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحِيفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثُرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبَ فِنْ الْعَنَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أَنْحَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقٍ فِي الْإِعَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي، فَتَحْسَبُهُ ارْعَوَى، وَلِذِكْرٍ مِنْ يَهْوَى أَصَاخَ، وَلَمْ يُصْخَ لِمَوْئِبِ
وَالْغَى مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشْدِهِ وَالْغَشَّ نُصْحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزّيك قصيدة أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشْ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنِ التَّصَابِيِ الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَأْتِي هَذِهِ الْقَبْصِيدَةُ بِتَمَامِهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،

فكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها^(٣) :

بَأْنِي تَخْصُصُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِيَانِي، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمَعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ الْوُجُودِ، إِنْ جَادَ غَيْثُهُ الْمُسْكُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ لِنَارِ شَوْقِي مَا بَيْنَ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) يعتب : يعطى الرضا . والمصحب : المقتاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باقي القصيدة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .

وكذا الصَّبُّ يَحْسُنُ الجُورُ فِي الحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَعْذُبُ التَّعْذِيبُ
 لَا يَهَابُ الْأَسْوَدَ فِي حَوْمَةِ الْحَرِّ ب ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرِّيبُ
 وَيُجَازِي عَنْ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِالْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا الْعَجِيبُ
 يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا ، فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْنِهِ الْقَضِيبُ الرَطِيبُ
 لَكَ قَلْبٌ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الصَّخْرِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
 وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَيِيبُ
 أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَايَ^(١) مِنْهُ الدَّاءُ ، يُرْدِي النُّفُوسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
 مَا لَدُنِّي يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَّيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
 وَلِأَهْلِ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلُ إِذَا دَعَوْتُ يُجِيبُ
 مَا ظَنَّنَا نَفْسَهُمْ بِانْصِدَاعِ الشَّمْلِ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطِيبُ

قَافِيَةُ الدَّاءِ

(١٦)

وقال :

يَا مُعْمِلَ الْأَمَالِ ، دَعْ خُدْعَ الْمَنَى فَاِلْيَاسُ يَنْهَضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَنَه
 مَرَضُ^(٢) فَوَادَكَ بِالسَّلْوِ ، لَعَلَّه مُتَيْسِّرٌ بَعْدَ النَّوَى إِنْ رُمَتْهُ
 فَمِنْ الْجَهَالَةِ أَنْ تُؤْمَلَ وَصَلَهُمْ بَدَ الْعِبَادِ ، وَفِي الدُّنُو حُرْمَتَه

(١) ابن سبراي هذا طبيب متقدم في صناعته ، كان يتول خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض الشراسة والحدة فلذلك كان الملك الصالح يبعث به ويدأبه مستدعيا لفرته وحده مع عليه فضله . (اه من هامش الديوان) .

(٢) التمريض : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

وَنَاقِلُ رَأْبُهُ ضَلَالِي عَنْ نَهْجِي ، وَالْحُبُّ مَالَهُ نَهْجٌ :
وَيَحْ بَنَى الْوَجْدِ كَمَا عُدَلُوا فِي خَوْضِهِمْ لِحَّةَ الْهَوَى لِحُوا
عَلَّكَ تَنْجُو مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِيَّاكَ عَنِي ، حَاشَى أَنْ أَنْجُو
أَنْظُرُ^(١) إِلَيْهَا ، وَلَا^(٢) نَظَرْتُ ، تَرَى شَخْصًا عَنْ الْعَاشِقِينَ بِمَحْجٍ
غُصْنٌ وَدَعُصٌ ، فَالْغُصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيسُ لِنَا ، وَالْدَّعُصُ يَرْجُ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ ، فَاعْجَبْ لَشَمْسٍ ضُحَى تُشْرِقُ ، وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ يَدْجُو
رَحِيقُ رَيْقٍ عَذِبٍ ، فِي كَبْدِي مِنْهُ سَعِيرٌ ، وَفِي فَمِي ثُلُجٌ
فِي وَجْهِهَا كَعْبَةُ الْجَمَالِ ، فَلِلْعَيْنِ إِلَى حُسْنِ وَجْهِهَا حُجٌ

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣)

نَفْسِي قَدْتُ بِدَرْتَمَامٍ ، إِذَا عَاتَنِي بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمُزَاخِ
سَدَدْتُ بِالتَّقْيِيلِ فَاهُ عَلَى مَسِكَ ، وَدُرٌّ ، وَعَقَيْتِي^(٤) ، وَرَاخِ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختاره مسالك الأبحار لأسماء (١٠ : ٥٠١) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك « فن » .

(٣) هذان البيتان من اختيار مسالك الأبحار لأسماء (١٠ : ٥٠١) .

(٤) في المسالك « ورطاب » .

وقال .

بَاحَ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فاستراح فهل عليه في الهوى من جناح
لَمَّا رَأَى كَتْمَانَ مَا يَنْطَوِي عليه لا يُغْنِي إِذَا الدَّمْعُ بَاحَ
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَنَّةٍ قَلْبًا مِنَ الْكَتْمَانِ دَامِيَ الْجِرَاحِ
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى وَجِسْمُهُ لِلْسَّقَمِ نَهَبٌ مُبَاخِ
مُخَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى أَمَّا ، وَأَمَّا مِثْلُ ضَرْبِ الْقَدَاحِ
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي عَقَلِي بِأَخْوَى ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(١)
مُهْفَهَفٍ^(٢) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا جُفُونُهُ ، فَهِيَ مَرَاضُ صِحَاحِ
لِطَرَفِهِ فَتَكَّةُ بَيْضِ الطُّبَا وَقَدَّهُ هَزَّةُ سُمْرِ الرِّمَاحِ
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالدُّجَى غُصْنُ مُرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالدُّجَى رَاكِدٌ يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجَنَاحِ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَذِهِ أَشْرَقَتْ وَنَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحِ
فَظَلْتُ فِي أَمْنٍ غَرَائِي بِهِ مِنْ كُلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَلَاخِ
فِي حِنْدَسَتِي طُرَّتِهِ وَالدُّجَى وَنِيرَى غُرَّتِهِ وَالصَّبَاحِ
نَغْبَطَةٌ جَادَتْ عَلَى بُحْلِهَا بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

(١) الأخوى : ذو الشفة الحمراء المائلة إلى السواد . والمراح : اسم من مرح كفرح : أشرو بطروا خنال ويحتر . والراح الخمر . يريد أن عقلت مشغوف بمرح ذي نفع أخوى وبالراح .

(٢) هففز الرجل إذا مشى بدنه نصاركه غصن يمد ملاحه... و يقال : جارية مهفوفة ومهفوفة : ضامرة البطن دقيقة الخصر .

(٣) أراح الشيء : وجد رويحه . والمراد أنه غصن ذو رائحة طيبة . والزواح : النقلة الأوراك .

(٢٠)

وقال .

أُرثه غِرَّتُهُ^(١) في الهَجَرِ مَصْلَحَتِي جهلاً ، فأفسدمني كل ما صلحاً
وقال : لَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يُطِيقُ بِهِ صَبِراً ، ولوهم بالسُّلْوَانِ لا فَنَضَحَا
وصبوةُ الحبِّ كانت قَبْلَ بَذْلَتِهِ^(٢) وبعدها ، فسواءُ صَدٍّ أَوْ نَزَحَا
كالشَّعْرِ يُحْفَظُ مَا لَمْ يَبْتَدُلْ ، فإذا حَلَقْتَهُ عَادَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُطَرَّحَا

(٢١)

وقال :

عَقَائِلُ^(٣) الْحَيِّ ، أَمْ سَرِبُ الْمَهَا^(٤) سَنَحَا أفسَدَنَ مَا كَانَ بالسُّلْوَانِ قَدْ صَلَحَا
بَرَزْنَ كَالْبَانِ فِي الْكُتْبَانِ حَامِلَةٌ شَمْسًا أَضَاءَتْ وَلَيْلًا رَاكِدَا جَنَحَا
فَاقْتَدَنَ بِالْحَبِّ مَنْ أُعْطِيَ مَقَادَتَهُ طَوْعًا ، وَرُضْنًا^(٥) بِحَسَنِ الدَّلِّ مِنْ جَمْعَا
مَنْ كُلِّ غِيْدَاءٍ^(٦) مَكْسَالٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَنَفَّسْتُ عَنْ نَسِيمِ الرُّوضِ إِذْ تَقَعَا
كَانَتْ مُنَى النَّفْسِ لَوْلَا وَاعِظْتُ لَسَنُ لِلشَّيْبِ أَسْمَعْنِي نَاهِيهِ ، إِذْ نَصَحَا

(١) الغرة بالكسر : الغفلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المخدرة .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية ، شبهت بالمهابة وهي البلورة .

(٥) راض المهر : ذلله .

(٦) العيداء : المتخينة لينا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال " :

حَتَّامَ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ وَأُرُومُ قُرْبِ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدِ
وَالْأَمَّ أَلْزَمُ الْوَفَاءَ لِغَادِرِ وَأُقِرُّ بِالْعُنْيِ لِحَبَّانِ جَاحِدِ
وَعَلَامَ أَعْمَلُ فِكْرَتِي فِي سَادِرِ^(١) سَاهُ ، وَأُسْهَرُ مُقْلَتِي لِرَاقِدِ
وَأَرُوضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمِ فَاتَتْ مَوَدَّتُهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ خِفَافَةٌ كَاشِخِ يُغْرِى بِنَا ، وَحِذَارَ وَاشِ حَاسِدِ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٢) ضَرُورَةً وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْ لِي بَنِيْلٌ مَوْدَةٌ مَمْدُوقَةٌ^(٣) مِنْهُ ، يُبْهَرُجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
أَرْضِي بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى مِنْهَا ، وَأَدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
يَا ظَالِمًا^(٤) ، أَقْنِي اضْطِبَّارِي هِجْرَهُ وَابْتَزَّ ثَوْبَ تَمَاسِكِي وَتَجَالِدِي
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا عَفَيْتَ بِالْهِجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
وَيَلُومُنِي فِي حِمْلِ ظُلْمِكَ جَاهِلُ يَلْقَى جَوَى قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
يُزِرِّي عَلَى جَزَعِي بِصَبْرِ مُسْعِدِ وَيَصُدُّ عَن دَمْعِي بِطَرْفِ جَامِدِ
لَمْ لَا تَرَقُّ . لِنَظَائِرِ أَرْقَتِهِ وَحَشَا حِشَاءُ الْوَجْدِ جَذْوَةَ وَاقِدِ
وَمَرْوَعٍ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى بِفُؤَادِ مَوْتُورٍ ، وَسَمْعِ مُعَانِدِ

(١) روى الهادي في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يتم ولا يزال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال فلان ينفق الود ، روده مَنُوق وهو مَذَق في روده : كذاب

(٥) في الخريدة " يا هاجرا " .

قَلِقِ الْوَسَادَ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أُسْدًا ، وَمَضَجَعَهُ نِيُوبُ أُسَاوِدِ^(١)
 أَتْرَاكَ يَعْطِفُكَ الْعِتَابُ ، وَقَلْبًا يَنْثِي الْعِتَابُ عِنَانَ قَلْبٍ شَارِدِ
 هِيَاثَ ، وَصَلِّكَ عِنْدَ عِنَقَا مُغْرِبِ^(٢) وَرِضَاكَ أَبْعَدُ مِنْ سُهَا وَفِرَاقِدِ
 وَمِنَ الْعَنَاءِ طِلَابُ وَدٍ صَادِقٍ مِنْ مَادِقٍ ، وَصِلَاحُ قَلْبٍ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِنْ خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوْدَةٍ وَنَائِي ، فَلَا يَحْزُنُكَ فَقْدُهُ
 وَاهْجُرْهُ هَجْرَكَ مِنْ . مُحِبِّ ، إِذَا تَضَى وَحَوَاهُ لِحْدُهُ
 وَإِذَا سُسِلَتْ عَلَامَ تَهْجُرِهِ ، فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
 وَعَلَامَ أَرْغَبُ فِي مَلُو لٍ ، خَائِنٍ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
 وَاحْذَرِ مَقَالَهَ مِنْ يَقُو لُ : الْحُبُّ تَخَضُّعٌ فِيهِ أُسْدُهُ
 وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَحْجُو نُكَ فَاِلْبَاءُ لِمَنْ تَعُدُّهُ !
 إِنْ رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشْدُّهُ
 وَالصَّابِرُ سُمٌّ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُسَارُ^(٣) شُهُدُهُ
 وَإِذَا صَرَفْتَ الْقَلْبَ فَهَوِ كَأَمْسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رُدُّهُ
 غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشَى خَوْفٌ يَعْزُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
 وَظَنَنْتَهُ قَصَبًا زَدِيَا ذَلِكَ فِي الْهَوَى ، وَسَوَاكَ قَصْدُهُ

(٢) عناق. مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٣) شار المل : استنزيه كاشاره .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِبَاخِلٍ بِالْوَعْدِ ، وَالْأَحْلَامُ وَعْدُهُ
أَرْضَى بِيَاظِهِ ، وَيُقْنِطُنِي تَجَهُمُهُ ، وَرَدُّهُ
لَدُنْ الْقَوَامِ ، يُعَلِّمُ الْأَغْصَانِ كَيْفَ تَمَيُّسُ قَدُّهُ
يَفْتَرُّ عَنْ عَذَابِ الْمَقْبَلِ ، يُضْرِمُ الْأَحْشَاءَ بَرْدُهُ
لَا شَكَّ ، لَوْ لَوْ ثَغْرُهُ مِنْ عَقْدِهِ أَوْ مِنْهُ عَقْدُهُ
لِلْخَمْرِ رَيْقَتُهُ ، وَلِلْوَدِّ الْجَنَى النَّضْرُ خَدُّهُ

(٢٤)

وقال :

يَا مَلُولًا قَلْبًا يَرَى عَمَى لِمَنْ يَهْوَاهُ عَهْدًا
يَا ظَلُومًا كَلَّمَ اسْتَعْطَفْتُهُ تَاهَ وَصَدًا
لَمْ جَعَلْتَ الْهَجَرَ يَا مُوَلَّى ، قَبْلَ الْبُعْدِ بُعْدًا
مَا أَرَى [لِي] ^(١) مِنْكَ فِي حَا لِ الرِّضَا وَالسُّخْطِ بُدَا

(٢٥)

وقال :

مُرْوَعٌ بِالْقَلَى ، وَالصَّدِّ ، لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ ، عَلَى الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ ، يُسْعِدُهُ
إِذَا اسْتَعْرَجَ ^(٢) الْكَرَى أَجْفَانِ مُقْلَتِهِ وَأَفَى الْخِيَالِ بَطُولِ الْهَجْرِ يُوَعِدُهُ
تُذَكِّي مَدَامَعَهُ جَهْرًا تَسْعَرُ فِي حَشَاهُ ، وَالْجُرْ فَيُضِ الْمَاءُ يُجْنِدُهُ

(١) تَمَكَّلَةٌ بِمَنْصِبِهَا الْوَزْنِ .

(٢) اسْتَعْرَفْنَا : أَنَا عَلَى غَفْلَةٍ .

(٢٦)

وقال :

لَا تَحْسَبَنَّ اللَّوْمَ أَجْدَى بِلِ زَادُهُ كَلَفًا وَوَجَدَا
أَبْدَى صَبَابَتَهُ وَلِلْإِعْلَانِ مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
نَمَتْ بِهِ زَفَرَاتُ شَوْ قِ ، مَا أَطَاقَ لَهْنَ رَدًّا
لَا تُكْثِرْنَ فَا يَرَى مَن تَعْنُفُ فِيهِ بُدًّا
فَرُّ أَعَارِ الظِّيِّ الْحَاطَا ، وَغُصْنِ الْبَانِ قَدْلَهُ
شُغْفَ الْجَمَالِ بِهِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَعْطَاهُ حَدًّا

(٢٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ لَمْ يَرَّغْ عَهْدِي وَالَّذِي ضَيَّعَ وُدِّي :
يَا قَدْنَكَ^(١) النَّفْسُ ، قَدْ أَسْرَفْتَ فِي هَجْرِي وَصَدَى
إِتْمَا وَصَلْكَ مَبْذُولٍ لِحِلِّ مُسْتَجِدِّ
فَاتِقٍ مِنْ هَجْرِكَ حَظًّا لِلَّذِي يَهْوَاكَ بَعْدِي

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٦)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهِدْتُهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي، وَقَالَ : كَمْ جُهِدَ مَا يَبْقَى بِجِسْمٍ مُضْنٍ بِغَيْرِ فُؤَادِ
وَأَطَاعَ الْوَشَاةَ فِيَّ، وَصَعِبُ أَنْ يُطِيعَ الْحَيِيبُ قَوْلَ الْأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَاطِرِي وَقَلْبِي، وَإِنْ مَلَّ، وَأَبْدَى الْقَلِيَّ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الراء

(٢٩)

وقال :

كَمْ إِلَى كَمْ أَكَاثِمُ النَّاسَ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ !
كَشَفَ الْهَجْرُ مِنْ غَرَامِي مَا كُنْتُ أَسْتُرُ
وَأَقَرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا أَحْتِيَالُ الْمَتِّمَ الصَّابَّ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا الْعَيُونُ ، يَا لَيْسَتْهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ الْمُرَا قَبِ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أُيَرْجَعُ لِي شَرْحُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاحَ بَحْرُهُ
رَدَاءٌ قَشِيبٌ، حَالٌ حَالِكٌ لَوْنُهُ وَأَتَهَجَّهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أتَهَجُّ التوب : أخلق ، وأتهججه الي . وحال : تغير لونه .

وكنْتُ به كلَّ الضَّئِينِ فَبَرَّهَ^(١) المشَّيبُ ، فَوَيْحَ الشَّيْبِ لَادَرَّ دَرُّهُ
 فَيَاسَعُدْ ، كَمْ أَحْسَنَتْ بِي قَبْلَ هَذِهِ فِدْوَتُكَ بِرًّا خَالِصًا لَكَ شُكْرُهُ
 تَرَاءَ مَعِيَ دَارًا بِأَكْثَبَةِ الْحَمَى فَقَدَرَانِ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرُهُ
 فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَقَفِ بِي بِرَبِّعِهَا لِأُبْرِدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ جَهْرُهُ
 وَأَفْرِغْ فِيهَا قَطْرَ دَمْعٍ يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيِّبِ الْغَيْثِ قَطْرُهُ
 وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَتَى خُنْتُ ، وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدْرُهُ
 وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ تَجَهُّمَ خَاذِلٍ فَنَ خَاتَنِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ عُدْرُهُ
 وَقَدْ كَانَ سُكْرُ الْحُبِّ يَهْفُو بِلَبِّهِ وَمَا خَلْتَهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سُكْرُهُ
 وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنًّا بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرُكُمْ ، وَالْكَلِمُ يَذْمِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
 وَلَكِنْ أَرَانِيهَا اشْتِهَارُكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَنِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَذْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيْفِ سَرَى مِنْ مَضِرٍ
 مِنْ بَعْدِ طُولِ جَفْوَةٍ وَهَجَرٍ كَمْ خَاضَ بِحَرًا وَقَلًّا كَبِيرٍ
 يَجُوبُهُ اللَّيْلُ حَلِيفَ ذُعْرٍ حَتَّى أَتَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَفْرِ
 قَدْ انْطَوَيْنَ مِنْ سُرَى وَصُمِرَ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهْلَالَ الشَّهْرِ
 يَحْمِلُنْ كُلَّ مَا جِدَّ كَالصَّفْرِ كَأَنَّهُ مُهَنْدٌ ذُو أَثَرٍ^(٧)

(١) بَرَّهَ : غلب . (٢) رَانَ : غلب .

(٣) السَّر : امتحان غورا بالجرح .

(٤) اختار صاحب مسالك الأبحار بعض أبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢) .

(٥) طَلَانِح : جمع طلح وهو الممزول . (٦) الصُمِر : الهزال .

(٧) الأثر : فرد السيف .

بعيدُ مهوى همةً وذكرٍ
فأمّ رحلي، دونَ رحل السّفر
واهاً له من زمنٍ وعمر
إذ الصّبا عند التّصالي عُدري
غراءً، أبهى من ليلالي البدر
أحسنُ من شمسٍ يغيبُ قطر
تبسمُ عن مثلِ نظيمِ الدرّ
إذا انتثت قبل نُموم الفجر
كأنّ فاهاً جُونةً^(١) لعطر
مشى النسيم بيماء الغدر
راكدة ليلٍ تحت شمسٍ تسرى
يالانمي، إنّ الملام يُغرى
لابك ماى: من جوى وفكر
أبيت أرعى كل نجم يسرى
كيف العزاء، وصروف الدّهر
كانها تطلّنى بوتر

للجد يسعى، لا لكسب الوفر
يذكرنى طيبَ الزّمان النّضر
ما كان إلا غرةً فى الدّهر
وغايةُ المنية أم عمرو
بعيدةُ القرط، هضمٍ انّطر
تفعلُ بالألباب فعل الخمر
كانّه لآلى فى نحر
تنفّست عن مثل رياء الزّهر
وإنّ مشّت مثقلةً بالبهير^(٢)
رأيت سحراً أو شبيهه سحر
ضدان فيها اتّفقا لأمر
هيجت أشواقى، ولست تدري
إذا أراح الليل همّ صدرى
كأنما حشيتى من بجر
تقرّف^(٣) قرّحى، وتهبّض كسرى
والصبر، لو خبرته، كالصبر

(٣٢)

وقال :

دعاني إلى هجرى بثينة حقة
ولا بأس بالهجران ما لم يكن قلى
من الدّهر خوفي هجرها آخر الدّهر
ولا الصّد، ما لم يبدد المرء عن غدر

(١) الجوة : السّقط . (٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . (٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

وَبِحَ الْعَوَازِلِ ، لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَهُمُ ، وَلَمْ تَصُدُّهُمْ الْفِكْرُ
قَالُوا : قَتَى تَسْمُو بِهِ هِمُّ مُسْتَضْفَرٌ فِي جَنْبِهَا الْخَطَرُ
لَا يَنْتَنِي عَمَّا يَهُمُّ بِهِ أَوْ يَنْتَنِي الصَّحْمَامَةُ الذِّكْرُ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزَهْرَتِهَا فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الْغَرُّ
فَارَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً غَرَاءَ يَعْنِي دُونَهَا الْبَصْرُ
وَبَدَتْ لَهُ عُطْلًا كَأَحْسَنِ مَا يَبْدُو لَعَيْنِ الْمُدْلِجِ الْقَمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا الْحُبُّ أَوْقَفَهُ حَيْرَانًا : لَا وِرْدٌ وَلَا صَدْرُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ إِنْ نَالَهَا فَلَيْبِنِهِ الظَّفَرُ
أَوْ كَانَ ذَاكَ لِحَنَّتِهِ سَبِيًّا قَدَّمَ الْقَتَى فِي مِثْلِهَا هَدْرُ

(٣٤)

وقال :

يَا حَاضِرًا بِفَوَادٍ نَاءٍ غَائِبِ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَلُولٍ حَاضِرِ
أُبْلَغَ رِضَاكَ مِنَ الْجَفَاءِ فَسَيَمَتَى وَصَلُ الْمَلُولِ ، وَحَفِظُ عَهْدِ الْغَادِرِ
فَلَأَصْبِرَنَّ عَلَيْكَ لَا مِنْ سَلْوَةٍ صَبَرَ الْكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّائِرِ^(١)
حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرِّضَا ، وَيَصْدَكَ الْخُـ لَمَقُ الْكَرِيمِ عَنْ الطَّرِيقِ الْخَازِرِ

(١) السير : امتحان غور الجرح . والكليم : الجريح .

(٣٥)

وقال^(١) :

واهاً لليلِ خِلْتَنِي من طيبه متَفِيئاً في ظلِّ طَيْرٍ طَائِرِ
لو أَتَيْتِ أَشْرَى بَعُمَرَى مثله أو بالسَّيْبَةِ لم أَكُنْ بالخَاسِرِ
ناهَلْتُ فيه البدرَ شمساً تُوجَعَت عند المِزَاجِ بكلِّ نَجْمٍ زاهرِ
ولمْتُ ثَغْراً ، لو تَأَلَّقَ في دُجَى أغْنَى المَحْوَلِ^(٢) عن الغَمامِ الماطرِ

(٣٦)

وقال :

هُبُونِي ، كما زَعَمُوا ، مُذْنِبٌ أَسَأْتُ ، وقد جِئْتُ أَسْتَغْفِرُ
فأينَ دَليْلُ الرِّضَا والقَبولِ لِي ، وَحُسْنُ تَجَاوُزٍ مَن يَقْدِرُ
ولم يَبْقَ لي بعدُ ذُلٌّ الخَضو عِرجاءٍ سِوَى أَنِّي أَضْبِرُ

(٣٧)

وقال :

يا جَانِراً ، وَهَوَايَ يَعرُده منك الذُّنُوبُ ، وَمَنَى العُذْرُ
لا تَحْسَبْنِي ، عَن مَلاَلِكَ لِي غَراً ، وَلَكِنَّ الهَوَى غَرُّ
وأرى سَبيلَ الهَجَرِ واضِحَةً مَسْلُوكَةً ، لو كانَ لي ضَبْرُ

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني مما انتأراه مسائل الأبرار لأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) المحول : الجذب .

(٣٨)

وقال^(١) :

ما حيلتني في الملول ، يظلمني وليس إن جار منه لي جار
وداده كالسحاب ، منتقل وعهده كالسراب ، غرار
آمن ما كنت منه فاجاني بغذره ، واللول غدار
عوني نليه مدامع سُفح وزفرة دوت حرها النار

(٣٩)

وقال :

لا صبر لي عن بدرٍ ثم مُشرق أضحي له الين المشت سراراً^(٢)
عاتبته^(٣) في صده قبل النوى فكان عني زاده إصراراً
وعرته من نجل العتاب كآبة زادت محاسن وجهه أنواراً
ورأيت أمواه الحياء بخذه فترقت ، حتى استحالت ناراً

(٤٠)

وقال :

أنا أفدى مغري بصدي وهجري وهو شمسي ضحى ، وفي الليل بدرى
يذيت الورد خذه ، وفيه ال حذب در ، يسقى سلاقة نحر

(١) رويت هذه القصيدة أيضاً في خريدة القصر (١ : ١٠٤) .

(٢) السراي : أواخر النهر .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأمانة (١٠ : ٤٠٢)

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذِرُ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنُرُهُ مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَنْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى مُحَاسِنَهُ عَيْنِي ، وَتُعْرِضُ عَنْ قَبِيحِ أَفْعَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ نِي عَمْدًا ، فَأَعْنُرُهُ وَيَظْهَرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَأَنْكَرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامَ قَلْبِي بِالْكَاتِبَةِ مُكَمِّدُ بَاكِ ، وَوَجْهِي لِلتَّجْمَلِ مُسْفِرُ^(١)
كَالْشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمْعُهُ تَخْتَدِرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنِ^(٢) لَمْ أُطِقْ عَنْهُ ، مَعَ النَّسِكِ وَالتَّحْلُمِ صَبْرًا
أَهْبِيفْ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ بِهِ ۖ عَذِبَ دُرًّا سَقَاهُ مَسْكًا وَخَمْرًا
فَاعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضْنَ ۖ بَانَ لِنَا ، وَالْأُخْوَانَةَ ثَغْرًا
أَجْتَلَى مِنْهُ فِي ضُحَى الْيَوْمِ شَمْسًا وَأَرَى مِنْهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ بَدْرًا
فِيهِ أُنْسٌ ، وَلِلْإِلَاحَةِ فِي ۖ بَيْنِهِ مَعْنَى ، تَخَالَهُ الْعَيْنُ دُعْرًا
قَالَ لِي ، إِذْ رَأَيْتُ غَرَامِي وَصَدَى : أَنْتَ تُخْنِي وَجَدًّا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء . وأشرق . والتجمل : التصبر .

(٢) شادن الظبي : قوى واستغنى عن أمه .

أنت كالصائم، الذي يشتهي الماء لفرط الظما ، ويكره فطرًا
قلت: دَغْذا، فأنت شرطي، ولكن لم يدع لي المشيب في الجهل عُذْرًا

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسْأَلُو عَنْ حِجِّ بَيْكَ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَاللَّهِ ، عُمَرَى
قَالُوا : فَبِهِ تَبَدَّلُ يَا أَبَاهُ مِثْلُكَ ، قُلْتُ : أَدْرَى
لَوْ كَانَتْ مَسْتَوْرًا لِمَا هَتَكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وَإِذَا أَبَتْ نَفْسِي هَوَا هُ ، مَعَ الْخِيَانَةِ ، حَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظَبِيٌّ تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِعٍ يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَّا وَحَارَ فِيهِ عَقْلٌ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أَرَدْنَا وَصْلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لَا تَرْتَجِ النَّجْحَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ، يَنْجَابُ عَنْ غَبَشٍ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ، يَتَّبِعُهُ الظَّمُّ - آتٌ ، حَتَّى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغبش : ظلمة آخر الليل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودَّتْهُ سحابٌ زائلٌ وعُهودُهُ في الحُبِّ ظلٌّ قالِصٌ
هَلْ في القَضِيَّةِ أنْ حُبَّكَ زائدٌ أبداً ، وحِظِّي كلَّ يومٍ ناقِصٌ
وتسُوبٌ ودَّكَ بالقَطِيعَةِ والقَلِي وهواكَ من كلِّ الشَّوَابِ خالِصٌ

(٤٨)

وقال :

يا غادِرِينَ إلَامَ يَثْنِي هَجْرُكُمْ وملأكم أَمَلِي بِجِدٍّ^(١) ناكِصٍ
أنا من هَواكمُ بينَ حَبٍّ زائدٍ بلغِ النِّهايةَ بي ، وحِظُّ ناقِصٍ
أَرْضِي مُسُوبَ الوُدِّ مِنْكُمْ بِالْقَلِي وأُجِجْكُمْ مُحَضَّ الوِدادِ الخالِصِ

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صَدَّ عَنِّي وأَعْرَضَا وتَناسَى الذي مَضَى
واستَمَرَّ الصَّدودُ وأنقَطَعَ الوصلُ وأنقَضَى^(٣)

(١) الجِدُّ : الخِطْبُ . والناكِصُ : المُنْجِمُ .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الخريدة لأسماء (١٠٤٤) مع زيادة .

(٣) بعده في الخريدة : "واخضت في الهوى ذنوب بدت حين أبغضنا "

صَرَحَ الْآنَ هَجْرُهُ لِي بِمَا كَانَتْ عَرَضًا^(١)
وَإِذَا اسْتَعِظَفَ الْمَلُوءُ لِي نَجَّيْتُ وَأَعْرَضًا^(٢)

قافية الطاء

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أَطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاحِطًا وَأَصُونُ سِرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
وَإِذَا تَسَقَّطَنِي الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْفُوا بِسِرِّكُمْ ضَنْبِنًا سَاحِطًا
يَلْقَى اللَّوَائِمُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْهَلَامَةِ رَاطِبًا
وَيُثِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُسْتَنْبِطًا بِلْظَاهِ دَمْعًا سَاقِطًا
يَا هَاجِرًا ، وَاقِيَ الْكَرَى بِخِيَالِهِ مُسْتَدْرِكًا بِالْوَصْلِ هَجْرًا قَارِطًا
لَوْ أَيقِنَ الْوَاشُونَ حَظِّي مِنْكُمْ وَصَبَابِي بِكُمْ لَسَرُّوا الْغَاطِبَا

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِيهِ ، فَأَحْسَبُهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدْرِكًا بِالْعُذْرِ مَا فَرَطَا
وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَنِي أَنَّ الْإِسَاءَةَ عَمْدٌ لَمْ تَكُنْ غَلَطَا

(١) بعده في الخريدة: " كل عيب بيني في الخط ويخفى مع الرضا "

(٢) بعده في الخريدة: " ليت من ملني وأتحل جسدي وأمرنا "

" عاد بالوصل أو قضى في بالعدل إذ قضى "

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْفَظْتُ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالْقَلْبُ أَذْنَى الْغَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُ عَهْدَ الْهَوَى ، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَوَظَنَّاكُمْ وَجَدَى يُكْفِّرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ ، وَالْحَظُّهُ
هَبْ أَنْكُمْ مَاءٌ وَبِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ الْفَظُّهُ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوَعِدِي بِالْوَصْلِ وَعِدًّا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمِلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالِدَّاعِي الصَّدَى مَا إِنْ لَهُ حَظٌّ سِوَى أَنْ يَسْمَعَ
لَكِنَّ حَظَّ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَنَى بَادٍ ، نَقَى نَوَى ، وَأَفْنَى الْأَدْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطِيعُ هَوَى عَصَمَاءَ ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلنَّهْيِ بِمُطِيعٍ
وَيُسَمِّعُنِي دَاعِيَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا وَإِنِّي لِدَاعِي النَّصِيحِ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْفَظُهَا ، وَهِيَ الْمُضِيعُ لِعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظٍ لِمُضِيعٍ

(١) أحفظه : أغضبه .

قافية الفاء.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَاشِي وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكِرُ مِنَّا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْهَجْرُ مِنْهُ ، فَلَوْ أَلَمَّ بِي مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكَرَى صَدَقَا
يُجْنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى ، فَوَاجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَفَا
مَلَكَتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَنِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنَى الرِّضَا بِقَضَائَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ النَّصَا فِي مُعْرِضَا حَنِقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْحَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذْنِبِ^(٢) سَوَى مَلَلٍ دَعَا ، فَهَبُّوا إِلَى دَاعِيهِ إِذَا هَتَفَا
مَا لِي أَرَى بَيْنَنَا ، وَالْدَّارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُذْفَا^(٣)
لَا تَعَجَّلُوا بِفِرَاقٍ سَوْفَ يُدْرِكَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا فَوَادًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمْعًا إِذَا نَهْنَهْتُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتُمْ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنٌ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَقَا^(٤)
كَذَلِكَ حَظِّي مِنَ الْأَحْبَابِ : مَنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْهَجْرَ وَالشَّقَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيَّرَ الْجُلْدُ الْعَثُورُ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جِدًّا مَا كَانَ مُطَرَفَا^(٦)

(١) المعتب : طالب العتبي : وهي الرضا . (٢) في رواية على هامش النسخة « جرم »

(٣) النوى القذف : البعده . (٤) الدرف : ضد القصد .

(٥) الشنف : البفض . (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطرف : الرجل لا يثبت على صحبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

وَمُهَنْهَفٌ، بِي مِنْ نُورِ جُفُونِهِ سُكْرٌ، يُقَصِّرُ عَنْهُ سُكْرُ الْقَرْقَفِ^(١)
أَبْدًا أَوَّاصِلُهُ ، وَيَجْرُ عَامِدًا وَمِنْ الْعَنَاءِ وَدَادُ مِنْ لَمْ يُنْصِفِ
يَسْتَعَذِبُ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُسْرِفِ
غَطَّى الْجَمَالَ عَلَى ذَمِيمِ فَعَالِهِ وَالْمَوْتُ يَسْتَرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَقْتَرِزْ بِجُحُولِ خَصِرِ أَهْيَفِ فَاَلْمَوْتُ فِي حَدِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فَتَكَةً نَازِلِ مُتَمَرِّضِ^(٢) يَسْطُو سَطًا مُتَغَشِّرِمِ مُتَعَجْرِفِ
ظَلَمْنِي مِنَ الثَّغْرِ الْبُرُودِ، فَمَنْ رَأَى ظَلَمَانَ مِنْ بَرْدٍ يُعَلِّ^(٣) بِقَرْقَفِ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُمَاطِلٍ بِدْيُونِهِ يَعِدُّ الْقَضَاءَ مَعَ الْبِسَارِ، فَلَا يَنْبِي
فِي^(٥) وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرُ وَبِخَذِهِ وَرَدُ الْحَيَا لَمْ يَقْطِفِ
فَكَأَنَّ وَشْيَ عِذَارِهِ فِي خَدِّهِ تَمَلُّ تَسْرِبَ فَوْقَ وَرْدٍ مُضْعَفِ^(٥)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَصْفَرُ الذَّنْبِ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ وَكَلَمَهَا فِي الْحَشَا يَدْمَى، وَيَنْقَرُ^(٦)
مِثْلُ الْقَذَاةِ بَعِينَ الْمَرَّةِ يَحْقَرُهَا وَدَمْعُهُ أَبَدًا مِنْ وَخْزِهَا يَكْفُ

(١) القرقف : الخمر . (٢) تمريض : ضعف في أمره .

(٣) البرد بالسكون : الرقيق . وبالتحريك : حب الغمام . والعلل : الشرب بعد الشرب .

(٤) هذا البيت وما بعده من اختيارات سالك الأبصار لأسامة (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مضعف : أصابه مطر ضعيف .

(٦) الكلام : الجرح . ويدمى : يخرج منه الدم . وقرق : القرحة فشرها .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلْوَالِمِ : كُفُّوا عَن مَّلاَمِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الْهَمَّ وَالْأَسْفَا
لَا تُذَكِّرُونِي نَجْنِيهِ ، وَهَجَرَتَهُ فَبِهِ شَاغِلٌ عَن كُلِّ مَا سَلَفَا
إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَإِنْ هَمَمْتُ بِصَبْرٍ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعٍ زَادَنِي شَغَفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسِرِّكَ أَدْمَعُ تَكْفُ فِالْأَمِّ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْتَرِفُ
هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَهِدَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَلْفُ

منها :

أُخْفِيَ غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَرٌّ بِادٍ ، وَأَسْتَرَهُ ، وَيُنْكَشِفُ
أَسْنَى لِعُمْرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حُبِّكُمْ ، لَوْرَدَهُ الْأَسْفُ
وَهَوَى عُنَيْتُ بِرَغْوِي ذِمَّتِهِ فَأَضَاعَهُ الْمُتَلَوُّنُ الطَّرْفُ^(٣)
أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابِ^(٤) ، فَأَعْوَزَ الْخَلْفُ
وَصَدَفْتُ عَن قَوْلِ الْوُشَاةِ ، وَمَا قَالُوهُ فِيَّ بِسَمْعِهِمْ شَنْفُ^(٥)
وَتَنَكَّرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدَّى ، وَلَا عَرَفُوا
وَلَهُمْ لَدَيَّ ، عَلَى مَلَاهِمُ وَدٌّ يَجْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(٢) المذهب : الداهب .

(١) هفا : خفق .

(٣) الطَّرْف : من لا يثبت على صاحب . (٤) مرغ الشباب : أوله .

(٥) الشف : القوط . (٦) الخلب بالكسر : لحية رفيقة تصل بين الأضلاع . أو الكبد .

بَنَى وَبَيْنَهُمْ ، وَإِن قُرْبُوا مِنْ هَجْرِهِمْ أَبَدًا ، نَوَى قُدْفُ
يَا جَانِرِينَ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَأَكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيْهِمْ أَنَّى بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كِلَفُ (١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَأَةِ حِينَ تَعْرِضُ مِنْ خَفَا إِنْ لَمْ تَحْنُ فَأَبْلُغْ رِضَاكَ مِنَ الْخَفَا
فَالْبَاسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةً وَإِذَا مَلَيْتَ رَجَوْتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لَأَضَعُفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأَرَى قُورَى عَنِ الْخِيَانَةِ أَضْعَفَا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حُمِلَتْ مَا لَا تُطِيقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤَكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَسَى يُجْدِي حِدَارُ الشَّفِيقِ
إِنْ أَخْلَفُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعِزِّمْ عَلَى سُلُوكِهِمْ عِزْمَةً تَذْنِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حُرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَزَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجَرَهُمْ هَجْرَ الْخَلَى الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَجَلْتَ ضَيْقُ
دَغْ ذَا ، فَمَا النَّاسُ سِوَاءُ ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ . والمستهتر بالثني : المولع به لا يزال بما فعل وشتمه .

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجعُ عصرُ الشبابِ الأنيق
عَلِقَتْهُمْ حِينَ رَدَاءِ الصَّبَا ضَافٍ، وَغُصْنِي ذُو اعْتِدَالٍ وَرَيْقٍ
حَتَّى إِذَا أَشْرَبَ قَلْبِي لَهُمْ حُبًّا جَرَى فِي الْجَسِمِ جَرَى الرَّحِيقِ^(١)
أَلَسُ الْأَعْوَاضِ عَنْهُمْ ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَا لَيْسَ بِمَثْلِي يَلِيقُ !
أَرُوْعُهُم بِالْعَنْبِ مُسْتَصْلِحَا وَتَحْتَ ذَلِكَ الْعَنْبِ قَلْبُ شَفِيقٍ
يَرَعَى لَهُمَ مَا ضَيَّعُوا ؛ لِأَنَّهُ زَيْنٌ ، عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ رَفِيقُ

(٦٣)

وقال^(٢)

قَرَّ إِذَا عَاتَبْتَهُ^(٣) شَغَفًا بِهِ غَرَسَ الْحَيَاءُ بَوْجُنَيْهِ شَقِيقًا
وَتَلَهَّبَتْ نَجَلًا ، فَلَوْلَا مَاؤُهَا مَتَرِقٌ فِيهَا^(٤) ، لَصَارَ حَرِيقًا
وَأَزُورَ عَنِّي مُطَرَفًا ، فَأَضَلَّنِي أَنْ أَهْتَدِيَ نَحْوَ السَّلْوِ طَرِيقًا
فَلْيَلْحَنِي مَنْ شَاءَ فِيهِ ؛ فَصَبُونِي بِهِوَهِ سَكْرٌ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقًا

(٦٤)

وقال^(٥)

أَنْظُرْ سَمَاتَةَ عَاذِلِي وَسُرُورَهُ بَكُوفٍ بَدْرِي ، وَاشْتِهَارَ مَحَاقِهِ
غَطَّى ظِلَامُ الشَّعْرِ مِنْ وَجَنَاتِهِ صُبْحًا تَضِيءُ الْأَرْضُ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَهُوَ الْجَهُولُ ، يَقُولُ : هَذَا عَارِضٌ هُوَ عَارِضٌ ، لَكِنْ عَلَى عُشَاقِهِ

(١) الرحيق : الخمر أو أطيبها .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٢٠٥ : ٥ وخريدة القصص ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عَاتَبْتَهُ » .

(٤) في ياقوت والخريدة « فِيهِ » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٦٥)

وقال :

بُئِينَئُ ، مَا أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةً وَلَا أَنَا عَمَّا تَعْلَمِينَ مُهَيِّقُ
وَلَكِنْ خَشِيتُ الْكَاشِحِينَ فَإِنِّي عَلَى سَرَّاءٍ مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مَوْرَدٍ بَرُوداً ، وَلَكِنْ مَا إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال^(١) :

لِللَّهِ لَبِئْنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالٍ صَنِيقُ
مَا شَابَهَا لَوْلَا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَدْرٌ ، وَلَا رَاعَتْ بِوَاشٍ مُحَقِّقُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ خَضْبُهَا بِسَبِيبِي وَجَعَلْتُ لَوْ نَ صَبَاحِهَا فِي مَفْرِقِ

(٦٧)

وقال :

يَا لَأَنِّمِي ، أُنْظُرْ إِلَى قَمَرٍ فِي الْأَرْضِ فِي وَجَانِهِ شَفِيقُ
وَبِخْدِهِ وَرَدٌ ، إِذَا نَظَرْتُ عَنِّي إِلَيْهِ تَنَائُرُ الْوَرَقُ
سَبْحَانَ مَنْ أَذْكَى بَوَجَّتِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روى لأسامة في مسالك الأبحار (١٠٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَّالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فَنِيقٌ^(١)
شَبَّهُوا دُرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَفَاحِي لَيْسَ لِلْأَفْحُوَانِ ذَاكَ الْبَرِيقُ
بِئْسَ سُكْرٌ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَى فِي هَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أُفِيقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِي حِينَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَيْكَاهَجْرُ الْقَلَى وَالْتَجَنَّى كَانَ يَكْفِيكَ
أَحِينَ خَالَفْتُ فَيْكَ الْخَلْقَ كَأَهْمُ أَطَعْتَ بِي وَاشِيًا بِالْهَجْرِ يُغْرِيكَ !
تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِي ، قَهْجُرْنِي وَأَكْذِبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتَ فَيْكَ
تَزْرَهُ مُحَاسِنَكَ الْآلَتِي خُصِّصْتَ بِهَا عَمَّا يَشِينُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيكَ
أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنَا وَخَلْتُ أَنَّ الرِّضَا بِالْجَوْرِ يُرْضِيكَ
فَمَا نَهَاكَ وَلَوْ عَى عَنْ مُبَاعَدَتِي وَلَا شَأْنَكَ خُضُوعِي عَنْ تَعْدِيكَ
بِاللَّهِ يَا غُصْنَ بَانَ ، حَامِلًا قَرًّا صَلَّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيه تَجَنِّيكَ
يَدْنُو ، وَهَجْرُكَ يُقْصِيهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَنَتَّنِي عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيكَ
سُكْرَانٌ فِي الْحُبِّ ، لَا يَدْرِي أَسْكْرْتَهُ لِسِحْرِ عَيْنِيكَ ، أَمْ لِلْخَمْرِ مِنْ فَيْكَ

(١) فَنِيق : قوى الرائحة .

قافية اللام

(٧٠)

وقال :

أما في الهوى حاكم يعدل ولا من يكف ولا يعدل
ولا من يفك أسارى الغرا م والوجد من ثقل ما حملوا
ولا منصف عالم أنه إذا قال بالظن يستجهل
إذا هو لم يذر ما يلتقى أخو الوجد من دانه يسأل
يعلم أن سهام الغرام قبل إصابتها تقبل
وأن الدموع إذا ما سفح أن أثرن لظى في الحشا يشعل
وإن قال: هن مياة ، فقل : صدقت ، وفي الماء ما يسئل^(١)
ساكين أهل الهوى ، ما لهم مجير ، ولا لهم موئل
ولا راحم لهم يستد يم حسن المعافاة مما بلوا
قتيلهمو ماله واتر ومظلومهم أبداً يخذل
وإعلانهم للهوى فاضح قتل ، وكتائبهم أقتل
وإن جحدوا الحب خوف الوشا ة أقرت به أدمع تهمل
وفي سقمهم ، إن هم أنكروا صاباتهم ، شرحها الجميل
وكلهم خاضع ، يستكين للظلم ، أو والله^(٢) يقول

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأعول : رفع صوته بالبكاء .

(١) سئل عنه : فقاما .

وعيشهم تَعَبُ كُلُّهُ وبالموتِ راحَتهم تَحْصُلُ
 بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالضُّدُو دِ ، حَازَ الْجَمَالَ ، وَلَا يُجْمَلُ^(١)
 جُنُونِي بِهِ أَبَدًا زَائِدٌ وَمَاضِي غَرَامِي مُسْتَقْبَلُ
 مَلِيحٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ الْأَنَا مِ ، سَوَاءٌ مَحَبُّهُ وَالْعَدْلُ
 مِنَ الْحَوَرِ ، رِضْوَانُهُ بُخْلُهُ وَرِيقَتُهُ الْبَارِدُ السَّلْسَلُ
 وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنْ الْعِيُونَ شَهِادَتُهَا أَبَدًا تُقْبَلُ
 بِخَيْلٍ عَلَى مُقْلَتِي بِالرَّقَا دِ ، وَلَسْتُ عَلَيْهِ بِهَا أَبْخَلُ
 سَقَامِي مُسْتَصْفَرٌ عِنْدَهُ وَأَمْرِي مُطْرَحٌ مُهْمَلُ
 يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السِّيَا قِ^(٢) ، وَهُوَ بِمَا بِي لَا يَحْفَلُ
 أُعَاتِبُهُ وَهُوَ لَا يَرَعَوِي وَأَعِذُّهُ ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ
 فَلَا الْوَضْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَعٍ وَلَا الْهَجْرُ فِيَّ لَهُ مَحْمَلُ
 وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى وَكُلُّ بَلَانِي بِهِ مُشْكَلُ
 وَسُكْرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أَفِيْقُ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
 وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
 وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خَبْرَةٍ وَلَا هُوَ لِي عَنْ عَلَا مُشْغَلُ
 وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعِبَا دِ فِينَا : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أَجَلَ الصَّنِيعَةِ : حَسَنَهَا وَكَثَرَهَا .

(٢) بِقَالَ فُلَانٍ فِي السِّيَا أَيِ فِي التَّرَعِّ . وَالْبَيَاقُ تَرَعُّ الزُّرْعِ .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَا فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعَنَى لَا بَلْ أَعَزُّ وَأُغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزَا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

كَمْ ذَا التَّجَنَّى ، وَكَثْرَةُ الْعِلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَالِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بِنَا كَلَفٌ فَأَوَّلُ الْيَأْسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبُ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَشْفَعُ لِي
هَبُونِي أَخْطَأْتُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجَلَةَ عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَلِي
وَاعْتَمُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُؤَنَا الْبَـيِّنُ فَكُلُّ مَنْهُ عَلَى وَجَلِ

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أُعْيَا تَلَوْنُهُ : تَرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أَتَى مِنْ الصَّدُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنَّ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ الْخَلَاصُ لِقَلْبِي مِنْ يَدَيِ قَرِ أُسِيرُ نَاضِرُهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُولُ
بُحْرَى لَدَيْهِ جُبَارٌ^(١) ، لَا قِصَاصَ لَهُ فِي حِكْمِهِ ، وَدَمِي فِي الْحَبِّ مَطْلُولُ

(٧٥)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، إِنْ كَانَ هَجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودَى غَيْرُ مَتَقِلِ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلَلٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطَرًّا مَلَالَةٌ ذَلِكَ الْمَلَلِ
وَالصَّبْرُ دَائِبِي ، أَوْ تُفَاجِئَتْنِي بُشْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلِي ، وَإِنِّي لِأُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَائِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لَا مِنْ هَوَايَ لَهَا ، خَبَلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْدُو فِي رَدَائِ مِنْ الدُّجَى عَلَى خُوطٍ^(٢) بَانٍ ، فِي كَذِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلُّ هَوْنًا ، كَأَنَّمَا تَخَافُ عَثَارَ الْحَزَنِ فِي الدَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَاةً^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا كُحْلُ الْمَلَاةِ عَنْ كُحْلِ

(١) الجبار بالضم : الهدير . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : العنق الناعم .

(٣) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهامة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السُّلُوَانُ فِي بَالِي فَمَا الَّذِي أَطْمَعَ عُذَّالِي
وَجَدِي بِهِمْ فِي الْيَوْمِ كَالْأَمْسِ ، مَا غَيْرَهُ مَا حَالَ مِنْ حَالِي
أَهْوَى ، وَمَا حَفَظَ مِنْهُمْ كَمَا أَهْوَى ، وَلَا قَلْبِي بِالسَّالِي
لِحَاجَةٍ فِي الْحُبِّ ، مَا تَحْتَهَا سَوَى صَبَابَاتِي وَبِلْبَالِي^(١)
لِي الْقَلْبِي مِنْهُمْ ، وَمِنْ لَأْنِي فِيهِمْ طَوِيلُ الْقِيلِ وَالْقَالِ
وَمَا أَبَالِي بِالَّذِي نَالَنِي لَوْ أَتْنِي مِنْهُمْ عَلَى بَالِ
يَا قَرَأَ فِي غُصْنٍ^(٢) بَانَ عَلَى نَقًّا^(٣) مَهُولٍ غَيْرِ مُنْهَالِ
مَيْلَكَ الْوَائِي ، فَمَا حَبَلَتِي فِي أَهْيَفِ الْقَامَةِ مَيَّالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بِالْهَجْرِ الْقَاهُ فِي الْأَحْلَامِ ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ الْقَالِي
نَاطِرُهُ الْفَتَّاكَ لَا نَاطِرُ عَلَى تَعْدِيهِ ، وَلَا وَائِي
يَحْكُمُ فِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُهُ حَكَمَ أَبِي الْغَارَاتِ فِي الْمَكَالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذَا مَرَزْتَ عَلَى الدِّيَارِ فَخَفْ بِهَا وَاسْأَلْ مَعَالِمَهَا بِدَمْعِ سَائِلِ
مَا ظَنُّهَا بِطَعْنِ أَغْصَانِ النَّقَا مَا سَتَ مُنْصَلَّةٌ بِأَسْهِمِ بَابِلِ
هَدَرَ الْهَوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحَاطَهُ أَرْدَتْهُ ، أَمْ أَقْبَى بَقْتِلِ الْقَاتِلِ

(١) الليال بالفتح : الوساوس والبرحاء ، في الصدر . وبالكسر : مصدر بلبه : هيجه وحركة .

(٢) في هامش النسخة " غوط " .

(٣) النقا من الرمل : القطة تغاد محمودة .

(٤) المستهتر بالثو . (بالفتح) المولع به لا يبال بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَاسِدٌ فَاهُ الْعَذَبُ بِالْقُبَلِ
وَأُضْمُهُ ضَمَّ الشَّفِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمُقَلِ
فَيَحَارُ مِنْ كُلِّي ، وَيُسْرِقُ فِي خَدَّيْهِ وَرْدُ الْحُسْنِ وَالْحَجَلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَذِرًا عُذْرَ الْمُسِيءِ إِلَيَّ ، مِنْ زَلِّي

(٨٠)

وقال ^(١) :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَفِي عَلَى فَمِهِ يُقْبَلُ
وَيُرِيدُ يُوضِحُ وَجْهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعَجِّلُهُ ، وَيُحْجِلُهُ
حَتَّى إِذَا أَضْجَرَّتْهُ سَرَّتْ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أُمْلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَذِرًا لِيَشْغَلَنِي عَنْهُ بَعْدُ لَسْتُ أَقْبَلُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أُطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمِيعِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّابِكِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

وليس يُدرى ، لَقَدْى جَائِلٌ في العينِ فاضَتْ أمْ هَوَى دَاخِلِ

فَاضِحٌ غَالِبٌ ظَاهِرٌ

كَالُورِقِ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أَمْ ارْتَنَاحَتْ إِلَى رَاحِلِ^(٢)

نَازِحٌ غَائِبٌ هَاجِرٌ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

وَلَوْ ، فَلَمَّا ^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا	فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلَمُوا
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ	وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَ لَهُمْ قَدَمُ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ	عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي أُنْثَمُ
فَلَيْتَ ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ	مَلُّوا ، فَصَدَّ عَنْ وَضْلِي السَّامُ
حَفِظْتُ مَا ضَيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْا	وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصِلْتُ إِذْ صَرَمُوا
حُرْمَتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وِدَادِهِمْ	مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرَى بِهِ التَّسَمُ
مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ	قَدْى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ

(١) الورقاء : الحامئة .

(٢) ارتاح إليه : حنَّ إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومعجم البلدان ٥ : ١٠ والروضتين ١ : ١١٣

(٤) في الخريدة (ولم) .

(٥) لا يروى معجم البلدان هذا البيت واليهين بعده .

وبعد ، لو قيل لى : ماذا تُحِبُّ ، وما
 همُ مجالُ الكرى من مُقَلَّتَى ، ومن
 تبدَّلُوا بى ، ولا أبغى بهم بدلاً
 مُنَاكَ من زينه الدنيا ؟ لقلت : همُ
 قَلْبى محلُّ المُنَى ، جارُوا أو اجترَمُوا^(١)
 حَسْبى هُمُو ، أنصفوا فى الحُكْم ، أو ظَلَمُوا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أَقْصِرْ ، فَلَوْبِى فى حُبِّهم لَمْ^(٣)
 ما الفى والرشدُ بالملامة والإ
 بالعدل فيهم ، وشقوتى بهم
 طَرَفِى أَعْمَى عن عَيْبِهم ، فإذا
 أَصَمُّ عن نصيح من يُعَنِّفُنِى
 وهُم إذا خطرَةُ التَّوَهُّمِ نا
 ضَلَالَةٌ فى الغَرَامِ : يكذب رأ
 فلا تَرَدْنِى جَوَى بلومك ، إِنَّ الحُسْبَ نَارٌ بالعدلِ تَضْطَرُّ
 لو يعلمُ الحاسِدُونَ حَظِّى ، وما ألقاهُ منهم ، وفيهم ، رَحِمُوا
 فَوَضْتُ أَمْرِى إِلَيْهم ، ثَقَّةٌ بهم ، فلما تَحَكَّمُوا ظَلَمُوا
 وما كذا تُحَفِظُ المَوَائِقُ فى الحُسْبِ ، وترعى العهودُ والذِّمُّ
 فَيَا هَافُوَةً ، نَدِمْتُ على ما كانَ منها ، لو يَنْفَعُ النَّدَمُ
 وما احتِبَالُ الفَتَى إذا عَثَرَ الجَسَدُ ، وزَلَّتْ بسعِيهِ القَدَمُ

(١) اجترَم : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) اللهم محرّكة : الجنون .

(٨٤)

وقال^(١) :

لَا تَسْتَعْرِ جَلْدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنْ صُدُودِ دَانِمِ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمِ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَاهَ بِالْجَمَالِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصَّبَا أَنْ تَدُومَا
عَنْ قَلِيلٍ^(٢) نَرَى قَوَامَكَ ذَا الْمَأْنَسِ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالٍ قَوِيْمَا
وَنَرَى طَرَفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمَا
وَنَرَى جَمْرَ وَجْنَيْكَ وَقَدْ عَا دَ رَمَادًا ، وَبَقْلَهُنَّ هَشِيمَا
وَنُتَادَى: عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ أَنْ أَصْبَحَ ذَاكَ النَّهَارُ لَيْلَا بِهِمَا

(٨٦)

وقال :

جُفُونٌ تَسْتَهْلُ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجِعٌ تُبْدِي مِنَ الْأَشْجَانِ مَا كَتَمَا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ^(٤) بِمِيسَمِ النَّيْرَانِ مَا عَلَمَا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتُ أَوْ حَاسَدٌ رَحِمَا

(١) هذان البيتان من مختارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان " قريب " . (٣) استبل المطر : اشتد انصبابه .

(٤) فراه : شفه .

وقال :

مَلَّ ، وَأَبْدَى تَجْهَمُ السَّامِ وَضَاعُ وَدَى فِي الظَّنِّ وَالتَّهَمِ
وَحَانَ عَهْدِي ، وَقَلْبًا اجْتَمَعَ الْحُسْنُ وَرَغَى الْعَهْدِ وَالذَّمِّ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ أَجْتَنِبُ النَّوْمَ ، جَذَارَ الصُّدُودِ فِي الْحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرِي مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنْ الرُّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمِي

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الدِّمَامِ
إِلَامَ أَغْتَرُّ بِالْأَمَانِي فِيكَ كَمُسْتَمْطِرِ الْجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي اللَّذَى أُرْجَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي الْمَنَامِ
وَطَالِبُ الْوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ الْمَاءِ فِي الضَّرَامِ

وقال :

يَرِينِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَعْطِفُنِي إِلَى هَوَائِكُمْ وَفَاءُ لَسْتُ أُسَامَهُ
كَأَنِّي أُمُّ بَوٍّ^(١) كَسْتَرِيبُ بَمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَامُهُ

(١) حفر به وخفزه خفرا وخفورا : قفض عهده وغدده ، كآخفزه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق مائه .

(٣) يقال أمانى وأمل على : أبرمى فهو ملول وملولة وهي ملول وملولة .

(٤) البر : الحوار . وقيل جلده يحشى تبا أو ثما ما أو حشيشا ليمطف عليه الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأفه فتدر عليه . والبر أيضا ولد الناقة . ورثمت الناقة ولدها : عطف عليه ولزمت .

(٩٠)

وقال :

أَجِبْ دَوَاعِيَ الْهَوَى بِالْأَدْمُجِ السُّجْمِ^(١) وَبُحْ ، فَمَا الْحُبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمِ
أَسْمَعْتَ يَا دَاعِيَ الْأَشْوَاقِ ذَا كَلَفٍ نَأْنِي الْمَحَلِّ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُ مِنْ أُمِّ^(٢)
لِلَّهِ أَنْتَ ، فَمَا أَعْرَاكَ مِنْ مَلَلٍ يُنْسِي الْعَهْدَ ، وَمَا أَرْعَاكَ لِلذَّمِّ
وَقُلْ لِمَنْ لَأَمْ : مَا السَّلْوَانُ مِنْ خُلُقٍ وَلَا مُلَاءَمَةُ اللَّوَامِ مِنْ شِيَمِي
أَهْوَى بِلَا مَلَلٍ يُسَلَى ، وَلَا طَمَعٍ يُمَلَى ، وَلَا رِيْبَةٍ تُزْرَى بِذِي كَرَمٍ
فَمَا وَفَانِي بَرْتُ الْعَهْدَ مَتَكَثٍ وَلَا هَوَاً يَبْوَهِى الْعَقْدَ^(٣) مُنْصَرِمٍ
يَزِيدُهُ كَرَمًا مَرُّ السَّنِينَ كَمَا زَادَ الْمُدَامَةَ إِشْرَاقًا مَدَى الْقَدَمِ^(٤)

(٩١)

وقال :

مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذْ حُكِّمُوا سَلَوْا ، وَقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمٌ
أَحْيَيْتُهُمْ فِي عُنْفَوَانِ الصَّبَا وَلَيْلُ فَوْدِي حَالِكٌ أَسْمُ^(٥)
حَتَّى إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ انْقَضَى وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِي الْأَنْجَمُ
صَدُّوا ، وَأَنْسَاهُمْ ذِمَامَ الْهَوَى مَا اخْتَلَقَ الْوَاشُونَ وَالْأَوْمُ
فَن تَرَى يَحْفَظُ عَهْدَ الْهَوَى إِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَهُمْ مَا هُمْ
وَالْحَبُّ كَالْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْوَرَى يُرْزَقُ ذِمَامُهُ ، وَذَا يُجْرَمُ
سَعَى بِنَا الْوَاشِي إِلَيْهِمْ ، فَمَا تَتَيْنُوا الْحَقَّ ، وَلَا اسْتَفْهَمُوا
وَسَمِعُ مِنْ مَلٍّ قَبُولُ لِمَا يُزْخَرُفُ الْكَاشِخُ أَوْ يَزْعُمُ

(١) سجيم الذم : سال .
(٢) من أم : من كتب .
(٣) العقد : العهد .
(٤) باقى القصيدة من ١٩٤ .
(٥) الفود : ناحية الزأس . والأسجم : الأسود .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّاجَرَى مِنْ حَيْثُ يَجْرَى الدَّمُ
مَا خُتِّمَ عَهْدًا ، وَلَا فَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّي فَمُ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعْلِنُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكُمُ
دَغْ ذَا ، فَمَا يُسْمَعُ عُذْرُ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلْبُ أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَلُولِ مَسْتَوْرَةٌ وَعُذْرُهُ الْوَاضِحُ مُسْتَهْمٌ^(١)
وَلَوْ سَعَى الطَّيْفُ بِهِ فِي الْكَرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال^(٢) :

قَسَمًا بَمَنْ لَمْ يَبْقَ خَوْفُ رَقِيبِهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا^(٣)
خَافَ الْوَشَاةَ ، فَصَدَّ حَسَنِي فِي الرُّقَادِ ، إِذَا أَلَمَّا
لَأُخَاطِرُنَّ بِمُهْجَتِي فِي حَبِّهِ ، إِمَّا ، وَإِمَّا

(٩٣)

وقال :

قُولًا لَدَا الْغَضْبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظَنُّهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمَ تَخْشَى دُعَائِي دُونَ ذَا الْعَالِمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ - وَإِنْ دُعَاءُ الْمُغْرِمِ الْهَانِمِ

(١) أَيْهِم الْأَمْرُ : اشْتَبَهَ كَأَسْمِهِمْ .

(٢) رَوَى هَذَا الشَّعْرُ فِي مَسَالِكِ الْأَبْعَارِ (١٠ : ٥٠٥) .

(٣) الْقِسْمُ بِالْكَسْرِ : الصَّيْبُ .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجْدِي بِهِمْ تَجَرَّمُوا^(١) وَالزُّمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي هُمُ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَنَا ، تَبَّأَ لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمَغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودُ مَا أَدَّعَى مِنْ حُبِّنَا أَيْنَ الشَّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقْمُ
أَيُّهَا دُمُوعُ كَلَمًا غِيْظُهَا^(٢) تَدَفَّقَتْ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْفَى الْمَلَالُ عَنْهُمْ مَا بِي : مِنْ بَرَجَ قَلَاهُمُ ، وَالْمَلَالُ أَبَيْكُمْ
كَذَبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلَيْمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَقَّعُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحِيًّا مَا أَرَى ، أَمْ بَدُرُ دَجَن وَبَارِقُ مَبِيسِمٍ^(٣) أَمْ بَرِقُ مُزَن^(٤)
وَنَغْرُ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاج وَرَيْقُ ، أَمْ رَحِيقُ بِنْتُ دَن
وَلَحْظُ ، أَمْ سِنَانُ رَكْبِهِ بِأَسْمَرٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَطِّ لَدَن
وَأَيْنَ مِنَ الظُّلْبِ الْحَاطُ ظَلْبِي ثَنَانِي عَنْ سُلُوبِي بِالثَّنْيِ
إِذَا جَاءَ الْمَلَالُ لَهُ يُجْرِم مَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنِ

(٢) غيظ دمه : نقصه .

(٤) المزن : السحاب .

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٣) الميسم كنزل : الثغر . وفقع : التيسم .

فيا مَنْ مِنْهُ قَلْبِي فِي سَعِيرٍ وَعَنِي مِنْهُ فِي جَنَاتٍ عَدَنٍ
حَبَاكَ هَوَايَ مَنِي مُحَضَّ وَدٍّ تَنَزَّهَ عَنْ مُدَاجَاةٍ^(١) وَضَغِينٍ
وَقَبْلَكَ مَا تَمْلِكُهُ حَيْبٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِ نَفْسِي نِلْحَدِنٍ
أَحِينَ خَلَبْتَنِي ، وَمَلَكْتَ قَلْبِي قَلْبَتَ نُلْحَتِي ظَهَرَ الْمَجَنِّ
فَهَلَّا قَبْلَ يَعْلُقُ فِي فَوَادِي هَوَاكَ ، وَقَبْلَ يَغْلُقُ^(٢) فِيكَ رَهْنِي
تُسَاوِرُنِي هُمُومِي بَعْدَ وَهْنٍ^(٣) فَتَرِي كُلَّ جَارِحَةٍ بَوَهْنٍ
أَلَمْ يَكِفِ الْعَوَازِلَ مِنْكَ هَجْرِي وَقَلْبَكَ مَا يُجِنُّ مِنَ التَّجَنِّي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي إِتْفَاقِ عُمْرِي ضَيَاعًا فِي هَوَاكَ قَرَعْتُ سِنِّي
وَأَسَفُ ، كَيْفَ أَخْلَقَ عَهْدُودِي وَأَسَى كَيْفَ أَخْلَفَ فِيكَ ظَنِّي
وَأَوْجَعُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي وَأَى فِعَالِهَا بِي لَمْ يَسُوْنِي
تَقَلَّبُ قَلْبٍ مِنْ مَثْوَاهُ قَلْبِي وَجَفُوءُهُ مِنْ طَبَقْتُ^(٤) عَلَيْهِ جَفْنِي

(٩٦)

وقال :

إِصْلَاحُ قَلْبِكَ أَعْيَانِي ، فَأَحْيَانِي وَالْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى السَّلْوَانِ الْخَانِي
كَمْ ذَا التَّجَنِّي ، وَمَا ذَنْبِي إِلَيْكَ سِوَى حُجِّي ، فَصَفْحًا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِ الْخَانِي

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) غلق الرهن في يد المرتين : إذا لم يقدر على احتكاكه .

(٣) الرهن من الليل : الطائفة منه . وقبل هونحو من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين دخول الليل . والرهن في آخر البيت : السعف .

(٤) في خريدة القصر " ضمنت " وقد ذكر العباد من هذه القصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة والسادس والثالث عشر .

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يُدِينِي ، فأفصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سُمِّتُه صبراً بهجراني
ولست أنكرُ منه فرطَ صبوته لكنَّه عن هوى بالهون ينهاني

(٩٧)

وقال :

يأربُّ حُدَّ يدي من ظلمٍ مُقْتَدِرٍ على قَد لَجَّ في صدى وَهْجاني
لئن قساوته لي ، أو فَيَسَّرَ لي صبراً ؛ لأحظى بوضيلٍ أو بسلوان
أوطافِ بجرّة خديه، وأيقظ جَفَنِيهِ اللذين أراقا ماءَ أجناني

(٩٨)

وقال :

إذا أوحشتني جَفْوَةُ الحِلِّ رَدَّنِي إليه وفاءً بالإخاء ضامينُ
كأنِّي أمُّ البو^(١) تُنْكِرُ شَخْصَه ويعطفها وجدُّ به وحنينُ

(٩٩)

وقال :

بالله يا مُغْرِي بهجراني ويا مُبِيحَ الدَّمْعِ أجناني
هل في القضايا أن من ماجني يخضعُ بالُذَرِ إلى الحاني

(١) انظر الشرح فإسقى في ص ٤٣

(١٠٠)

وقال :

إلى كم أُرجمُ فيك الظُّنونَا وأدفعُ بالشكِّ عنكَ اليَقِينَا
وَأملُ عطفَكَ بعدَ الجفا ، وقسوةَ قلبِكَ لى أن تَلِينَا
وأصبرُ للهجرِ صبرَ الأسيرِ على قَدِّهِ^(١) ، صاغراً مُستكينَا
وآبى ، وقد حُنتَ عهدَ الهوى ولم ترعَ ذِمَّتَهُ ، أن أخُونَا

(١٠١)

وقال :

زدني جوى ياحبهم ، وأضلّني يا مُرشدى عن مَنهجِ السلوان
لا تَنهني عنهم ، فإنَّ صِبايَ لا تَسْتَطِيعُ تَطِيعُ مَنْ يَنهَانِي
أحييتهم ، أزمانَ غُصني ناضراً حتى عَسَا^(٢) ، وعَصَى بنانُ الحانِي
فأرجعُ بياضِكَ ، لستَ أوّلَ أميرٍ شقَّ الغرامُ عصاه بالحصيان

(١٠٢)

وقال :

أياهاجراً كلما زدتُ في خُضوعي له زادَ هجرانُهُ
تَرَفَّقْ بِقلبٍ إذا ما ذُكِرَ تَ بَدَأَ لِلْمُحَدِّثِ كَتَمَانُهُ
مَحَلَّكَ مِنْهُ مَحَلُّ السَّوَا د من ناظرٍ أَنْتَ إِنْسَانُهُ

(١) يقال أمره بالقد : بالسير من الجلد غير المدبوغ .

(٢) عسا النبات عسوا : غلظ واشتد .

(١٠٣)

وقال ^(١) :

يا مُعْرِضًا ^(٢) ، راضياً و غَضَبَانَا وهاجِرِي هاجِعاً وَيَقْظَانَا ^(٣)
صَدَدْتُ ^(٤) إِمَّا لَهْفَةٍ فَرَطْتُ مِنِّي ، وَإِمَّا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا
طَيْفُكَ ، مَا بِالْهُ يَهْجُرُنِي مَنْ أَعْلَمَ الطَّيْفَ بِأَنِّى كَانَا

(١٠٤)

وقال :

يَا فِتْنَةً عَرَضْتَ لِي بَعْدَ مَا عَزَفْتَ نَفْسِي عَنِ الْآلِهِرِ وَاقْتَادَ الْهُوَى رَسَنِي ^(٥)
هَلَاءَ ، وَلَبِىَ غَرِيبٌ ^(٦) ، وَأُنْجَمُهُ غَوَارِبٌ ، وَشَبَابِي نَاضِرُ الْغُصْنِ

(١٠٥)

وقال :

أَحْبَبْتُهَا فِي عُفْوَانِ الْجَبَا وَقُلْتُ : إِنَّ الشَّيْبَ يُسْلِنُنِي
فَرَادَنِي شَبَابِي جُنُونًا حَتَّى كَأَنَّ الشَّيْبَ يُغْرِبُنِي
وَكَالشَّبَابِ الشَّيْبُ ، لَا مِيزَةَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْمَجَازِينِ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٦ .

(٢) في الخريدة « يا هاجرا »

(٣) في الأصل « وسانا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت » .

(٥) الرسن : الخيل وما كان من زمام على أف .

(٦) أسود غريب : حالك .

قافية الهاء

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى يَرَاهُ السَّوْرَى لَا يَمْلُ رَاعُوهُ مِنْهُ
وَرَأَى الْهَلَالَ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَ فِيكَ نَصِيحًا ، فَلَمْ ، فَدَاكَ ، تَحْنُهُ ^(١)
كُلُّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَسْنُهُ ، وَضْنُهُ
إِنْ تَكُنْ مَا رَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَاكِ فَكُنْهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْهَجْرِ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَذَاهَا
يَا مَلُولًا ، قَلْبًا اسْتَرْعَى عُهْدًا فَرَعَاهَا
يَا ظَلُومًا كَلِمًا اسْتَعَطَفْتُهُ صَدَّ وَتَاهَا
زِدَتْ فِي تَبْهِكِ وَالنَّيْءُ إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جزم الفعل للضرورة . وما استفهامية لا جازمة .

تَقْضَى دَوْلَةُ الْحُسْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشَّكْوَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الصَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاهَا
وَهُوَ لَوْ نَادَى نِظَامِي رِمَّةً لَبَيَّ صَدَاهَا
مُتَلَفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاهَا
مُسْتَقْلٌ كُلَّ مَا تَلَقَّاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(١٠٨)

وقال^(١) :

تَخَنَّى عَلَى ذُنُوبِهِ فِي حَبِّهِ وَيَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجْزِيَهَا
فَكَأَنَّهُ عَيْنِي تَرَى عَيْبِي ، وَلَا يَبْدُو لِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(١٠٩)

وقال :

نَبِئْتُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْإِعَادِ نَسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ هَوَى وَقَلَى إِنْسَانُ عَيْنِي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يَرْهَدُنِي أَقَامَ حَبِّي لَهُمْ عُذْرًا يُعْفِيهِ

(١) البيان من مرويات المسالك لأسماء (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(١١٠)

وقال :

يَغَالِطُنِي فِيكُمْ هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى إِنْكَارٍ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعَظْفَةٍ أُمِّ الْبَرِّ^(١) تَرَامُ شَلَوُهُ^(٢) وَقَدْ رَابَهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا^(٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بَيْنَهُ سِرُّ الْمَحَبِّ عَلَانِيَهُ
أَنْظُرْ إِلَى جَسَدِي ، لَتُخَفِّ بِكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَهُ
عَنْ مُهَجَةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَفَتْ وَعَيْنٍ جَارِيَهُ
وَصَبَابَةٍ لَا أُسْتَطَبُ عُمُ أَثْنُهَا ، هِيَ مَا هَبَهُ
وَلَمِنْ أَلُومٍ ، وَإِنَّمَا عَنَى عَلَى الْجَانِيَهُ

(١١٢)

وقال :

يَا قُرُّ ، أَعْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بِدِيعُ النَّظْمِ فِي فِيهِ
قَدْ زِدْتَ فِي التَّيِّبَةِ ، وَمِنْ لَا يَرَى مَثَلًا لَهُ يُعَذَّرُ فِي التَّيِّبَةِ

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : العضو والجسد من كل شيء .

(٣) البيان من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَنْ غَابَ عَمَّنْ يَوْمُهُ فسيانَ عِنْدِي بَعْدَهُ وَاقْتِرَابُهُ
إِذَا الْمَيِّتُ وَارَى شَخْصَهُ عَفْرُ الثَّرَى فَهَلْ يُدْنِيهِ أَنْ يَقْلَّ تَرَابُهُ
وَكُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ فَالْأَرْضُ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحِمَامُ اغْتِرَابُهُ

(١١٤)

وقال :

الْمَيَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَّا الدَّارَ عَنَوُهُ فَدَارَكَ أَجْفَانِي الْقَرِيحَةُ وَالْخَلْبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَّا الْأَهْوَاءُ ، وَالْبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ حَزَنٌ وَلَا سَهْبٌ^(٣)
وَلَكِنَّمَا الْبَيْنُ الْمُشْتُّ هُوَ الْقَلَى وَإِنْ قَرَّبُوا ، وَالْبَعْدُ أَنْ يَبْعُدَ الْقَلْبُ
وَكَمْ مَهْمَةٍ^(٤) تَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قِطْعَهُ طَوْتُهُ لَنَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَكِ وَالْحَبْ
عَقَلْتُ بِهِ الْعَيْسَ^(٥) الْمَرَايِيلَ بِالْوَجَى^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَيْنَا الْمَطْهَمَةَ^(٧) الْقُبَّ^(٨)

(١) لى كرضى لى وكى لى : أسودت شفته ، وهو ألى وهو لى .

(٢) الخلب بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .

(٣) السهب : الغلالة . والحرز : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهمة : المفازة البعيدة .

(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يتخالط بياضها شقرة .

(٦) الوجى : الحفى وهو أن برق القدم والخافر .

(٧) المطهمة : التامة الخلق .

(٨) الخليل القب : الضواير .

فلما وصلنا (برقعيد^(١)) تحاشدت على صباباتي ، وعنفني الركب
ولج اشتياقي ، كنت أنهم النوى عليه ، إلى أن زاد سورته^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يسني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النخب^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا آمري بالصبر . ما لي بالين موعده الغروب
والصبر محمود العواقب ، لو أطاقته القلوب
لكن أباه على أحشاء يلقلها النخب
ومدامع كالبحر ، لا يرجي لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال^(٣) :

يادهر ، مالك لا يصد لك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، ويا بني أن امرضه الحجاب
لو كنت تنصف كانت الأمراض بي^(٤) ، وله الثواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقما . الموصل من جهة نصيبين (باقوت) .

(٢) سورة الخروغها : حدتها .

(٣) النخب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روى لأسامة في باقوت ٢ : ١٩٧ وخريدة القصر ١ : ٥٠٠ .

(٥) الرواية في باقوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَادَهُرُ ، بِالْعِدْوَانِ تَحْسِنِي فِي غَيْرِ جَنَسِي ، وَلَمْ أَفْقَدْ ، وَلَمْ أُغِبْ
هَلَّا بِأَذْنَى الْعَذَائِنِ اقْتَنَعَتْ لَنَا فَالذَّبْحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْذِيبِ مُغْتَرَبِ

(١١٨)

وقال :

رَمَتْنَا اللَّيَالِي بِاقْتِرَاقٍ مُشْتَبٍ أَشْتَّ ، وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(١)
تَخَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ ، وَانْشَقَّتِ الْعَصَا وَشَعْبُهُمْ وَشَكُّ النَّوَى كُلِّ مَشْعَبِ^(٢)
وَقَدْ نَثَرَ التَّوْدِيعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْلُوًّا لَمْ يُثَقِّبِ

(١١٩)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عِيشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ ، وَدَهْرًا قَدْ أَلَحَّتْ نَوَابُهُ
تَكَدَّرَ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السُّهُولَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّي عَنْ نَوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَنْ نِيلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع رى الجار ، نى .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أُعْنَى بالشرى والسَّابِس^(١) وَيُصَدِّعُ شَمْلِي بِالنَّوَى وَالتَّوَابِ
فَنَ لَاقَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنْزِلُ فَمَا مَنَزَلِي إِلَّا ظُهُورُ النَّجَابِ^(٢)
وَمَنْ رَأَاهُ خِلُّ يُسْرِ بِقُرْبِهِ فَيَا وَجَعَ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِ الْأَقَارِبِ
فَلِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ جَوَى الهمِّ صَاحِبٌ يُجَدِّدُ أَحْزَانِي عَلَى فَقْدِ صَاحِبِ
وَلِي مَنْزِلُ مَا مَسَّ جَلْدِي تَرَابُهُ وَلَا فِيهِ أَتْرَابِي ، وَمَلْهَى مَلَاغِي

(١٢١)

وقال :

أَمْسَبْتُ مِثْلَ الشَّمْعِ : يُشْرِقُ نَوْرُهُ وَالنَّارُ فِي أَحْشَاءِهِ تَتَلَهَّبُ
حَيْرَانٌ ، وَجْهِي لِلتَّجْمِلِ^(٣) ضَاحِكٌ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي لِلْهَمِّ مَقْطَبُ

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لَمْ يَنْهَ الْعَدْلُ ، لَكِنْ زَادَهُ لَهَجًا وَالْعَالُ مَا يَزِيدُ الْمُسْتَهَامَ شَجَى
أَضَعْتُ نَصْحَكَ فِيمَنْ لَيْسَ بِسَمْعِهِ وَلَا يَرَى فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى حَرَجًا

(٢) النجائب : جمع نجبية ، وهي الناقة الكريمة .

(١) انظر ما سبق من شرحه ص ١ .

(٣) التجميل : التصبر .

ما قبله حاضر النجوى ، فرددته الذى
مُدله ، فارق الأحباب أغبط ما
يستغبر الدار عنهم صبوة ، فإذا
فاضت بقانى الدم المنهل مقلته
يا ويحه من جوى يغدو عليه ، ومن
أفدى خيالاً سرى ليلاً ، فأشرق الذى
عجبت منه ، تخطى الهول معترضا
إذا رأيت حباب الزجاج مُستظماً
يالى من الين ، لازالت مطيهم
سارت بإنسان عيني فى هوا دجها
فارقهم ، فكأنى ما سررت بهم
أهى ، ولا نبيه فى سمعه ولحا
كانوا ، وكان بهم جذلان مُبهجاً
أعبت عليه جواباً ناح أو نشجاً^(١)
فكل راء راءها ظنّها ودجاً^(٢)
جوى يروح ، إذا ليل الموم دجاً
نيا بأنواره ، والصبح ما انبلجاً
أرض العدا ووشاة الحى ، كيف نجاً
ذكرت ذلك الرضاب العذب والبلجاً^(٣)
حسرى ، إذا ارتحلت ، معقولة يوجى^(٤)
فما رأت منظرًا من بعدهم بهجاً
يوماً ، وقد عشت مسروراً بهم حجاً

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كتم الجوى القلب القريج
فأذاعه الدمع الفضوح
إنّ الدموع لها لسه
أن بالأسى لسن فصيح

(١) نشج الباكي نشجاً : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتخاب .

(٢) الودج : عرق فى العنق .

(٣) البلج : قنطرة ما بين الحاجبين .

(٤) الوجى : الحنى . راجع ص ٥٤

ولإذا الدُمُوعُ تَزَحْنُ فَالزَّفَرَاتُ بالشَّكْوَى تَبُوحُ
أَحَابِنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَتُ شَمَلْنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكَمْ التَّفَرُّقُ ؟ ! آنَ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ ، وَأَنْ تَرَوْحُوا
مَاذَا يُجْنُ مِنْ الْحَنِينِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيبُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوَرَقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَتَوَحُّ
لَكِنَّا غَاضَتْ مَدَا مَعَهَا ، وَلِي دَمْعُ سَفُوحُ
مَرْجَتُهُ بِالْدَّمِ مَقْلَةٌ إِنْسَانُهَا أَرِقُ جَرِيحُ
يَا لَأَلَمِي^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ ، وَنَامَ عَنْ لَيْلِ النَّصِيحِ
يَلْحَى الْمُرُوعَ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِي الْمُسْتَرِيحُ
يَالِي مِنَ الْحَسِرَاتِ ، كَمْ تَغْدُو عَلَى ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبَقْ مِنْ لِدِّي وَأَثَرَابِ الصَّبَا خَلَّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمُ الدُّنْيَا ، رَصَدَ عَ شَمَلَهُمْ زَمَنُ نَطُوحُ
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيِّتٌ ، وَلِي مِنْ جَسَمِي الْبَالِي ضَرِيحُ
فِيهِ ذِمَّا^(٤) رُوحَ مَنِيَّتِهَا غَبُوقُ أَوْ صَبُوحُ
وَلَقَلَّمَا تَبَقَى ، وَكَمْ تَتَقَى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَفَلَا لِقَاءً يَذْهَبُ الْحَسِرَاتِ ، أَوْ مَوْتُ مُرِيحُ

(١) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحماة .

(٢) الدماء : بقية النفس .

(٣) طرحه . رماده وأبعده .

(٤) في هامش الديوان (بأناصحي) .

(١٢٤)

وقال :

يَا نَازِحِينَ واصْطَبَارِي وَالْأَسَى يُجِمْ^(١) ذَا دَمِي ، وَهَذَا يَنْزَحُ
لَا أَسْأَلُ الْأَيَّامَ تَعْوِيضًا بَكُمْ لَأَنْهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاحُكُمْ يَنْظُرِي كَانَتْهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَبْرَحُ
وَلَا نِيَمُ يَلُومُ فَيْكُمْ ، وَالْهَوَى يُصْحِبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْجَحُ
يَلْبِغُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلَنِي بِالْيَيْنِ وَالْهَجْرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَحَلَّتْ عَلَى مَغْنَاكِ سَارِيَةُ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا تُطْرَنِكَ مِنْ دُمُو عِي مَا يَنْوُبُ عَنِ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبَّكَ مِنْ غَضَبِضِ الطَّرْفِ مَمْنُوعِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِمَةٌ صَوَادِي
فَرَمَتْ جُمْرَهُمْ اللَّيْلَا لِي بِالتَّشْنِثِ وَالْإِعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْجَوَادِثِ ، أَوْ تَقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنِ الْإِسَاءَةِ بَاعْتِمَادِ

(٢) أصعب : ذل وافتاد .

(١) أجم الماء : تركه يجمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت العهاد وهي أقطار الربيع بعد الوسمي . الواحدة عهدة .

مالى وللايام ؟ ! كم تُصمى نوافِدها^(١) فؤادى
رَنَقن^(٢) من وِردى، وأمه حلَّ جورها عمداً مرادى^(٣)
وقصَدنى نَوائبٍ واليَنهنَّ بلا اقتِصاد

ومنها :

وإليك أشكو برحهم كلَّ يومٍ فى ازدياد
حَظَرَ السُّرورَ على فؤادٍ لا يُسرُّ بِمُسْتَفَادٍ
لولا تألُّهٍ لِمَا يَلْقَى لَعْدٌ من الجِدادِ

(١٢٦)

وقال :

أَتُظَنُّ صَبْرَكَ مُنْجِداً إنْ أُنْجِدُوا هِيَّاتَ ، لَيْسَ لِمُسْتَهَامٍ مُسْعِدُ^(٤)
إِنِّى لأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ عَمَّا سَيَلَّقَى فى غَدٍ أَوْ جَلَدُ
هذا الْفِرَاقُ هو الْفِرَاقُ ، فَإِنْ أُطِيقَ جَلَدًا ، فَيُعَادُ الْلِقَاءُ الْمَوْعَدُ^(٥)
قَالُوا : غَدًا لِنَوَى الْأَحَبَّةِ مَوْعِدٌ وَالْدَّهْرُ أَجْمَعُ بَعْدَ لَبِئْتِنَا غَدُ
فَالْأَمَّ نَحْتَبِسُ الدَّمُوعَ ، وَلِلنَّوَى ذُنُوحٌ ، وَأَيُّ ذَخِيرَةٍ لَا تَنْقَدُ
حَمَلَتْ نَفْسَكَ بِاضْعِيفٍ مِنَ الْهَوَى مَا لَيْسَ لِلْجَلْدِ الْخَلْقُ بِهِ يَدُ
وَوَرَدَتْ جَهْلًا مَوْرِدًا لَا مَصْدَرُ عَنْهُ ، فَقَدْ أَهْلَكَ ذَلِكَ الْمَوْرِدُ

(١) أصمى الصيد : رماه فقتل مكانه . والنوافد : السهام النافذة .

(٢) رنقه : كده .

(٣) المراد بالفتح : مرعى الإبل ، من راد النعم فى المرعى ريادة .

(٤) أسعد : أعان . وأنجد : دخل نجداً . (٥) الموعد : يوم القيامة .

أَنى جَسَرْتَ عَلَى الْفِرَاقِ وَأَنْتَ فِي قُرْبِ الدِّيَارِ بِهِمْ مَعْنَى مُكْمَدُ
فَارَقَهُمْ ثَقَّةً بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرَانِ الْأَسَى يَا مُوقَدُ
لَوْ رُضْتُ قَلْبَكَ فِي الدُّنُوِّ بِهِجْرَهُمْ لَعَلِّتَ بَعْدَ الْيَنِّ هَلْ تَجَلَّدُ

(١٢٧)

وقال :

مَا يُنْكِرُ الْأَخْلِيَاءُ مِنْ كَدِّى لَا جَزَعِي مُسْعِدِي ، وَلَا جَلْدِي
خَانَ اصْطِبَارِي ، وَغَاضَ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَابِ دَمْعِي ، وَكَانَ مِنْ عُدْدِي
وَكَلَّمَا أُضْرِمْتَ حَشَايَ لَذَكْرَاهِمُ ، تَأَوَّهْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : قَدَى (١)
فَلَوْ رَمَتِ بِالشَّرَارِ بَعْدَهُمْ أَخْنَاءُ صَدْرِي ، مَا قُلْتُ : وَيْكَ قَدَى
أَحْبَابَنَا ، دَعْوَةً أَحْسَ لَهَا - لَوْ أَسْمَعْتَكُمْ - بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَهْ لِعَيْشِي ، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، وَالزَّمَانُ طَوَّعَ يَدِي
أَيَّامٌ وَرَدَّتْ مِنْ مَاءِ أَوْجْهِكُمْ عَذْبٌ ، وَقَلْبِي بَعْدَ الْوُرُودِ صَدَى
فَفَرَّقْتَنَا النَّوَى ، قَوَاطِمِي إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ (٢) مِنْ بَرْدِ
وَيَا أَيْحَى الْبَرِّي ، أُعِيدُكَ مِنْ لَوْمِي ، فَكُلِّ الْعُقُوقِ فِي فَنْدِي (٣)
أَفْضَى مَعِيَ عِبْرَةَ التَّجْمُلِ إِسْعَافًا لِبَاكِ بَعْبَرَةِ الْكَمَدِ

(١٢٨)

وقال :

دَعُونِي أُجْجُ ، مَا مِثْلُ وَجْدِي يُجْحَدُ عَمْسَى جَمْرَاتُ فِي الْجَوَانِحِ تَمْحَدُ
أَجْشَمُ نَفْسِي كَنْتُمْ مَا أَنَا كَاظِمٌ عَلَيْهِ ، وَمَا لِي بِاللَّذِي رُمْتُ يَدَ

(١) قد : اسم فعل مرادة ليكن ، واسم مرادف لحسب . (٢) العقار : الخمر .

(٣) الوند بفتح الفاء ، والوند : إنكار العقل من الهرم أو المرض وقد يستعمل في غير الكبير .

ووجدى بمن فارقتُ ، لولا تجلدى وما قدّر^(١) ما يُجدى على التجلد !
كوجد ليد ، أو كوجد متمم ومن مالك مع من فقدت وأربد^(٢)

(١٢٩)

وقال :

أيلامُ مسلوبُ الفؤادِ فقيدُهُ جحد الغرام ، فأنبتتُهُ شهودُهُ
والسرُّ في يومِ الوداعِ كأنه قبسٌ تضرمُ في الظلامِ وقودُهُ
ولإذا أقرتُ بالهوى زفرائهُ لم يُغن عنه ، وإن أصرَّ بجودُهُ
برح الخفاء ، وبأن يأسك منهم فإلام أنت جوى الفؤاد عميدُهُ
بيلي الزمان هوى القلوب ، وحبهم لا يضمحل ، ولا يبرث^(٣) جديدهُ
وكان دمعك حين يخطر ذكركم عقد وهى ، فانتال منه فريدهُ
نحكي الغمام : زفيرُ شوقك برقه ونشيج دمعك وبله ورعودُهُ
تبكى لأنبتك الحام ، وطالما هاج الجوى لأبى الهوى تغريدهُ
ياراقد الأجفان عن قلق الحشا ولهان أفدى طرفه نسيدهُ
ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نانى المحل بعيدُهُ

(١٣٠)

وقال :

ولما تصافينا وأخلص ودنا وردَّ يباس كاشح وحسود
طرث هجرة لم تحتسب ، وتقطعت علائق وصيل ، واستمر صدود

(١) في هامش الديوان : " وإن قل " .

(٢) مالك بن نويرة وأخوه مقيم شاعران ذولبيدين ربيعة وأربدين ربيعة شاعران . وانظر القامع (٣٣١) ص ٢١٠

(٣) رث : بلى .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكُنْتُ لَيْلِي الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرُ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادَى ، وَفِي الْحَشَا لِبُغْضِهِمْ نَارٌ تَلْظَى وَقُودَهَا
إِذَا زُرْتُمَا طَالَتْ طَرِيقِي ، وَإِنْ أَعُدَّ "أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي، وَيَدْنُو بَعِيدَهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ يَبْقَى تَضَائِقَتْ ضُلُوعِي عَمَّا تَحْتَنَنْ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ تَسْتَيْتِنَا بَعْدَ أَلْفَةٍ وَمِنْ نَقْلِنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى الْبُعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفِيتُ سَبِيلَهُ عَنْكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارِقَ مَنْ يَهْوَى ، فَأَجْدَى عَلَيْهِ أَنْ قَضَى ^(١) كَمَدَا
بِالْأَمْسِ رَاعَكَ يَنْ مَا احْتَسَبْتَ بِهِ عَسَى الْلقاءُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْهُ غَدَا

(١) قضى : مات .

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِهْرَ جَنَّاتٍ أُلْحِلِدَ : مَا اشْتَهَتْ النُّفُوسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَخَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحَبَّتُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بِنَفْسِي بَعِيدُ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لَوْرَاهُ الْبُعْدُ رَقَّ لِي الْبُعْدُ
يَقْلِبُنِي مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لَيْسَ يُبْرِدُهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدُ أَحْسَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتُ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَهَا بَرَدَ الرَّزْدُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى غُرْبَةَ كَالصَّدِيعِ فِي الْحَجْرِ الصَّلْدِ
وَقَدْ قِيلَ : فِي الْيَأْسِ الشَّمَامُ مِنَ الْهَوَى وَدَانِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ نَجْدِ
بِلَادُهَا صَاحِبَتْ شَرْخَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكَرَامَ ذَوِي وَدَى
إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةً تَدَمَّنْتُ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أَبْنَى

(١٣٧)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ تَوَدَّعِهِمْ وَقَدْ جَرَتْ بِنَجِيعٍ ^(١) فَوْقَ خَدَيَّ مُزِيدٍ :
خُدَى بِنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَدُونَكَ ، وَالِدَمْعَ [الْمُخْضَبِ] ^(٢) فِي غَدٍ

(١٣٨)

وقال :

قَدْ مَرِنْتَ قَلْبُوبُنَا عَلَى النَّوَى فَإِذَا تَسَكَّيَ مِنَ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرَهَا عَلَى لَغَايَ أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّيْدِ

(١٣٩)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس ^(٣) :

أَتَهُمْ فِيكُمْ لَا نَمِي ، وَأُنْجِدَا وَمَا أَقَادَ سَلْوَةً إِذْ فَنَدَا ^(٤)
أَرْشَدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوَّ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَا نَمِي فِيهِمْ ، أَعِذْ ذِكْرَهُمُ وَاللَّوَمَ فِيهِمْ ، وَأَتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا
رُوحَ بَذْكَرَاهُمْ فَوَادَا مُضْرَمًا لَوْ مَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَشْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَسَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زَنَادَا أَصْلَدَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَفَنِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَمْ عَلَى أَتْنِي بِهِمْ مُعْنَى الْقَلْبِ صَبٌّ أَبَدَا

(١) النجيع : دم الجوف . (٢) نكبة يياض بالأصل يثاها يستقيم الوزن ويحمل المعنى .

(٣) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الظاهر الفاطمي ، وهو الذي أتته ولده نصر فقتل الخليفة ، فهربا من مصر .

وصحبهما في خروجهما أسامة .

(٤) أتهم : أتى نهاية . وأنجدا : دخل نجدا . وفند : خطأ الرأي .

لا أَسْتَفِيقُ مِنْ هَوًى لَّا إِلَى
أَفْدَى خَبَالًا زَارَ رَحْلِي مُوَهَّنًا^(١)
عَهْدُهُ مُوسِنًا رَأْدًا^(٢) الضُّحَى
عُلَّالَةً عَلَّيَ الشَّوْقُ بِهَا
ثُمَّ هَبَيْتُ، لَا بَكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدَّهَاً، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصَ فَاتَ الْفَنِيصُ يَدِهِ
أَحَابِبَنَا وَحَبْدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لَاضْطَبَّارِي مَدْدُ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجَوَى
يَا رَوْعَتَا لَطَائِرِ نَاحٍ عَلَى
أُظْنِهِ فَارِقِ الْأَفَّا ، كَمَا
أُدْمَى جِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَهْبِجُ لِلْحَزِينِ بَنُوهُ

ومنها :

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ بَنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَسَرَّهُ أَنْ جَارَ دَهْرٌ وَاعْتَدَى:
أَمَنْتَ أَنْ يَسْرَنَا فَيْكَ غَدًا^(٥)

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .

(٢) رَأْد الضحى : وقت ارتفاع الشمس عند الخس الأول من النهار وانسباط ضوئها وذلك شاب النهار . وموسنا :

من الوسن وهو شدة النوم .

(٣) القدغ : القلابة . (٤) الإسوة بالكسرو تضم : القدوة وما يأتي به الحزين . الجمع : إيسى بالكسر ويضم .

(٥) راجع القطعة (٣٣٢) ص ٢١٠ .

قافية الذال

(١٤٠)

وقال :

صَدُّوه ، وهو صِدَى^(١) الفؤاد إليهم ظالم ، يحوم عليهم ويلوذ
وبعهدهم إن حافظوا ميثاقه زمن الوصال من الصدود يعود
وبلغة المشتان أن همومه مجموعة ، وفؤاده مشدود

قافية الراء

(١٤١)

وقال :

لا غرو إن هجر الخيال الزائر ما يستزير الطيف طرف ساهر
دون الكرى خطرات هم دونه عن ناظري ، فهو النوار^(٢) النافر
لا سورة الصباء^(٣) نصرفه ، ولا يلهمي فؤادي حين يطرق سامر
وإذا فرغت إلى الأمانى صدني بأس يحققه الزمان الخائر^(٤)
أستعطف الأيام ، وهي صرادف وألومها ، وهي المصير الجائر
وتزيدها الشكوى إليها قسوة ولقلنا يشكى^(٥) الظلوم القادر
أشكو حراحات قلبي تعجز الآسى ، ولم يبلغ مداها السابر

(١) الصدى : العكس .

(٢) النوار : المرأة القور من الرية .

(٣) الصباء : الغمر .

(٤) الخنثى : الغدر والخذلة ، أو أفعى الغدر .

(٥) أشكى : أزال شكايته .

غَبِرْتُ عَلَى دَخَلٍ، وَرَوَعَاتُ النَّوَى يَقْرِفُنْ^(١) مَا دَمَلَ الزَّمَانُ الْغَابِرُ
وَعَلَى الرَّاكِبِ، لَوْ أَبَاحَ الدَّمْعُ لِي نَظْرًا إِلَى تِلْكَ الْخُدُورِ، جَاذِرُ
سَارُوا بِقَلْبِ أَسِيرِهِمْ بَعْدَهُمْ مُتَلَدِّدٌ^(٢)، فَهُوَ الْمَقِيمُ السَّائِرُ
غَاضَتْ دُمُوعِي فِي الْمَنَازِلِ وَارْعَوَى صَبْرِي، وَرَاجَعَنِي الرَّقَادُ النَّافِرُ
إِنْ لَمْ أُسَّحَّ بِهَا سَحَابَ أَدْمِجٍ يَنْجَابُ خَشْيَتَهَا الْغَامُ الْبَاكِرُ
أُحْمِلُ الْأَطْلَالَ مَنَّةً عَارِضِ^(٣) وَسَحَابُ دَمْعِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرُ
إِنِّي إِذَنْ بِشُؤْنِ عَيْنِي بَاخِلٌ وَبِعَهْدٍ مَنْ سَكَنَ الْمَنَازِلَ نَادِرُ

(١٤٢)

وقال :

تَنَاءَوْا، وَمَا شَطَّتْ بِنَا عَنْهُمْ الدَّارُ وَمَالَتْ بِهِمْ عَنَّا خُطُوبُ وَأَقْدَارُ
هُمْ جِيرَتِي، وَالْبَعْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ مَنْ هُوَ لِي جَارُ
لَهُمْ مَنَى الْعُتْبَى، إِذَا مَا تَجَرَّمُوا وَبَذَلُ الرِّضَا، إِنْ أَنْصَفُونِي، أَوْ جَارُوا
أَجْبِرَةُ قَلْبِي، وَالَّذِينَ هَوَاهُمْ تَوَافَقَ إِعْلَانُ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
تَظُنُّونَ أَنَّ الصَّبْرَ يُجَدُّ بَعْدَكُمْ عَلَى بُعْدِكُمْ، هَيَّاتَ، صَبْرِي غَمَّارُ
إِذَا عَنْ ذِكْرِكُمْ عَرَّتْنِي سَكْرَةٌ كَأَنِّي سَقَانِي الْبَابِلِيَّةَ نَحَّارُ^(٤)
حَفِظْتُ هَوَاكُمْ حِفْظَ جَفْنٍ لِمُقْلَةٍ وَضَاعَتْ مَوْدَاتُ لَدَيْكُمْ وَأَسْرَارُ
وَعَارُكُمْ أَنْ تَعْتَرِيَكُمْ مَلَالَةٌ وَحَاشِي هَوَاكُمْ أَنْ يُدْنِسَهُ الْعَارُ

(١) القرف : التمسك في المرض . والدخل : الغدو والمكر . والغبر : فساد الجرح .

(٢) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتغير متبدا وتلبث .

(٣) العارض : السحاب الملتصق في الأفق .

(٤) البابلية : عرفت إلى بابل : مكان فالهراق .

أَعَاتِبْكُمْ ، أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدِّكُمْ وَفِيكُمْ عَلَى مَا أَوْجَبَ الْعُتْبَ إِصْرَارُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنِّي أَرِيقْتُ لِرَاقِدٍ وَأَلْزَمَنِي حَفْظَ الْمَوَدَّةِ غَدَارُ
أَحِينَ اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ ، وَاتَّادَنِي الْهَوَى وَأَسْلَمَنِي مِنْ حُسْنِ صَبْرِي أَنْصَارُ
تَصَدَّى لَصَدَّى ، وَاعْتَرَتْهُ مَلَالَةٌ قَضَتْ بِبِعَادِي ، وَالْمَلَالَاتُ أَطْوَارُ
فَهَلَّا وَدَمِعِي ، مَا أَرِيقَتْ جَمَامَهُ^(١) وَتَلْبِي لَمْ تُسْعَرْ بِأَرْجَانِهِ النَّارُ

(١٤٣)

وقال^(٢) :

مَا أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ فَعَلَامَ قَلْبِكَ لَيْسَ نَحْبُو نَارُهُ
إِمَّا السُّلُوْ أَوْ الْحَمَامُ ، وَمَا سِوَى هَذَيْنِ قَسْمُ ثَالِثٍ تَخْنَأُهُ
مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ لِقَاءٍ يُرْتَجَى أَوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى وَنَهَارُهُ
هَذَا وَتُوقُفُكَ لِلْوَدَاعِ ، وَهَذِهِ أَطْعَانُ مَنْ تَهْوَى ، وَتِلْكَ دِيَارُهُ
فَاسْتَبِقْ دَمْعَكَ فَهُوَ أَوَّلُ خَاذِلٍ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَإِنْ طَلَمَا تَيَّارُهُ
مَدَدُ الدُّمُوعِ يَقْلُ عَنْ أَمَدِ التَّوَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ بُلْحَةٍ تَمْتَارُهُ^(٣)
لَيْتَ الْمُطَايَا مَا خُلِقْنَ ، فَكَمْ دِمٍ سَفَكَتَهُ يُنْقَلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
مَا مَاتَ صَبُّ إِمْرٍ إِلَّا نَازِحٍ وَجَدَّا بِهِ إِلَّا لَدَيْهَا نَارُهُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَمَحْتُ سَبِي سَوْقَهَا حَتَّى يِعَافَ دِمَاءُهُنَّ غِرَارُهُ^(٤)
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَيْسِ نَاقَةٌ صَالِحٍ مَا سَاعَنِي أَنَّى الْغَدَاةُ قُدَارُهُ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حد السيف .

(١) الحمام : مظهر الماء .

(٣) امتار : جلب الطعام .

(٥) قدار : عاقرة ناقة صالح .

مَا حَتَفْتُ أَنْفُسَنَا سِوَاهَا ، إِنَّمَا
 وَاهًا مَلْغُوبَ الْعِزَاءِ تَنَاصَرْتُ
 هَاجَتْ لَهُ الدَّاءُ الْقَدِيمَ أُسَاتُهُ
 كَتَمَ الْهَوَى ، حَتَّى وَنَتْ لَوَامُهُ
 وَمَحْجَبِ كَالْبَدْرِ : يَدْنُو نُورُهُ
 يَحْكِي الْغِزَالَةَ وَالْقَضِيبَ قَوَامُهُ
 بِي غُلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظُّلْمَا
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَظَرِي
 إِنْ لَمْ أَمُتْ أَسْفًا عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكَ صَدَّهُ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَى وَيُصْبِحُ فِي لُغْيٍ
 مُتَضَادِّ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى إِفْرَاقَهُ (١)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الدِّينِ مُعْظَمُ دَانِهِ
 فَارَقْتُهُ وَظَنَنْتُ أَنَّ لَيْسَ بَيْنَنَا

لَهَى الْحِمَامُ أُتِيحَ ، أَوْ لِنَذَارِهِ
 أَشْوَاقُهُ ، وَتَحَادَلَتْ أَنْصَارُهُ
 وَنَقَى الْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ سَمَارُهُ
 فَطَفَتْ عَلَى دَمْعِ الْأَسَى أَسْرَارُهُ
 مِنْ عَيْنِ رَائِيهِ ، وَشَأَى دَارُهُ
 وَلِحَاطُهُ ، وَبِهَآؤُهُ ، وَنِفَارُهُ
 وَأَرَى الْوُرُودَ يَذُودُ عَنْهُ عَارُهُ
 مَاءَ الْفُرَاتِ لِأَنَّ بَدَتْ أَكْدَارُهُ
 مَا حِيلَتِي ، وَغَدَاً يَسْطُو مَزَارُهُ
 مَذَقُ (١) الْوُدَادِ عَلَى النَّوَى غَدَارُهُ
 رَوْضًا سِوَاكَ يَشَوْقِي نُورُهُ
 أَبْدَى اللَّجَاجِ ، وَسَاءَنِي لِإِضْرَارُهُ
 عَنْهُ الْعِفَافُ ، فَمَا عَسَى إِيْثَارُهُ
 مِنْ وَجْدِهِ ، يَدِيمُ الْمَطَى أَوَارُهُ (٢)
 وَإِبَانِهِ ، مَا يَسْتَقَرُّ قَرَارُهُ
 فَرَمْتُهُ مِنْكَ بِنُكْسِهِ سِنَجَارُهُ (٤)
 وَشَفَاؤُهُ رُؤْيَاؤُهُ أَوْ أَخْبَارُهُ
 أَمْدًا ، نِظَالَ مَدَاهُ وَاسْتِرَارُهُ

(٢) الأوار: اللهب .

(٤) سنجار : مدينة .

(١) مَذَقُ الْوُد : لم يخلصه فهو مَذَاقٌ وَمَذَاقٌ .

(٣) أفرق من مرضه : برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي ناظري بفراقِهِ ، ما أومَضَتْ أَشْفارُهُ
ظَنًّا سَرَى الإِشْفاقُ في تَرْجيمِهِ^(١) ولربَّما أَرْدَى الشَّفِيقَ حَدَارُهُ
وإذا القُنُوطُ دَجَى عَلَى ظَلامِهِ وَضَحَ الرجاءُ ، ولاَحَ لى إِسْفارُهُ^(٢)
ووثقتُ بِاللُّطْفِ الخَنِيِّ مِنَ الَّذِي تَجْرَى بِما يَلْقَى الفَتَى أَقْدارُهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لما سمعها ، قال : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسرقة ، فقصده التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاعَ الهوى من بعدهم ، وعصى الصَّبرُ فليسَ لَهُ نَهْيٌ عَلَيْهِ ولا أَمْرُ^(٤)
وعاودَهُ الوجدُ القديمُ ، فَشَقَّهُ^(٥) جَوَى ضاقَ عن كِتمانِهِ الصَّدْرُ والصَّبرُ
كَانَ النَّوى لَمْ يَخْتَرِمَ غيرَ شَمْلِهِ ولم يَجْرِ إِلَّا بِالَّذِي ساءَهُ القَدْرُ^(٦)
وهل لِبَنى الدُّنيا سرورٌ ، وإِنَّمَا هو العِيشُ والبُوسَى ، أو الموتُ والقَبْرُ
وكلُّ اجتماعٍ مُرَصَّدٌ لَتَفَرُّقٍ وكلُّ وصالٍ سوفَ يَعقبُهُ هَجْرُ
وما يدفعُ الخُطْبَ المُلِمَّ إذا عرى سوى الصَّبرِ ، إِلَّا أَنَّهُ كاسِبُهُ صَبْرُ
إِسْكَانَ أَكْثافِ العواصِمِ دعوةً بِنِيَّ بَرودًا ، وهى في كَبَدِي جَمْرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : الطَّن .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) مضمّن ليت أبي فراس الحمداني :

(٥) شفه المم : هزله .
(٦) القدر محرّكة القضاء والحكم ، كالقدر يسكون الدال .

(٧) عجز بيت المتنبي :

أريقك أم ماء الغمامة أم نحر بني برودا وهو في كبدي جمر

لقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ فكلُّ زَمَانِي لَيْلَةٌ مَا لَهَا بَقَرُ
أُعَاتِبُ أَيَّامِي عَلَيْكُمْ ، وَمَا لَهَا وَلَا لِلْيَالِي فِي الَّذِي بَيْنَنَا عُدْرُ
لقد صَدَّعْتَ بعد التَّفَرُّقِ شَمْلَنَا كَصَدْعِ الصَّفا، مَا إِنَّ لَهُ أَبَدًا جَبْرُ
وما زالَ صِرْفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
فَوَيْحَ زَمَانٍ فَزَقْتَنَا صُرُوفُهُ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَفَرُّقِنَا نَذْرُ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُم نَبَائِي مَضْجَعِي كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَأَذْهَلُ حَتَّى لَا أُجِيبَ مَنَادِيًّا وَأُبْهْتُ، لَا عَرَفُ لَدَيَّ ، وَلَا يُنْكَرُ^(٢)
وَأُرْمِي فِجَاجَ الْأَرْضِ نَحْوَ بِلَادِكُمْ بِطَرْفٍ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرُ
أَرَأَقَ جِمَامٍ^(٣) الدَّمْعَ فِيكُمْ فَإِنْ دَعَا بِهِ الْوَجْدُ لَبِّي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ قَزْرُ
وَجَانِبَ طَيْبِ النَّوْمِ بعد فِرَاقِكُمْ فَمَا تَلَقَّيْتُ مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شَفْرُ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ يُمِيطُ بِهَا الْقَذَى وَهِيَّاتَ، عَرَضَ الْأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرُ
وَإِنِ وَعَدْتَنِي بِاقْتِرَابِكُمُ الْمُنَى نَهَيْتَنِي عَنْ تَصَدِيقِ مَوْعِدِهَا مَصْرُ
وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالِدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ وَدُونَكُمْ الْأَعْدَاءُ وَاللَّجْجُ الْخَضْرُ

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي (الخماسة ج ٢ : ٦١) :

عجبت لسمي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٢) مضمن قول أبي صخر الهذلي :

وما هو إلا أن أراها بلقاء فأبته لا عرف لدى ولا نكر

(٣) جمام : جمع جم ، وهو من الماء ، معطلة .

مهالك لو سارت بها الریح عاقها السَّوَجَى^(١)، وثناها عن تَفَحُّمِهَا الدُّعْرُ
ولم يبقَ إلا ذكرُ ما كانَ بَيْنَنَا ولا عَجَبٌ للدَّهْرِ أن يُدْرَسَ الذِّكْرُ
وروعةُ شوقٍ تَعْرِينِي إِلَيْكُمْ كما انتَفَضَ العصفورُ، بِلَهِّ القَطْرِ^(٢)
فیاروعنی ، لا تَسْكُنِي بعدُ بَعْدَهُمْ وياسلوةَ الأيامِ ، موعِدُكَ الحُشْرُ^(٣)

(١٤٥)

وقال ،

أَحْبَابَنَا ، ما أَشْتَكِي بعدُ بَعْدَكُمْ سوى أَنِّي باقٍ ، وَلِيَّ حَاضِرُ
وما هَكَذَا يَقْضِي وَقَانِي ، وَلَمَّا جَرَتْ بِهَوَاها لا هَوَايَ المَقَادِرُ
وقد كانَ لِلْبَيْنِ المُشْتِ أَوَائِلُ وليس له ، حَتَّى المَمَاتِ ، أَوَاخِرُ

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عَيْنُ ، في ساعة التَّوَديعِ يَشْغَلُكَ السَّكَاةُ عن لَذَّةِ^(٥) التَّوَديعِ والنَّظَرِ
خَذِي بِحِظِّكَ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وبعْدَهُمْ^(٦) فَاجْهَدِي فِي الدَّمْعِ وَالسَّهْرِ^(٧)

(١) وحى الماشى : إذا حنى ، وهو أن يرق القدم والحافر وينسجح .

(٢) عجزيت أبي حضر :

ولمى لتعرونى لذكراك عزة كما انتفض العصفور بِلَهِّ القطر

(٣) عجزيت أبي حضر :

فياحبها زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعِدُكَ الحُشْرُ

(٤) هذان البيتان رواهما المبدأ أيضا في الخريدة (١٠٤ : ١) ولباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب وفي الأصل « آثر التسليم » .

(٦) رواية الخريدة « ثم اجهدى بدمعهم للدمع والسهر » . ورواية لباب الآداب « ففى غد تفرغى للدمع ... » .

(٧) عر عن هذا المخطوط فى بيتين آخرين ص ٦٦ (وانظر القطعة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مَصْرُ ، مَا دُرِّتَ فِي وَهْمِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتَكَ خَلَوَاتِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ ثَرْبَتَهَا جَسْمِي ، وَلَا فِيكَ أُوطَانِي وَأُوطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمِّتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوًى ، تُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبِينَ ، رَجَايَ طِيءَ بَابِ الْعَيْشِ مُذْ بَشْتُمْ غُرُورُ
أُنْسَنِي الْأَيَّامُ فَكَيفَ يَكُونُ بَعْدَكُمْ السَّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَا دَمْعُ ، انْجِدْنِي عَلَى بُعْدِهِمْ فَقَدْ تَرَى قِلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدَ جَوْيَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحَرَّ نَارًا مِنْ لَفْظِي النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهِبٌ لِلشَّجَى مِثْلَ انْهَمَالِ الْمَدْمَعِ الْجَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أن من كان له
بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأن المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفرنج كل ما فيه ، ولم يصلوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأن ملك الفرنج أعطاهم خمسمائة دينار ، توصّلوا بها إلى دمشق^(١) :

إلى الله أشكو فرقة دَمِيتَ لها جُفُونِي ، وأذَكَتْ بالهموم صَمِيرِي
تَمَادَتْ إلى أن لَأَذَتْ النفسُ بالمني وطارتْ بها الأشواقُ كلَّ مَطِيرِ
فلما قَضَى اللهُ اللّقاءَ تَعَرَّضْتُ مساءً دَهْرِي في طريقِ سُروِي

(١٥١)

وقال :

وَجَدَدَوْجَدِي بعدما كان قد عفا وراجعتني حلي ، ووآزرني صَبْرِي
هتوفُ الضُّحى مَفْجوعةٌ باليفها تَهَيَّجُ أشجانَ الفؤاد ، وما تَنْدَرِي
ولو أنّها إذْ أُعولتْ فاضَ دمعُها لقلتُ : هي الخنساء ، تَبْكِي على صَخْرِ
ولكنّها لم تُذرْ دمعاً ، وأدمعِي إذا قرّنت بالقطر زادت على القَطْرِ

(١٥٢)

وقال :

كَأَنِّي بِجَوْلٍ^(٢) ، أو تَكْوُلٍ ، إذا جرى بسمعي عن غيرِ اعتِمادٍ لَكُمْ ذِكْرُ
ولو أسعفتني مُقْلَتَايَ بِقَطْرَةٍ شَفَتْ داءَ أحشائي ، ولو أنّها قَطْرُ^(٣)

(١) رويت الأبيات الثلاثة في الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) الجول : الواله من النساء والإبل .

(٣) القطر بالكسر : النحاس الذائب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نَاوَا ، فَأَدْنَتَكَ مِنْهُمْ الذِّكْرُ وَمَثَلَتْهُمْ لِقَدِّكَ الْفَكْرُ
يَرَاهُمُ بِالْوَدَادِ قَلْبِي ، عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمْ النَّظَرُ
وَحَسَرْتِي أَنْبَى أَنَا الْمَعْرُضُ النَّافِي ، وَمَا أَعْرَضُوا ، وَلَا هَجَرُوا
بُعْذْتُ عَنْهُمْ ، إِذْ كُلَّ عَصْرِهِمْ بِهِمْ رِبْعٌ ، وَلَيْلُهُ سَحَرٌ
وَنَافَسْتِي الْأَيَّامُ فِيهِمْ ، وَجَنَى الْعَيْشِ دَانٍ ، وَرَوْضُهُ نَضْرٌ^(١)

(١٥٤)

وقال :

غَرَضْتُ^(٢) مِنَ الْهَجْرَانِ ، وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَمْ يَتَعَمَّدَنَا بَفَرَقْنَا الدَّهْرُ
فَلَبَّا تَفَرَّقْنَا ، وَشَطَّتْ بِنَا النَّوَى تَمَنَيْتُ لَوْ دَامَ التَّجَاوُرُ وَالْهَجْرُ

(١٥٥)

وقال :

وَصَفَ الصَّبْرَ لِي جَهْلٌ بِأَمْرِي فَارْغُ الْبَالِ مِنْ هُمُومِي وَفِكْرِي
مَسْتَرِيحٌ مَا قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي لَا ، وَلَا دَهْرُهُ ظُلُومٌ كَدَهْرِي
مَالَهُ بِالْهُمُومِ عَهْدٌ ، وَلَا اضْطَرَّ إِلَى الصَّبْرِ بِاقْتِسَارٍ وَقَهْرٍ
وَأَنَا ، الدَّهْرُ ، فِي خُطُوبِ زَمَانٍ أَشْرَبُ الصَّبْرِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ صَبْرِي
صَارَ لِي عَادَةٌ ، فَلَوْ ضَاقَ رَحْبُ الْأَرْضِ عَنِّي ، مَا ضَاقَ بِالصَّبْرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الغرض محرقة : الضجر والملال . غرض كفرح .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

في ذلك الحىّ المُعرِّض لى هوىّ ودّعته حذرا بطرفٍ مُعرِّض
أحشى عليه الكاشحين ، فكأهم غَضبانُ يُسَخِّطُه هَوَانَا ، لَارِضِ
فتلفت عيني المريضة بالبكا والين ، تأملُ نظرةً من مُمرضى
وقبأهم فى الآل^(١) تطفو مثلها يطفو الحبابُ على الرحيق الأبيض
حتى إذا يثست دعت زفرائها فيض المدامع بالشجا المتعرِّض

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من تصبده في الملك الصالح رحمه الله :

أجيرة قلبى ، إن تدانوا ، وإن شطوا ومُنية نفسى ، أنصفوني أو اشتطوا^(٢)
عصبت اللواحى فيكم ، وأطعتم مقالمهم ، ما هكذا فى الهوى الشرط
ولو علموا مقدار حَتَايَ منكم وهى بكم زال التنافس والغبط^(٣)
إذا كان حظى منكم فى دنوكم صدودٌ وهجرٌ ، فالتداني هو الشحط^(٤)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصبة معارضة لقصبة أبى العلاء :

لن جيرة سموا النوال فلم ينطوا يظالمهم ما ظل يئنه الخط
وشط : بعد . واشتط : جار .

(٣) الغبط من قولهم : غبطت الرجل أغبطه إذا تمنيت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسدان تريد إزالتها عنه .

(٤) الشحط : البعد . يقال شحطت الدار ، إذا بعدت .

فيا قلب مهلاً ، لا تُرَخ ، إِنَّ قُرْبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لا البعد يُبْلَى جَدِيدَهُ
أَحِبُّهُمْ حُبِّي الحَيَاةَ ، مَحَبَّةٌ
لَهُمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ والهَوَى
يُعْلَانِي شَوْقِي بَزْوَرَةٍ طَبِيفِهِمْ
وَطَرَفِي يُرَاعِي النَّجْمَ حَيْرَانَ مثله
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرَحَالِنَا
وكَيْفَ فَرَى عَرَضَ الْفَلَاحِ مِنْ يَثُودِهِ
فلما اسْتَفَاضَ الْفَجْرُ كَالْبَحْرِ ، وَانْبَرَتْ
أَسْفَتْ عَلَى زَوْرٍ^(٨) أَتَانِي بِهِ الْكَرَى
إِذَا مَاسَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالٍ عَقُولَنَا
يَقُولُونَ : خُوطٌ ، أَوْ قَنَاطَةٌ قَوْمِيَّةٌ
شَبِيهَةٌ أُمُّ الْخَشْفِ^(٩) جِيداً وَمُقَلَّةٌ
تَرَوُّضٌ جَوْجِيَّةٌ ، وَتَضَوَّعَتْ
حَكِي وَجْهُكَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى

إِذَا هَجَرُوا ، مِثْلُ التَّنَانِي إِذَا شَطُّوا
لَدَيْنَا ، وَلَا عَالِيَهُ بِالْهَجْرِ يَخْطُ
جَرَتْ فِي دَمِي وَالرَّوْحُ فَهِيَ لَهَا خَلْطٌ^(١)
أَحْضُ هَوَاهُمْ فِي سُودَانِهِ وَخَطٌ^(٢)
وَجَبُّ الدُّجَى عَنْ وَاضِعِ الصَّبْحِ مَنْحَطٌ^(٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ فِي مَغَارِبِهِ الْهَبَطُ^(٤)
وَكَمْ لِلْوَى مِنْ دُونِ تَعْرِيسِنَا سَفَطٌ^(٥)
وَيَهْرُهُ^(٦) فِي جَانِبِ الْخَلْدِ أَنْ يَخْطُو
نُجُومُ الدُّجَى فِيهِ تَغُورُ ، وَتَنْغَطُ^(٧)
وَمَا زَارَنِي مُذْ كَانَ مُسْتَقِظاً قَطُّ
وَخَامَرَهَا مِنْ سُورَةِ الْوَجْدِ اسْتَفْنَطُ^(٨)
وَمَا قَدَّهُ مَا يُنْبِتُ الْبَانُ وَالْخَطُ
بِجِيدِكَ تَزْدَانُ الْقَلَانِدُ وَالْقُرْطُ
رُبّاً مَسَّهَا ، مِمَّا تَسْرِبَلْتِ ، مَرُطٌ^(٩)
وَلَوْ الدِّيَابِجِي شَعْرُكَ الْفَاحِمُ السَّبَطُ

(١) الخلط بالكسر : كل ما خالط الشيء .

(٢) في الأصل (منخط) ولعل الصواب ما اختارناه .

(٣) يشير إلى قول امرئ القيس :

فقابك من ذكرى حبيب ومنزل

(٤) فري : شق . ويثوده : يبلغ منه المجهود . والبحر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٥) غطه في الماء : غمسه ، فاذنط .

(٦) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم وتوم بمعنى صام ونام .

(٧) الاسفطنط بكسر الهمزة وتفتح : الخمر .

(٨) الخشف مثلثة : ولد الظبي أول ما يولد .

(٩) المرط بكسر الميم : كساء . من صوف أو خز .

فتكت ببتاك الحُسام، إذا هوى
وما خلت آساد الشرى إذ تبهتست^(١)
فيا عجباً من فاطر الطرف، فاتن
فأرداه فرد الحُسن فرداً، وإنه
أيا ساكني مصر، رضانا لبعدكم
إذا عن ذكراكم ظلت كأتى
والزيم كفى صدع قلب، أطاره
فهل لي إليكم، أو لكم بعد بعدكم
أراكم على بعد الديار بناظر
إذا عاين التوديع أرسل لؤلؤاً
وما شفه إلا نوى من يوده
فراق أتى لم تخبر الطير كونه
تلقتني منى سُلطة^(٢) وصرمة^(٣)
وما كنت أدري أن للشوق زفرة
على مفرد ثنائه^(٤) في المعرك القط
فرانس غزلان الصريمة^(٥)، إذ تعطو^(٦)
سطاً بكى^(٧)، لم يزل في الوعى يسطو
ليربه من رهط قاتله الرهط
عن العيش والآيام - لا تبعدوا - سخط
غريق بحار ما لجنتها شط
جوى الشوق، لولا أن تداركه الضبط
إياب، فقد طال التفرق والشط
لكل فراق من مدامعه قسط
من الدمع لم يجمع فرائده اللقط
وفرقة آلاف هي الميتة العبط^(٨)
ولا رفعوا فيه الحدوج^(٩) ولا حطوا
ومن لي أتى بعد وشك النوى سلط^(١٠)
تزيد، كما ينمى، ويضطرم السقط^(١١)

(١) أى أن حسامه الباتك يشق الشخص نصفين . والقط والقذ والبتك : القطع .

(٢) تبهتست : تيجت . والبهتس : التبختر والأسد يبهتس في مشيه ويبهتس أى يتبختر .

(٣) الصريمة : القطعة الضخمة من الرمل تنصرم عن سائر الرمال .

(٤) تعطو : تناول . عطوته أعطوه إذا تناوته .

(٥) مات عيلة : إذا مات شاباً صحيحاً .

(٦) الحدج بالكسر : مركب للنساء كالخفة وجمعه حدوج وأحداج .

(٧) الصريمة : العزبة .

(٨) السلط . العديد من كل شئ .

(٩) السقط مثالة : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوردى .

بِرَغْمِي أَنْ تُنْسَى وَتُصْبِحَ دُونَكُمْ فَيَا فِ، لِأَيْدِي الْجُرْدِ فِي وَغَرِهَا لَغَطُ^(١)
وَأَنْ تَنْزِلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلَى وَجِيرَانُكُمْ بَعْدَ الْكَرَامِ بِهَا الْقَبْطُ^(٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوَى لَمْ أَجِدْهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولُ الْبُكَاءِ يُمِيطُهُ
وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بَسْوِيْفَهُ أَذْكَى جَوَاهُ قُنُوطُهُ
أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعِدُ مِنْ دَمٍ فَلَمَّا تَقَضَّى قَاضٍ مِنْهَا عَيْطُهُ^(٣)

قافيه العين

(١٥٩)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرِكُمْ نَفْسٌ تَقُومُ لَهُ حَنَائِيَا أَضْلَعِي
أُنْسِيْتُ بَعْدَكُمْ السُّرُورَ ، وَأُنْكِرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا بَجَنِّي مَضْجَعِي
أَلْقَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تِلْقَائِكُمْ بِخُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّةٍ مُوجِعِ
وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَنَارُ بُرُوقِهِ مِنْ زَقَرَتِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمُعِي

(١) اللفظ ويحرك : الصوت والجلبة أو أصوات مبهمة لا تفهم ج ألفاظ . والجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(٢) انظر تمام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم وزعفران عيط ، بين العيلة بالضم : طرى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلبُ ، دَغَمُ ، فقد جَرَبْتَ غَدْرَهُمْ وفي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَى ما يَزَعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ ما جَنَوَهُ ، أَمِ السَّيِّئُ أَسْنَكَ بَعْدَ الْيَنِّ ما صَنَعُوا
وَهَبَهُمْ أَحْسَنُوا ، هَلْ يُرْجَعُهُمْ إِلَيْكَ وَجْدُكَ ، أَوْ يُدْنِيهِمُ الْهَلَعُ
أَلَسْتَ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّبَابَ ، وَلَا أَعَزَّ مِنْهُ ، فَلَمْ لَا رَدَّهُ الْجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إِلَى مَتَى أُمْسَى وَأُضْحَى بِالنَّوَى مُرَوَّعًا
مُرْتَحِلًا كُرْهَا عَنِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ مُودَّعًا
تَرَى اللَّيَالِي تَذَرْتُ أَلَّا نَرَى يَوْمًا مَعًا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أَبُو المَعَالِي عَبْدُ العَزِيزِ بنُ الحُسَيْنِ المَعْرُوفُ بابن
الْجُبَّابِ^(٢) ، رَحِمَهُ اللهُ ، قَدْ مَدَحَ الْمَلِكُ الصَّالِحَ بِقَصِيدَةٍ ، أَوَّلُهَا :

أَرَأَيْتَ بَيْنَ مَعَاظِفِ الْأَجْرَاعِ وَمَضَانَ ذَاكَ الْبَارِقِ اللَّمَّاعِ
فَنَفَذَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَيْهِ نُسخَتَهَا ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَهَا بِقَصِيدَةٍ عَلَى
وزنها ، وقافيتها ، فعَارِضَهَا بهذه القصيدة وأَوَّلُهَا :

ما أَنْكَرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَمَاعِي شَوْقُ دَعَا ، أَفَلَا أَجِيبُ الدَّاعِي !
أَجِيبُ دَاعِي الْحَرْبِ فِي غَمْرَاتِهَا وَيَصُدُّ عَنْ دَاعِي الْغَرَامِ سَمَاعِي !

(١) يزع : يدفع . وذلك بحزبتين للثاني صدره : أهل الحفيظة إلا أن تجر بهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والنكت المصرية (ابن الجباب) .

هَيَاتَ ، مَا تَأْتِي لِأَوَّلِ سَلْوَةٍ عَرَضَتْ ، وَلَا نَاهِي النَّهْيِ بِمُطَاعٍ
أَفْدَى الدِّيَارَ ، وَسَاوَيْنِيهَا ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْأَحْبَةُ ، وَالرِّبَاعُ رِبَاعِي
سَلَبَتْنِي الْأَيَّامُ نِعْمَةً تُرِيهِمْ وَمَوَاقِبُ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ
فَنَزَعْتُ^(١) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ حَتَّى اللَّقَاءِ تَشْوِيقٍ وَزَعَايَ
أُودِعْتُ عَهْدَهُمْ عَلَى شَحْطِ النَّوَى قَلْبًا لَدَيْهِ الْعَهْدُ غَيْرُ مَضَاعٍ
قُلْ لِلْوَانِمِ : لَسْتُ بِالرَّاعِي الْهَوَى إِنِّ مَرَّ لَوْمَكُمُ بَسْمُجٍ وَاعٍ
كُفُّوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أَبْنَاءِ الْهَوَى مُسْتَعَذِبُ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ
أَيْنَ السُّلُوْ مِنْ الْمَرْوَعِ دَهْرَهُ بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعٍ !
هُوَ وَالْأَحْبَةُ ، كَالْأَصَائِلِ وَالضُّعَا لَا يَحْظِيَانِ بِسَاعَةٍ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(١٦٣)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاقِ ، دَعْنُهُ ، فَقَلَّهَا يُصْنَعِي إِلَى نُصْحٍ وَوَعِظٍ بَالِغٍ
تَلَحَّى الْحَبِّ ، وَقَلْبُهُ مِلَانٌ مِنْ حَسْرَاتِهِ ، عَيْبًا ، بَقَلْبٍ فَارِغٍ
دَغِ لَوْمَهُ ، فَكَفَاهُ تَعْذِيبُ الْهَوَى وَاسْتَنْقِ عَاقِبَةَ النَّعِيمِ السَّائِغِ

قافية الفاء

(١٦٤)

وقال :

أَسِيرُ نَحْوِ بِلَادٍ لَا أُسْرِيهَا إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هَيْجَتُ أُسْفَى
تَطُولُ أَرْضِي ، إِذَا يَمْتَمَّتْ سَاحَتَهَا بُغْضًا لَهَا ، ثُمَّ تُطَوَّى عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(١) نزع عنه : انتهى عنه . ونزع إليه : اشتاق .

(١٦٥)

وقال :

يَا لَانِّمِ الْمَشْتَاقَ ، تَعْنِيفُ الْمَشْوِقِ الصَّبُّ عُنْفُ
انْظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجْفِنِ لَا يَجِفُّ
وَسَقَامِ جَسْمِ كُلِّ سَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَشْفُ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ فَلَلِكِرَا مِ عَلَى أُولَى الضَّرَاءِ عَظْفُ

(١٦٦)

وقال ، وكان يلزمه بنصيين خياطُ اسمه مهدي ، يُحِيطُ ثياباً للغلمان
ولا يزالُ يحدثُه حديثَ معاشه ومكسبه :

أَحَابَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْحَفَا
فَلَنِّي أَرَى النَّوَى مِنْ الصَّدُودِ أَتْلَفَا
سَتَّتِ الْآيَامُ ظُلُمًا شَمَلْنَا الْمُؤْتَلَفَا
وَكَدَرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
وَأَوْقَفْتَنِي بَعْدَكُمْ مِنْ النَّوَى عَلَى شَفَا^(١)
حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَفَى
وَصَارَ بَعْدَ الْيَمِينِ نَدَى مَانِي مَهْدَى ، وَكَفَى
كَأَنِّي اعْتَضْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ الصَّدْفَا

(١) يريد : على شفا الهلاك .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهم الودَّ، إن صدُّوا، وإن صدُّوا^(١) إنَّ الكرامَ إذا استعطفَتْهم عَطَفُوا
ولا تُردُّ شافعاً إلا هواءك لهم يكفيك ما اختبروا منه ، وما كَشَفُوا
به دنوت ، وإخلاصُ الهوى نَسَبُ كما نأيت ، وإفراطُ الهوى تَلَفُ
رأى الحسودُ تداني ودنا ، فسعى حتَّى غَدَتْ بَيْنَ دَارَيْنَا نَوَى قُدْفُ
وما البعيدُ الذي تنأى الديارُ به بل مَنْ تداني ، وعنه القلبُ منصرفُ
أجيرة القلب ، والفُسطاطُ دارهم لم تُصَقِّبِ الدَّارُ، لكنْ أَصَقَّبِ الكَلْفُ^(٢)
أدنى التداني الهوى ، والدَّارُ نازحة وأبعدُ البعدِ بين الجيرة الشَّنْفُ^(٣)
فارتكم مكرها ، والقلبُ يُخبرني أنْ ليس لي عِوضٌ منكم ، ولا خَلْفُ
ولو تعوّضْتُ بالدنيا غُيْتُ ، وهل يعُوضُني من نَفْسِ الجوهر الصَّدْفُ
ولستُ أنكرُ ما يأتي الزَّمانُ به كُلُّ الوري لِرِزَايا دهرهم هَدْفُ
كم فاجأتني اللَّيالي بالخطوب ، فما رَأَتْ فُؤَادِي من رِوعَاتِهَا يَجْفُ
واسترجعت ما أعارت: من مواهبها فَا هَفَايَ عَلَى آثَارِهِ اللَّهْفُ^(٤)
ولا أسِفْتُ لأمرٍ فاتٍ مطلبه إَكْنَ لُفْرِيقَةٍ من فارقته الأَسَفُ^(٥)

(١) صدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصقبت دارهم : دنت . والكلف : شدة الحب .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكر له .

(٤) اللهف : الحزن والتحسر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ ص ١٧٩

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعتاضٌ ، ولا خَلْفُ فكيف يصبرُ عنهم قلبك الكَلْفُ
 إن جَارَ صَرَفُ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِهِمْ فليس عنهم ، على الحَالَاتِ ، مُنْصَرَفُ
 هُمُ الْهُوَى ، إن تَنَاءَوا عَنْكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ الْمُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوَدِّ أَوْ صَدَفُوا^(١)
 لَا تَعْتَذِرُ بِالنَّوَى ، إنَّ الْهُوَى أَبَدًا سَيَّانٍ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالنَّوَى الْقُدُفُ
 فَالشَّوْقُ تُطْوِي لَهُ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ ، كَمَا تُطْوِي إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
 جَاهِرٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ اللَّائِمِينَ ، وَبِحُجْ بِحُبِّهِمْ ، إنَّ كَتْمَانَ الْهُوَى تَلْفُ
 فَكَاتِمُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَمْدٍ فَنَهْ لِإِصَابَاتٍ ارْدَى هَدَفُ
 كَسَاتِرِ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، تُحْرِقُهُ يَوْمًا وَتُنْكَشِفُ
 هَلْ يَحْتَنِي الْحُبُّ ، أَوْ يُغْنِي الْجُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهُوَى أَجْفَانُكَ الدُّرُفُ
 كَمْ مِنْ هَوًى لِلْمُعَالِي فِيهِ رَتَبَةٌ مَنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرَفُ
 وَبِحِجِّ الْمَفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَازِرُهُ وَلَا تَشْتَتِ شَمْلِ الْحَيِّ يَأْتَلِفُ
 يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغَفًا وَقَلْبًا يَتَلَقَّى الْيَأْسُ وَالشَّغْفُ
 عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ شَوْقِهِ ، وَارَى أَنْ سَوْفَ يَنْهَارُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ الْجُرْفُ
 يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَّمُوا^(٢) بَيْنَهُمْ ، وَعَنِ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
 تَقْدِيرُكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْضَى لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(٣)
 حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وَحَشَا لِلْوَجْدِ تَرْتَجِفُ

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَالِي يَرِقْ إِذَا شَكُوتُ بَيْتِي ، أَوْ أُرْدَانِي أَلْهَفُ
أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ ثِقَةً بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالتَّنْفِيزِطِ مُعْتَرِفُ
فَارَقْتُهُمْ ، وَهُمْ عَصَرُ الشَّبَابِ ، وَمَا مِنْ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصَرِهِ خَلْفُ
وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ مَنِي هَوَى بِسَوِيدَا الْقَلْبِ مُلْتَحِفُ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ أَعْتَقُوا مَلَكْتَهُمْ رِقِّي ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى
لَهَجُوا بِهَجْرِي فِي الدُّنُو ، كَانَتْهُمْ أُمُشِّي بِاللَّحْظِ خَوْفَ رَقِيبِهِ
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالِي مِنْ صَبْرِهَا
لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وَدُنَا مَا رَنَقُوا^(٢) فَأَبَى اعْتِسَافُ^(٣) جَمَاهِمُ أَنْ يَرْفُقُوا
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ وَالْدَمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
فَالآنَ لَسْتُ مِنَ الْتَفَرُّقِ أَفْرُقُ هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالِي مِنْ صَبْرِهَا
مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلَكَ أَشْنُقُ

ومنها :

وَيَهْجِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابَتِي وَرَقَاءَ مَا دَرَبَا قَضِيبُ مُورِقُ
عَجَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَنِينِ ، وَلَمْ يَهْنُجْ شَوْقُ الْقُلُوبِ كَالْعَجْمِيِّ يَنْطِقُ
بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ وَدَمْعُهَا حُبْسَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٢ .

(٢) رَقِي : كَذَر .

(٣) الاعتساف : الظلم .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَبِّكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّكَابُ بِهِ ، وَيَبْدُ سَمَلَقُ^(١)
 مَلَّ السَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَعَرَسُوا وَالشَّوْقُ يُوضِعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعْنِقُ^(٢)
 قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطَى ، وَحَنَّا أَشْوَاقُهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
 بَارَتْ مَطَارِحَ لِحْظِهَا ، فَيَحَالُهَا الرَّانِي ، تَسَابَقَ لِحْظُهَا وَالْأَسْوَقُ^(٣)
 تَشْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشْوَقُ
 مَعْقُولَةٌ يَبْدُ الْغَرَامِ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفْتَدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُوقُ
 مُنِيتَ بِتَحْمِلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَجَشَّمتْ مَا لَا تُطِيقُ الْأَيْتُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا تَلْبُ ، كَمْ يَسْتَخْفُكَ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
 أَكَلْ هَذَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجْدِي عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفَرْقُ
 أَيْنَ تَصُونُ الْأَسْرَارَ فَيْكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فَيْكَ وَالْحُرْقُ
 لَكَ التَّائِبِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ الدَّهْرُ بِشَمَلِ الْجَمِيعِ ، فَافْتَرَقُوا
 مَا أَنْتَ بِدَعٍ فِي سَخِطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى الدَّهْرِ سَاخِطٌ حَقِيقُ
 دَعٍ ذَا ، فَفِيهِ عَن لَوْمِنَا صَمٌّ وَهُوَ بِنَا - مَا عَلِمْتَهُ - عُقُقُ^(٦)

(١) سَمَلَقُ : قاع مصفف . والمهمه : المفازة البعيدة . ومتقاذف : تذف السائر بها من مكان إلى آخر .

(٢) أَوْضَعْتُ النَّاقَةَ : أَسْرَعْتُ فِي سَيْرِهَا . وَأَعْنَقُ : أَسْرَعُ .

(٣) الْأَسْوَقُ : جَمْعُ سَاقٍ .

(٤) جَمْعُ نَاقَةٍ . وَانْظُرْ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ ص ١٢٧ .

(٥) الْخُرْقُ بِالضَّمِّ وَالتَّحْرِيكِ : ضِدُّ الرِّقِّ ، وَالْأَيْحَسْنُ الرَّجُلُ الْعَمَلُ وَالتَّصَرُّفُ فِي الْأُمُورِ ، وَالْحَقِيقُ .

(٦) عَقَى : ضِدُّ بَرٍّ ، فَهُوَ عَاقٍ . وَعَقَى وَعَقَقَ مَحْرَكَةً وَبَضْمَتَيْنِ .

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ قَلَى
هَناكَ بُرْذُكَ مِنْ دَائِي، وَمَنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنَّ الْحَبَّ مَوْرَدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي ، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى ، لَا هَوَى الْقَيْسِينَ ^(١) ، إِنَّهُمَا
فِنْ بَقِيْتُ ، وَبِي مَابِي ، فَقُلْ : رَجُلٌ
وَإِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرِيحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِبَارِي عِنْدَ نَائِبَةٍ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْفِرَاقِ ، وَمَا
نَا غَدَوْتُ شَمْلٍ غَيْرِ مَجْتَمِعٍ
وَلَا تَبَسَّمْتُ ، أَبَدِي لِلْعَدَا جَلْدًا
وَقَدْ غَرَضْتُ ^(٢) بِعَيْشِي مِنْ مُفَارَقَتِي

أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الدَّفُوقِ
وَنَوْمُ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي ، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ ، فَذُقِ
سَدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي ، وَفِي خُرْقِي
مِنْ مُدَّعٍ لَمْ يُعَالِجْهُ ، وَمُخْتَلِقِ
عَاشًا مَلِيًّا . وَذَا مُرِفٍ عَلَى رَمَقِي
فِي الْمَيْتِينَ ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
فَيَا هَلَا مَنَّةً لِلْوَتِ فِي عُنُقِي
وَلَا فُؤَادِي بِخَفَاقٍ ، وَلَا قَلْقِي
مَالَا أَطْلِقُ ، فِعَالٌ الْقَادِرِ الْحَنِقِ
بِقَاءُ صَبْرِي مَعَ الرُّوعَاتِ وَالْفَرَقِ
إِلَّا وَرُحْتُ بِـهـمٍ غَيْرِ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَقِ
أَغْرَأُ رُوعَ طَلَقِ الرَّاحَتَيْنِ تَقِي ^(٣)

(١) القيسان : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح .

(٢) غرض كفرج : ضجرومل .

(٣) باقى النصبة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

وَمَاءً وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً وَطَرَفِي وَقَلْبِي أَدْمَعُ وَخُفُوقُ
بَكَيْتُ ، فَاضْحَكْتُ الْوُشَاةَ شَاتَةً كَأَنِّي سَحَابٌ ، وَالْوُشَاةُ بَرُوقُ

(١٧٣)

وقال :

أَلِفَ الْقَلَى ، وَأَجَابَ دَاعِيَةَ النَّوَى فَلَبِيتُ مِنْهُ بِهَجْرَةٍ وَفَرَاكِ
وَالصَّبْرَ رَاحَتَهُ الْبُكَاءُ ، وَمُدْنَائِي إِنْسَانُ عَيْنِي أَنْجَحَتْ آمَاقِي
لَوْ كُنْتُ أَطْمَعُ فِي بَقَاءِ عُهُودِهِ سَكَنْتُ بِلَابِلُ قَلْبِي الْخَلْفَاقِي

(١٧٤)

وقال :

رَفَقًا بِقَلْبِ الصَّبِّ ، رَفَقًا هُوَ دُونَكُمْ بِالْيَنِ يَسْقِي
لَا تَحْسَبْنَهُ يَا خَلِيَّ الْقَلْبَ بَعْدَ الْبُعْدِ يَبْقَى
فِي زُمَرَةِ الشُّهَدَاءِ يُحْشَرُ فِي غَدٍ ، إِنْ مَاتَ عَشَقًا

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أَقُولُ لِلْعَيْنِ فِي يَوْمِ الْفِرَاقِ ، وَقَدْ قَاضَتْ بِدَمْعٍ عَلَى الْخُلْدَيْنِ مُسْتَبِقِ
تَزَوَّدِي الْيَوْمَ مِنْ تَوْدِيْعِهِمْ نَظْرًا فَنِي غَدٍ تَفْرُغِي ^(٢) لِلدَّمْعِ وَالْأَرْقِ ^(٣)

(١) هذه القصيدة مما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . ومسالك الأبحار ١٠ : ٥٠٣ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا العاطف في بيتين سبقا ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ . وما ردم ١٣٧ و ١٤٦ .

(١٧٦)

وقال :

مَنْ مُبْلَغُ الثَّانِي المَقِيمِ نَحْيَةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَهَجٍ مَعَ الْيَأْسِ الْمُبِينِ بِذِكْرِهِ قَلْبِي الْحَسَا لِبِعَادِهِ خَفَافِهِ
وَهُوَ الْخَلِيقُ بَأَن يَمُوتَ كَأَبَةٍ لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٧٧)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَالِي إِلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقُهُ
فَهَلْ نَظَرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بُعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الْفَوَادِ مَشْوُقُهُ

(١٧٨)

وقال :

إِنْ تَقْطَعِ الْأَيَّامُ مِنْكَ عَلاَتِقِي فَأَنَا الْمُوَاصِلُ بِالْوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ رَغْبِهِ وَمَنْ الزَّيَّارَةُ بِالْخِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ فِيهَا التَّجْمُلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأَمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلَمًا يَحْطِى الْمُفَارِقُ بِالرَّفِيقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغْنِيَنَّ صَمِيَّ عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الْجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي الْخَافِقِ
هَبْنِي^(١) أَكْفَكْفِ زَفَرَتِي وَمَدَامِي مَا حِيلَتِي ، وَشَجَا التَّجْمُلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالْحَمَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنَوِّحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَفْغَرْ لَهَا فَمَّ نَاطِقِ

(١) هذا البيت وما بعده اختيار الأسماء في مسالك الأبحار (١٠ : ٦٠٣) .

(١٧٩)

وقال :

طَالَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفَتْنَا قَالَهَا قُصِرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَقَا !
كَأَنَّ الْمَاءَ سَهْلٌ حِينَ تُهْرَقُهُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْهَرَقَا
لَكِنَّ قُدْرَةَ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ ^(١) عَنْ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَقَا ^(٢)
يَرُدُّ شَمْلِي بِمَجْمُوعَا ، وَقَلْبِي مَسْرُورَا ، وَيَأْبِسَ عُودِي كَاسِيَا وَرَقَا

(١٨٠)

وقال :

بِالْغُورِ أَهْلُكَ يَا بُيْنَ ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ ، فَأَيْنَ أَيْنَ الْمُلتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لَزِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هَوْلُ الْمُرْتَقَى
كَمْ شِمْتُ بَرَقًا مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْءَهُ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَخْفَقَا
فَعَلَامَ أَجَزَعُ لِلْفِرَاقِ ، وَلِمَئِي لَأَرَاهُ أَرْأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تُرْزِمِي ^(٣) وَلَمْ تَحْنِي يَا نَاقَ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَمَتِ الْجَوَى وَالْأَشَوَاقُ
هِيَ النَّوَى ، فَمَا غَنَاءُ الْإِشْمَاقِ تَقَسَّمَتْنَا بِالشَّتَاتِ الْآفَاقُ
كَأَنَّهَا خَلَقٌ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدْمَى الْبُكَاءُ الْآمَاقُ
أَصْغَبَتِ الدَّارُ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقُ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقُ
كَالْبَرَقِ ، مُشْبِوبِ الضَّرَامِ خَنَاقُ

(١) في الأصل الضياء. تحريف والصواب لانه مرهف متبنا في هامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . (٣) أرزمت الافة : حنت على ولدها .

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِرَانَ النَّقَا هَلْ لَنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ مُلْتَقَى
عَانَتَا^(١) الدَّهْرُ ، فَأُضْحَى شَمَلْنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقَا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدَّ صَفِيرَ الْعَيْشِ طَرَفًا رَنَقَا^(٢)
كُلُّ شَيْءٍ غَيَّرَتْ مِنِّي النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالْحُرَقَا
خَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، فَآلَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغِطُّ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

وقال :

أَشْتَاكُم ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَتَشَوَّقِي
فَمَتَى أَفِيقُ ، وَبَعْدُكُمْ يُذَكِّي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ نَلْتَقِيَ ؟!

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَايَ "رُؤْيَقَةَ" ، إِنِّي إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزِّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَلْتَذُّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "زُؤْيَقَةُ" - رَوْتُقُ
إِذَا بَرَزْتُ بَيْنَ النِّسَاءِ حَسِبْتَهَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْرِقُ
تُنَازِعُهُمْ تَزْرَأُ عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَتُعْرِضُ عَنْ لَمَعِ الْحَدَثِ وَتُطْرُقُ

(١) عَانَتَا : حِيدَنَا . (٢) الطَّرَقَ : الْمَاءَ الَّذِي خَوْضَتَهُ الْإِبِلُ وَبَوَّلَتْ فِيهِ كَالْمَطْرُوقِ . وَالزَّقَى : الْكَدَرُ .

(٣) رَقَا الدَّمْعُ : جَفَ .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال ^(١) :

نَافَقْتُ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَاحِكُ جَدْلٍ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي كَدِيبٌ ، مُكَمِّدٌ ، بَاكٍ
وَرَاحَةُ الْقَلْبِ فِي الشَّكْوَى ، وَلَذَّتْهَا لَوْ أَمَكَنْتَ ، لَا تُسَاوِي ذِلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَى كَدَّ عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِ بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَقِي الْإِبْدَالَ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعُذِّ
زَفْرَاتِهِ نَمَتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بِجَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدَّنْوِ تَصْبِرِي وَأَتَى الْفِرَاقُ فَبَزَّ حُسْنَ تَجْمَلِ
فَالْعُمُرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفٍ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آتِفٍ مُسْتَقْبَلِ

(١) هذان البيتان روايا لأسامة في معجم الأدباء : ٥ : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر : ٥ : ١٧٣ .

(١٨٨)

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ قَبْلَتُهُ عَجَلًا وَالْبَيْنُ يَعِجِبُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ عَجَلِي
فَقَالَ عَنِّي فِيهِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِي خَدًّا ، بَجَرَى فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ وَالْخَجَلِ
فَأَخْضَلْتُ أَدْمِي تَوْرِيْدَ وَجَّتِهِ فزَادَ إِشْرَاقَ ذَاكَ الْوَرْدِ بِالْبَلَلِ
فَارْتَاعَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي ، وَحُرْقَةِ أَحْسَنِ شَانِي ، وَنَهَى فَاهُ الْعَذْبَ بِالْقُبَلِ
وَرَأْبَهُ مَا رَأَى مِنْ رَوْعِي ، فَبَكَى وَقَالَ : لَا كَانَ ذَا تَوْدِيْعٍ مُرْتَجِلِ

(١٨٩)

وقال :

وَنَازِجٌ ، فِي فُرَادِي مِنْ هَوَاهُ صَدِّي ^(١) لَمْ يَرَوْ غُلْتَهُ بِالْعَلِّ وَالنَّهْلِ ^(٢)
فِي فِيهِ مَا فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ مِنْ دُرِّ وَمِنْ أَقَاجٍ ، وَمِنْ نَعْرِ ، وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ النَّوَى قَلْبِي مِنَ الْقَبْلِ

(١٩٠)

بِنَفْسِي عَذُولٌ ، لَأَمْ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولُ
لَحَى نَاصِحًا فِيكُمْ ، فَأَذَكِي صَبَابِي وَتَذَكِي الرِّيَّاحِ النَّارَ ، وَهِيَ بَلِيلُ
أَسُوفُ ^(٣) صَعِيدَ الْأَرْضِ ، إِذْ وَافَقَاسُمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ تُزُولُ
وَأَغْدُو عَلَى أُسْوَانَ ^(٤) أَسْوَانَ فِي الْحَشَا لِيُعْدِي عَنْهَا لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ

(١) الصدى : العطش . (٢) العل : الشراب بعد الشرب . والنهل : أول الشرب .

(٣) السوف : النهم .

(٤) أسوان : بضم الهزة : مدينة معروفة بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استجھلّك معالْمُ ورُسُومُ إلّا لِيُعْلَنَ سِرُّكَ المكتُومُ!^(١)
أو بعدَ ناهيةِ المشيبِ جهالةُ يا بى الوقارُ عليكِ والتَّحْلِيمُ^(٢)
مأجرتَ فى داجى الشَّبابِ، فكيفَ إذ وصَحَّتْ بِفُودِكَ للشَّيبِ نُجُومُ

ومنها :

أعواذلى، كُفُوا، فَلَيْسَ بِمُسْمَى نُضْحُ، وَبَعْضُ النَّاصِحِينَ مَلُومُ
وَقَرَّتْ دَوَاعِى الْيَنِّ سَمِىَ بَعْدَهُمُ فَلَنْ يُعْنَفَ ناصِحٌ وَيَلُومُ!^(٣)
لى كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةٌ بِمُودَعٍ وَنَوَى، فَهَمَّى طَارِفٌ وَقَدِيمُ
وَعَلَى الرَّاكِبِ مَا طُلَّ بِدْيُونِنَا عَسْرُ الْقَضَاءِ مَعَ الْيَسَارِ، ظَلُومُ
مُتَبَسِّمٌ عَنِ ذَى غُرُوبٍ^(٤) وَاضِحٌ يُعْزَى إِلَيْهِ الذُّلُوفُ الْمُنْظُومُ
فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَازِرٌ فَقُلُوبُنَا الظَّمَاى عَلَيْهِ تَحُومُ
أَتَبَعْتُهُمْ قَرَحَى الْجَفُوفِ كَلِيلَةً تُصَحِّى بِدَمْعِ تَارَةٍ وَتَغِيمُ
مَسْمُولَةً^(٥) بِمَدَامِجٍ حَالَتْ دَمًا فَكأنَّمَا لِنَاسِنِهَا مَكْلُومُ
يَا نَارِحًا ضَنَّ الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ وَجَدَى عَلَيْكَ، وَإِنْ رَحَلَتْ، مُقِيمُ

(١) حله تحليا : جله حليا أو أمره بالحلم .

(٢) غرب القم : كثرة ريقه وباله ورحمه غروب ، وغروب الأستان منافع ريقها وقيل أطرافها وحدتها وباطنها .

(٣) سمل حبه : قضاها .

لى مقلّة قذيت ببعدك ، برّها فيض الذمّوج ، وعقّها التّهويم^(١)
ساوى بعادك ليلها ونهارها كلّ ، كما قضت الموموم ، بهيم
كم أنشأت ذكراك بين جوانحي من زفرة قلبي بها موسوم
نفس يقوم له اعوجاج أضالعي ويضيق عن نزواته الحيزوم^(٢)
ما أخطأت فيك النوى عادتها لكنّ تّقرّيف^(٣) الكؤوم أليّ

(١٩٢)

وقال :

إن لم تطيقا يوم رامة^(٤) أن تسعدا ، فذرا الملامّة
عقمتاني أن مرز ت بمنزل أقضى ذمامه
هو منزل الأحباب ، لم يدع إلى إلا رامة
وعلى حق أن تصا فح سبب أجفاني رامة
وأبيكما ، لأروين ، ولو سح دم أوامة^(٥)
ما الدمع للأطلال لكن أهلها أجزوا سجامه^(٦)
فولام لومكما ! أفي رعي العهود على آمة^(٧)
وها لقلب لا يفو ز بسلوة ، تشني هيامة
غرضا لين لا يزا ل مقرطسا^(٨) فيه سهامه
أبدأ يد الأيام تقريف^(٩) كلما اندملت كلامه^(٩)

(١) التّهويم : هز الرأس من الناس . (٢) الحيزوم : الصدر .

(٣) التقرّف : التّكسّر في المرض . (٤) رامة : موضع بالبادية . (٥) الأوام : شدة العطش

(٦) جمع الدمع بجا ما : سال قليلا أو كثيرا . (٧) الآمة بخفيف الميم : العيب قال الشاعر :
مهلا أبيت العن مهلا إن فباقت آمة

(٨) في القاموس . القرطاس : كل أديم ينصب للنضال . وروى قرطاس أصاب القرطاس .

(٩) كلام : جمع كلم ، وهو الجرح . وبيان القصيدة في ص ١٤١ .

(١٩٣)

وقال :

إن لم أُنَجِّ بهَوَاكَ قُلْنَ لَوَانِمِي : ذَا مُبِطِّلٍ : مَا السَّكَمُ شِيمَةً هَانِمِ
وإن أدعى خوف الوُشَاةِ ، فَمَا الهَوَى لَخَوْفٍ مَذْ حُلَقِ الهَوَى بِمَلَانِمِ
لَا تَكْذِبَنَّ ، فَمَا لِأَبْنَاءِ الهَوَى رَأَى يَحْذَرُهُمْ عَوَاقِبَ نَادِمِ
شُغِلَتْ قُلُوبُهُمْ بِرَوْعَاتِ النَّوَى وَالْهَجَرِ عَنْ خَوْفِ الزَّمَانِ الْعَارِمِ^(١)
فَتَرَاهُمْ صَوْرًا كَظَلِّ مَائِلِ^(٢) لَا يَرَعُونَ لَزَاجِرٍ أَوْ لَانِمِ
وَاهَا لِأَيَّامِ الْحَمَى ، لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسُرُّ بِدَانِمِ
إِذْ أَجْتَلَى الْقَمَرَ الْمُرْدَى بِالْذَّبْحِ يَجْلُو الشُّمُوسَ عَلَى الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
مُسْكِرَى بِنَظَرِهِ ، وَرَاجَ رُضَايِهِ وَكُتُوسِهِ ، طَوَلَ الزَّمَانُ ، مُلَازِمِي
مَبَاغِلِ عَقْلِي [قَطُّ]^(٣) سَحَرُ جُفُونِهِ إِلَّا جَعَلْتُ ذُوَابَنِيهِ تَمَانِمِي
ثُمَّ افْتَقْنَا بَغْتَةً ، فَإِذَا الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاهَةً حَالِمِ

(١٩٤)

وقال :

أَحْبَابَنَا . مَذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِأَهْمِ
وَحَمَلْتُ ثِقَلَ الشَّبْرِ عَنْكُمْ ، وَإِنِّي لِأَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسَّقَمِ
كَأَنِّي عَوْدٌ^(٤) أَوْ هُنَّ الثَّقَلُ صَحْبَهُ فَرَدُّوا عَلَيَّ—هُ ثِقَلُهُنَّ عَلَى رَغَمِ

(١٩٥)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَاوَأُوا ، وَالْقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٥)
جَهَلْتُ أَنْسِي بِكُمْ ، وَالِدَارُ دَانِيَةٌ حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمَى يَدِي النَّدَمُ

(١) عزم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكله لسطط بالأصل يفتضيه الوزن .

(٤) العود : المصنع من الإبل والنا . (٥) بخزيت شعبي صدره : " يا من يعز علينا أن نقار بهم " .

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لِبَيْنٍ مِنْ فَارَقْتُهُ وصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَسَنُ يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرْنُّ مِنْ جَزَعٍ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَكْظُمُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَدِ الْقَدِيمِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْصَةٍ^(٢) تَرْنُ
دَعْتُ شَجْوَهَا مَحْزُونَةً لَمْ تَنْضُ لَهَا دُمُوعٌ ، فِقَاضَتْ أَدْمِئِي ، مَرَّجُهَا دُمُ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خُنْسَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا فِئْتِي فِي الْبُكَاءِ مَتَمُّ^(٣)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِخَرْبَتِ^(٤) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَى ، وَلَمْ يَطْلُ لَيْلُ الْيَامِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُرَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ
كَأَنِّي السَّهْمُ يُفْرَدُ ، بِاعْتِمَادٍ لِنَزْعِ الْقَوْسِ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلَطِيَّةَ^(٥) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَغَرِّ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَغَرِّ ، وَإِنَّمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلُ أَشْمِ بَيْمٍ^(٦)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَنَّمَا جُونُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهِ جُثُمٍ

(١) هو متم بن نويرة الذي حزن حزنا قاتلا على أخيه مالك ورناء رناء. مؤزرا .

(٢) الغَيْصَةُ : مجتمع الشجر في منبض ماء . (٣) حصن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناخم الشام . (٥) البيم : الأسود .

ما زال مطرَحَ نَاطِرِي، حتى إذا لا حَتَ بَقُودِي للشَّيْبِ مُجُومُ
فَارَقْتُهُ ، ونَايْتُ عَنْهُ ، وَمَانَايُ وَجَدِي بِهِ ، وَهَوَى الْكَرِيمِ كَرِيمُ
فَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ بِسَهْلِهِ وَبِهِمْ ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَايُ، أَهْمُ
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَأَنَّمَا بِي الْمَوْمُ^(١) أَوَلَعِبْتُ بِي الْخَرْطُومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

مَا يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبٍ مُعْنَى ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالْوَصَلَ ، لَحْنًا
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجَنَّا
كَلَّمَا شَاهَدَ شَمَلًا جَامِعًا طَارَ شَوْقًا، وَهَفَا وَجَدًا ، وَأَنَا
عَاضُهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى وَمِنَ الْغَبْطَةِ بِالْأَحْبَابِ حُزْنَا
فَرَقَى مِنْ رَحْمَةٍ عَازِلُهُ وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا نَمْنَى
وَيَحَهُ مِنْ زَفَرَةٍ تَعْتَادُهُ وَهُمُومٍ جَمَّةٍ ، تَطْرُقُ وَهْنًا^(٣)
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ ، سُقِيَا لَكَ ، مِنْ زَمَنِ ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أَغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَظِلِّ زَائِلٍ وَالْمَسْرَاتِ تَلَاثَى ، ثُمَّ تَقْنَى
سَاءَنَا مَا سَرَّنَا مِنْ عَيْشِنَا بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَأَى وَجَنَى

(١) الموم : الحى .

(٢) الخرطوم : الخر .

(٣) الوهن : الطائفة من الليل ، وقبل نحو من نصفه .

فافتَرَقْنَا بَعْدَ مَا كُنَّا صَدَى
وَكَذَا الْآيَاتُ : مِنْ عَادَاتِهَا
خُلِقَ لِلدَّهْرِ : مَا أُولَى امْرَأً
وَكَذَا الْبَاخِلُ : مَا أَسْدَى يَدًا
قُلْ لِأَحْبَابٍ نَأَتْ دَارُهُمْ
سَاءَ ظَنِّي بِأَصْطِبَارِي بَعْدَكُمْ
لَأُبْجِنَ الْجَوَى مِنْ كِبْدِي
وَأُذِيلَنَّ^(٣) دُمُوعًا لَوْ رَأَتْ
أَسْفًا ، لَا بِلْ حَيَاءٍ أَنِّي
لَأَصْفَا لِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَعَجِيبٌ ، وَالنَّانَى دُونَكُمْ
حَيْثُ كُنْتُمْ فَفُؤَادِي دَارَكُمْ

إِنْ دَعَوْنَا ، وَكَفَانَا قَوْلُ : كُنَّا
أَنَّهَا تُعَقِّبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزْنَا
نِعْمَةٌ مِنْهُ ، فَلَاةُ^(١) ، وَهَنَّا
قَطُّ ، إِلَّا كَدَّرَ الْمَنَّ ، وَمَنَّا^(٢)
وَعَلَى قُرْبِهِمْ أَفْرَعُ سَنًا :
وَلَقَدْ كُنْتُ بِهِ أَحْسَنُ ظَنًّا
مَوْضِعًا لَمْ يُتَذَلَّ عِزًّا وَضْنَا
فَيَضُنُّ الْمِزْنَ^(٤) خَالَتَهُنَّ مِرْنَا
بَعْدَكُمْ بَاقٍ ، وَإِنْ أَصْبَحْتُ مُضْنِي
مَا تَمَادَتْ مَدَّةُ الْيَمِّ وَعِشْنَا
أَنْكُمْ مِنِّي إِلَى قَلْبِي أَدْنَى
وَعَلَى أَشْبَاحِكُمْ أَغْمِضْ جَفْنَا

(٢٠١)

وقال :

يَانَاقُ ، شَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَخَنِي
مَا أَرْزَمَتْ^(٥) وَهَنًا لَفَقْدِ الْفِيهَا
تَذَكَّرْتُ الْآفَنَهَا ، فَهَيَّجَتْ
أَبْكَى اشْتِيَاقًا ، وَتَحَنَّنَ وَحْشَةً

وَأَعْلَنِي الْوَجْدَ الَّذِي تُجَنِّي
إِلَّا رَمَتْ جَوَارِحِي يَوْهَنُ^(٦)
لَا عَجَّ شَوْقِي ، وَذَكَّرْتُ خَدْنِي
فَقَدْ تَجَانَى حُزْنُهَا وَحُزْنِي

(١) ملاك الله حبيبك : متعك به .

(٢) الحق : الإتمام . ومرَّ عليه : عدَّله ما فعله من الصَّنَاعِ .

(٣) أَذَالَ الشَّيْءَ : أَهَانَهُ .

(٤) الْمِزْنُ : السَّحَابُ ، أَوْ أَيْضُهُ .

(٥) أَرْزَمَتْ النَّأَمَةَ : حَتَّى عَلَى وَلَدِهَا .

(٦) الْيَوْهَنُ : الضَّعْفُ .

حَسْبُكَ قَدْ طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَسَى
وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
وَلَا تَمَلُّ مِنْ مَسِيرٍ وَسُرَى
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزَنِ
حَتَّى تُنَاجِي تَحْتَ بَانَاتِ الْحَمَى
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ، وَبَانَهُ
وَلَمْ تَأْتِ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
شَطُّوا، وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
وَهُمْ أَعَزُّ إِنْ نَأَوْا، وَإِنْ دَنَوْا
لَمْ يَذْكُرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
نَفْسِي فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
وَهُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
ضَنًّا بِهِمْ عَنْ أَنْ يَطُورَ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْبَبْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَتَجَابُّ دُجَى
حُبًّا بَحْرَى مَجْرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَمِي
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَضَرَ الصَّبَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفْتُ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزِمُ كَفَى فُقَادًا مَالَهُ
لَكِنِّي أَدْعُو لِمَجْمَعِ شَمْلِنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزَنِ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
وَلَمْ تَأْتِ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَهُمْ إِلَى قَلْبِي لُدْنِي مِنِّي
بِالْدَّمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: قَطْنِي^(٢)
مِمَّا حَرَى خَلْبِي^(٣)، وَصَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَشْمَانِهِمْ وَأُكْنِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَغْنِي
بِمَسْمَعٍ، وَهُمْ مَكَانُ الضَّنِّ
فَوَدَى عَنِ الصَّبْحِ، وَيَذْوِي غُضْنِي
أَصَمَّ عَنْ كُلِّ نَصِيحٍ أُذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْعِي غَنِي
وَعَدْتُ قَدْ أَدَمْتُ بَنَانِي سِنِي
مِنْ بَعْدِهِمْ رَوْحُ سَوَى التَّمْيِ
مُسِيرَ الشَّهْبِ، وَمَجْرَى السُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال^(٤) :

أَعْلَيْتَ مَا فَعَلْتُ بِهِ أَجْفَانُهُ
نَمَّتْ عَلَى حَسْرَاتِهِ زَفْرَاتُهُ
سَحَّتْ، فَبَا حَتْ بِالْهَوَى أَشْبَانُهُ
وَكَذَا يَنْمُ عَلَى الضَّرَامِ دُخَانُهُ

(١) قطني : يكفني . (٢) الغلب : الحيلة رفيعة تحمل بين الأعداء . (٣) طاريطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المسالك لأدب من هذه القصيدة الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس .

وَأَخُو الْهَوَى مِثْلُ الْكَتَابِ: دَلِيلُ ذَا
تَحَكَّى الْبُرُوقُ فَوَادَهُ : فَضْرَامُهَا لَكَ عِيَانُهُ ، وَدَلِيلُ ذَا عُنْوَانُهُ
ضَمِنَ الْهَوَى أَلَّا يَزَالَ أَحَا ضَنِّيْ أَسْوَاقُهُ ، وَخُفُوقُهَا خَفَقَانُهُ
يَا مُدْعَى السُّلُوَانِ عَنْ أَحْبَابِهِ وَضَمَانَةٌ ^(١) ، فَوَفَى بِذَلِكَ ضَمَانُهُ
شَطَّتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَمَّا بِكَ الشَّوْقُ الْمُبْرَحُ ، وَالتَّظَّتْ نِيرَانُهُ
وَأَبَانَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَاعَسَى بِكَ فَاعِلُ هَذَا الْهَوَى وَبَيَانُهُ
كَاتَمَتْ وَاشِيكَ الْهَوَى قَبْلَ النَّوَى فَبَدَّالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِتْمَانُهُ
وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ وَبَقْدَرِ طَاعَتِكَ الْهَوَى عَصِيَانُهُ
فَإِذَا تَبَادَرَ مِنْ جُفُونِكَ خِلْتَهُ نَقْدًا وَهَى مَرَجَانُهُ وَجَمَانُهُ
لَوْ أَيْقَنَ الْحَقُّ الْحَسْرَةَ عَلَيْهِمْ حَظَى لِحَالَتِ رَحْمَةٍ أَضْعَافُهُ ^(٢)
بَيْنَ الْمَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجَرِهِمْ بَيْنَ طَوِيلُ بَرَحِهِ ^(٣) وَزَمَانُهُ
أَبْدَوْا لَهُ مَلَكٌ ^(٤) الْقَرِيبُ ، مَعَ النَّوَى وَتَنَاسَى الثَّانِي ، وَهُمْ جَبَرَانُهُ
وَتَحَلَّقَ الطَّيْفُ الطَّرُوقُ بِحُلَّتِهِمْ فَإِذَا أَلَمَّ يَرُوعُنِي هِجْرَانُهُ
وَهُمْ الصَّبَا : أَيَّامُهُ مَحْبُوبَةٌ وَإِنْ اعْتَدَى فِي غِيَةِ شَيْطَانُهُ
وَجَاهِلُهُمْ كَفَّارَةٌ لِمَلَالِهِمْ وَالهَجْرُ ذَنْبٌ يُرْتَجَى غُفْرَانُهُ
لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُمْ مَا أَضْرَمُوا قَلْبِي بِهَجَرِهِمْ وَهُمْ سُكَّانُهُ
وَلِجْهَلِهِمْ طَرَفُوا بِطُولِ صَدُودِهِمْ وَمَلَالِهِمْ طَرَفِي ، وَهُمْ إِنْسَانُهُ

(١) الضمانة : المرض .

(٢) أضغان : جمع ضغن وهو الحقد .

(٣) البرج : الشدة .

(٤) في الأصل (ملك) تحريف ولعل الصواب ، الاختباء .

(٢٠٣)

وقال :

أهكذا أنا ، بآقي العمر مُغتربُ نأى عن الأهل والأوطانِ والسَّكَنِ
لا تَسْتَفِرُّ جِيَادِي فِي مَعْرِسِهَا^(١) حَتَّى أَرْوَعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّعَنِ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ المُرُوعِ بِالنَّوَى أَبَدًا ، فَلَا وَطَنُ ، وَلَا خُلَانُ
عِيدُ البَرِّيَّةِ مَوْسِمُ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وَإِذَا رَأَى الشَّمْلَ الْجَمِيعَ تَرَاخَمَتْ فِي قَلْبِهِ الْأَمْوَاهُ وَالتِّرَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ الهَوَى دَهْرَ المُرُوعِ بِالنَّوَى شَطْرَيْنِ بَيْنَ شُئُونِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدُّجَى كَالشَّمْعِ : يَقْطُرُ دَمْعُهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِيَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ رَأَيْتَهُ مِثْلَ الحَمَامِ يَنْوَحُ فَوْقَ غُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بجماعة ، في جفلة أهلها من الروم ، وكان بداره أولادٌ لغلام له ، مات
في الزلازل رحمه الله ، وضمَّ أولاده إليه ، وكان فيهم طفلٌ اسمه منصور ،

(١) المعرس : البيت .

الشجون : جمع شجن ، وهو الحزن . والشنون : جمع شأن وهو مجرى الدمع إلى العين .

وكان يَأْتُهُ ، بِحَفَلُوا مع من جَفَلَ من الأهل والحاشية إلى قلعة جَعْبَر
ومنصور معهم :

منصور، دَارَكَ أَصْحَتْ مِنْكَ مُوَحِّشَةً قَدْ أَقْفَرْتُ بَعْدَ سُكَّانٍ وَجِيرَانٍ
أَصْحَى اللَّيْلَى كَانَ مِنْهَا أَمْسٍ أَصْحَكْنِي وَسَرْنِي ، هَاجَ أَفْجَانِي وَأُبْكَانِي
عَهْدُهَا نَادِيًا لِلْهَوَى، مُجْتَمَعًا لِلْأُنْسِ ، مَلْعَبَ أَتْرَابٍ وَوِلْدَانٍ
فَأَصْبَحْتُ مَا بِهَا مِمَّا عَهْدْتُ بِهَا سِوَى صَدَيِّ ، كُلَّمَا نَادَيْتُ لِبَآنِي

(٢٠٧)

وقال :

وقد أَفْرَدْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، فَلَيْسَ لِي أَنْبَسُ ، وَلَا فِي طَارِقِ الْخُطْبِ أَعْوَانُ
كَأَنِّي مِنْ غَيْرِ الثَّرَابِ ، نَبَتْ بِي الْبِلَادُ ، فَسَالِي فِي الْبَسِيطَةِ أَوْطَانُ
أَجُولُ ، كَمَا جَالَتْ قَدَاةُ بِمُقَلَّةٍ وَأُسْرِي ، وَسَارِي النِّجْمِ فِي الْأَفْقِ حَيْرَانُ

قافية الهاء

(٢٠٨)

وقال :

سَلَا قَلْبَهُ : مَا غَالَ حُسْنَ سُلُوهُ وَرَدَّاهُ فِي غَيِّ الْهَوَى وَغُلُوهُ
وَمَا بِالْهِ يَشْكُو الْفِرَاقَ؟ وَأَيْنَ مِنْ قَسَاوَتِهِ شَكْوَى الْهَوَى وَعُتُوهُ
وَمَا خَلَّتْهُ مَهْوَى الْهَوَى وَمَقِيلَهُ وَمَأْوَى الْأَمْسَى وَالْبَثِّ عِنْدَ هُدُوهُ
تَتَوَبُّ إِلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ تُجْبُونُهُ وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْهَمُّ عِنْدَ هُدُوهُ

بِنَفْسِي مَنْ أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا ^(١) دُنُوهُ
فَأَذْكَرَ مَنْ لَمْ تُنْسِهْ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اسْتِيْقًا بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَا وَبِرَتَاحٍ فِي رَوْحَتِهِ وَغُدُوهُ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَنْ إِصَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ جَمَّةٌ لَهُ عَلَّلٌ ^(٢) مِنْ بَرْدِهَا لَمْ يُرَوِّهِ
يُغَانُ ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مِنْ مُنَوِّهِ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشَّوْقُ نَحْرًا كَأَنَّمَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَتَاوُهُ

(٢١٠)

وقال ^(٤) :

بُكَاءٌ مِثْلِي مِنْ وَشَكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرٌ صَبْرِي بَعْدَ الْبَيْنِ مُشْتَبَهُ
فَلَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي زَوْجٌ وَلَا رَفَهُ
أَكْتُمِ النَّاسَ أَشْجَانِي ، وَأُحْسِبُهَا تَخَفِي ، فَتَعْلُنِي الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنِّي مِنْ دُهُولِ الْهَمِّ فِي سِنَةِ وَنَظَارِي قَرِحُ الْأَجْفَانِ مُنْتَبَهُ
أَذْنِبْتُ ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ الذَّنْبَ مِنْ سَفِهِ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أُنْدَبُهُمْ ^(٥) صَحَبْتُ نَوَاهُمْ حَيْثُمَا انْجَبُوهَا !

(١) الربا : الرجع الطيبة .

(٢) العلل محركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباعا .

(٣) غين على قلبه غينا ؛ غنى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في خرقة القصر أيضا ١ : ١٠٤ .

(٥) في الخرقة « هلا » .

أَضَرَّ بِي نَظَرُ تَذَمُّي مَحَاجِرَهُ وَخَاطَرُ، مُذْنَاوَا، حَيْرَانُ مُنْشَدُهُ
فَمَا يُلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحُ وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنَظَرُ تَزَهُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعْمَنَا فِي غَضَارَتِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَ نَا بَلَهُ
وَعَيْشُنَا لَمْ يُحَاطَ صَفْوَهُ كَدْرُ وَوَدُنَا لَمْ تَسُبْ إِخْلَاصَهُ الشُّبَهُ
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُسَرُّ بِهِ كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ^(١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ، زَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلَدِي كَمْ ذَا الْحَيْنِ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَثَوَاهُ
مَا غَابَ عَنِّي، فَانْسَاهُ، وَلَسْتُ أَرَى فِي الْخَلْقِ لِي عِوَضًا عَنْهُ ، فَأَسْلَاهُ
قَدْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ، وَأَحْفَظُهُ وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفْظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مِنْ فَارَقٍ أَحْبَابَهُ كَوَجَدُ مِنْ فَارَقٍ رَوْحَ الْحَيَاةِ
فَارَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِ عِنْدَهُ عَارِيَةً مَضْمُونَةً لِلْعَفَاةِ
مِنْ طَابَ لِلْجَانِي جَنَاهُ ، وَمَنْ كَفَرَ بِالْعَفْوِ ذُنُوبَ الْجُنَاهِ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدًّا غَيْرَهُ فَمَا أَرَدْنَا بِمَدِيحٍ سِوَاهُ
فَنْ يُسَاوِي فَقَدْ هَذَا بِحُبِّهِ بِ إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةُ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والتصويب من نريدة القصر .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

لو كان يُوجدُ مثله ، خُلِقَ الهوى	بأبي هوىً فارقتُه ، وليلته
قتن الملاحه يوسفُ ما قد حوى	حازَ الجمالَ بأسره ، لم يحو من
في ماء خديه غريقاً ، ما ارتوى	في القلب منه غلةً ، فلو اغتدى
دمع الغرام ، ولا درى كيف الجوى	يلحى عليه خلي بال ما درى
رشدُ المحب ، ولا عليه إن غوى	متكلفٌ مَفَتَ النصيحة ، ماله
أحببتُا بلحرتُ بفُرقتُها نوى	وأنا المروغُ بالنوى ، لو أننى
من جرحه في الحب عندهم شوى ^(١)	فعلامَ يلحى اللائمونَ بجهلهم

..

(١) الشوى : الأمر المميز .

ما قاله في المكاتبات ، وما يتخرط في سلكها من المعاتبات

قافية الهمزة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم
الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد ، وكان ساراً إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز
سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

لن غربت شمس المنيرة في النوى	قليل وصبحي في الظلام سواء
ففي أسودى قلبي وطرفي محله	وإن بعدت أرض بنا وسماء
ترحل غرباً ، وارتحلت مشرقاً	وخلف ارتحال الطاعنين عنا
إذا زادنا الترحال بعداً ، فما الذي	يقربنا إن كان ثم لقاء
بلى ، إن لطف الله يجمع شملنا الش	تيت ، ويذني الدار كيف يشاء

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

لم يبق لي في هواكم أرب
سلوتكم والقلوب تنقلب
وضعت عني أفعال حُبكم
وحامل الحب مثقل تعب
وردى قذى ودكم ، وغضى أجفاً
ني عليه ، من فعلكم عجب

(١) هذا الشعر من مرويات ياقوت ٥ : ١٩٦ والفريدة ١ : ١٠٠ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المطلع والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَامَ دَمْعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
 إِنْ كَانَ هَذَا لِأَنْ تَعَبَدَنِي الْحُبُّ، فَقَدْ أَعْتَقَتَنِي الرَّيْبُ
 أَرَيْتُونِي ^(١) نَهْجَ السُّلُوكِ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطَّرُقُ عَنْهُ تَنْشَعِبُ
 أَخِيْتَكُمْ فَوْقَ مَا تَوْهَمَهُ النَّاسُ، وَخُتِمَ أَضْعَافَ مَا حَسِبُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديق له :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ ، وَبَدَيْنَا مَفَاوِزُ أَدْنَاهَا الشَّنَاحِيْبُ ^(٢) وَالسَّهْبُ ^(٣)
 فَلَمَّا تَدَانَيْنَا يَأْسْتُ ، وَزَادَنِي تَبَارِجُ شَوْقٍ ضَمْتُ ذِرْعًا بِهَا ، الْقُرْبُ

(٢١٧)

وقال ^(٤) :

تَبَدَّلَ ^(٥) ، حَتَّى قَدْ مَلَلْتُ دِتَابَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، لَا أُرِيدُ اقْتِرَابَهُ
 إِذَا سَقَطَتْ مِنْ مَفْرِقِ الْمَرْءِ شَعْرَةٌ تَأْفَفَ مِنْهَا أَنْ تَمَسَّ ثِيَابَهُ

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَيَا نَازِحًا لَمْ أَحْتَسِبْ بَعْدَ دَارِهِ وَقَدْ كَانَ ، لَوْنِلْتُ الْمُنَى ، قُرْبُهُ حَسَنِي
 تَعَرَّضْتُ الْأَخْطَارُ دُونَ لِقَائِنَا وَصَدَّ الثَّنَائِي عَنْ مُوَاصَلَةِ الْكُتُبِ
 وَقَدْ صَارَ يَأْتِي بَعْدَ حَوْلٍ مُجَرِّمٍ ^(٦) كَتَابُكَ مَقْصُورًا عَلَى اللَّوْمِ وَالْعَنْبِ
 فَيَا أُنْسَ قَلْبِي ، لَا تَرِدْنِي وَخَشَّةٌ وَيَا رَوْحَ كَرْبِي ، لَا تَكُنْ سَبَبَ الْكَرْبِ

(١) الرواية في باقوت وخريدة القصر "أو ختم لي سبل السلوك".

(٢) الشنخوية : رأس الجبل . والجمع شنايب .

(٣) الذهب : الفلاة .

(٤) مما رواد الهاد لأساءة في الخريدة .

(٥) في الخريدة (تخريم) .

(٦) يقال حول مجرم كمعظم : تام .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقٍ له :

يَا مَنْ بِهِ سَلَوَتِي عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ وَمَنْ مَوَدَّتُهُ أَدْنَى مِنَ النَّسَبِ
شَكَوْتَ هَمَّكَ بِي لِمَا اشْتَكَيْتُ ، فَلَا زِلَّاتَ الْمُؤَوَّقِ مِنَ الْآلَامِ وَالنُّوبِ
أَبْلَ جَسَمِي مِنْ أَوْصَايِهِ ، وَأَرَى قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ لَا يَنْفَكُ ذَا وَصَبِ
ودأؤه باطنٌ ، لَا طِبَّ يَبْلُغُهُ إِنْ لَمْ يُدَارِكْهُ لَطْفٌ غَيْرُ مُحْتَسَبِ
وما الَّذِي نَالَهُ مِنْ دَائِهِ عَجَبٌ لَكِنْ سَلَامَتُهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس الدولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أَيَا غَائِبًا ، يُدْنِيهِ شَوْقِي عَلَى النَّوَى لَأَنْتَ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْفِكْرِ أَقْرَبُ
وما غَابَ مَنْ أَفْقَاهُ : عَمِي وَخَاطِرِي لَهُ مَطْلَعٌ مِنْ ذَا ، وَفِي تِلْكَ مَغْرَبُ
غَبَطْتُكَ نَعْمَى ، فُزْتُ دُونِي بَنِيْلَهَا وَغَرًّا ، لَهُ ذَيْلٌ عَلَى السُّحْبِ يُسْحَبُ
جَوَارِكَ مَنْ يَجْمَعِي عَلَى الدَّهْرِ جَارَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ جُودَهُ كَيْفَ يَطْلُبُ
هو البحرُ ، تَرَوَى الْأَرْضَ عِنْدَ سُكُونِهِ وَتَغْرُقُ فِي تَيَّارِهِ حِينَ يَغْضَبُ
فَنَنْ لِي لَوْ كُنْتُ الرَّسُولَ بِبَابِهِ لَتَبَرَّدَ رُؤْيَاهُ حَشًّا تَتَلَهَّبُ
وَأَبْلَغُ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَمَلِي لَهُ مِنْ الْعُمْرِ عَشْرًا ، كَأَنَّهَا لِي مُتَبِّبُ
فَارَقَ لِي فِيهَا نَسِيمُ أَصَائِلِي وَلَا رَاقَ لِي فِيهَا مِنْ الْهَمِّ مَشْرَبُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستغلى على الشرق مغرب
وأني سآوي من حماه إلى حمي يرى كل خطب دونه يتذبذب
لمت، وما موتي عجيب، وقد نأت بي الدار عنه ، بل بقاني أعجب

(٢٢١)

وقال ، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاء (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رصيت بعد الديار من القرب
ولكن آياي قضت شتاناً ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
ولو جمعنا الدار بعد تفرق لكنتم من الدنيا ونعمتها حسنى

فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله) ، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحُب ولا أطلب العتي^(١) من الخل بالعتب
ولا أرتضي بالبعد من ذى مودة وأقنع منه بالرسائل والكتب
ولا سماً إن قال لي متصنعاً : ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبه بلا حشمة : ما أشبه العذر بالذنب
أخلاقى ، لو رمت دنوا لما أبى سرى العيس^(٢) ، بل ركض المظهمة القُب
ولكنكم بعتم وفاءً بغدرة غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله ، إن يعادكم لاعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) العتي : الرضا .

(٢) العيس : الإبل البيض يحاط بإصبعها شفرة . والمظهمة : البارة إجمال . والقُب : الخيل المرتفعة .

وَلَوْ أَنَّا كُنَّا ظَنَيْنَاهُ لَمْ نَكُنْ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْغَدْرِ مِنْ بَنِي
 وَهْل نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
 غَدَاً وَالْغَا^(٣) كَالْكَلْبِ ظُلُمًا وَحَزَبُهُ
 وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَفَا
 وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدَ مِثْلَهُ
 وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ ذُنُوبِهِ
 وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ هَبَّ نَسِيمُهَا
 سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُرْنَةً
 فَأُصْحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحْوَانَ صَقِيلَةً
 بِأَحْسَنَ ، بِمَجْدِ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى يَزُورُنَا
 أَحْبَابَنَا . يَا طَالَمَا كَانَ قَرَبُكُمْ
 وَكُنْتُمْ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
 تَرَكْتُمْ مُدُودَ النَّيْلِ ، يَرَوِي بِهَا الظَّمَا
 هُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي دَلَّ حُكْمُهَا
 بِحَيْثُ الْأَمَانِي لَيْسَ تُخْلَفُ سَجْبُهَا
 وَمَا اعْتَضْتُمْ مِنْهُمْ غَدَاةً نُقِلْتُمْ
 وَإِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَهِدْتُمْ مُحَافِظٌ

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عِبَاسٌ بِالْحَرْبِ
 نَبِيَّ الْهُدَى مَا لَمْ يَنْلَهُ بَنُو حَرْبِ^(٢)
 مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ
 دِمَاءُهُمْ ، لَاحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حَزْبِ
 لِمَالِكِهِ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
 وَلَا لَكُمْ فِيمَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبِ
 يُجَاذِرُ لَيْثًا تَدْنُو الصِّحَاحُ مِنَ الْحَرْبِ
 عَلِيلًا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَانَمَ التُّرْبِ
 كَأَيْمَانِنَا ، لِمَا هَمَّتْ بِبَدَى سَكَبِ
 تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرِبِ^(٤)
 بَنَانُكَ فِي تَقْوِيفِهِ أِبْرَادَهُ الْقُسْبِ
 بِمَسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
 إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسْبِي
 عَلَى ظِلْمًا ، أَشْهَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
 وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودِنَا النَّيْلُ فِي الْجَدْبِ
 بِأَوْطَانِنَا أَتَّ الْعَنَايَةَ لِلرَّبِّ
 بِسُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْلَفَتْ دَرَّةُ السُّحْبِ
 بِكُرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخَصْبِ
 عَلَى الْوُدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قُرْبِ

(١) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .

(٢) هم بنو أمية .

(٣) ولغ الكلب في الإاء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .

(٤) الشرب : الشاربون .

أَحْنُ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعْدْتُكُمْ بَلَا مَرِيَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لِالْصَّحْبِ
أَسَامَةُ^(١) لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ أُسَامَةَ وَمَرْهَفُ^(٢) فِيهِ هَزَّةُ الْمَرْهَفِ الْعُضْبِ^(٣)
فَإِنْ تَبْعُدُوا عَنَّا ، فِي حِفْظِ رَبِّكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فِي الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ

(٢٢٢)

وقال :

لَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشْتَّتَ شَمَلَنَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتُ فِي غَرْبِ
لَقَدْ عَزَّهُ تَفْرِيقُ صَادِقٍ وَدَنَا وَأَعْجَزَهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي

(٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديق له ، سألَه السَّفَارَةَ عند بعض الأمراء ، لرجل
سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مَوَاهِبُهُ كَمَنْهَلِ السَّحَابِ
يُحْكِمُ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَفْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
فَمَا بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بَعِيدًا عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّرَابِ
وَعَذْرُكَ فِي قِضَا شُغْلِي قِضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، فَمَا عُذْرُ الْجَوَابِ

(٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكْنُونِ قَلْبِي
لَا أَرَى دُونَهُ لِسَرِّي سِتْرًا فِي مُنَاجَاتِهِ وَمُضْمُونِ كُنِّي

(١) أسامة في أول البيت هو ابن منافذ ، ولفظ أسامة بعده يريد به الأسد .

(٢) هو مرهف بن أسامة .

(٣) المرهف : السيف الدقيق . والمضرب : القاطع .

لو أَتَيْتَنِي صَحِيفَتِي فِي حَيَاتِي قُلْتُ : خُذْهَا ، فَانْظُرْ قَبَائِحَ ذَنْبِي
وهو إِنْ جَاءَهُ كِتَابُ طَوَاهُ وَطَوَاهُ عَنِّي اطْرَاحًا لِعَنِّي
وَأَرَى أَنْ كُتِبَتْ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ سَيِّئَةٍ ، وَغَيْرُ نَقِصَةٍ وَائِلِي
فلهذا عَذْرَتُهُ ، وَلَعَمْرِي إِنْ عَذَرِي لَمَوْءُومٌ مِثْلُ ضَرْبِي

قافية التاء

(٢٢٥)

وقال^(١) :

وما أَشْكُو تَلَوْنَ أَهْلَ وُدِّي ولو أَجَدْتُ شَكَيْتَهُمْ شَكَوْتُ
مَلَلْتُ عَتَابَهُمْ ، وَيَأْسْتُ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجُوهُمْ فِيمَنْ رَجَوْتُ
إِذَا أَدَمْتُ قَوَارِصَهُمْ فَوَادِي كَظَمْتُ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَانْطَوَيْتُ
وَرَحْتُ عَلَيْهِمْ طَلَقَ الْحُبِّ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ
تَجَنَّبُوا لِي ذُنُوبًا مَا جَنَّبَهَا يَدَايَ ، وَلَا أَمَرْتُ ، وَلَا نَهَيْتُ
وَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَضْمَرْتُ غَدْرًا كَمَا قَدْ أَظْهَرُوهُ ، وَلَا نَوَيْتُ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ مَوْعِدُنَا ، وَتَبَدُّو صَحِيفَةً مَا جَنَوُهُ وَمَا جَنَيْتُ

قافية الشاء

(٢٢٦)

وقال ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي الْمَغِيثِ مُنْقَذٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) :
أَيَا مُنْقَذِي ، وَالْحَادِثَاتُ تَنَوُّشُنِي^(٢) وَدَافِعَ هَمِي إِذْ تَرَادَفَ بَعَثُ
لِسَانِي عَنْ شُكْرِي أَيَادِيكَ مُفْعَمٍ وَأَنْتَ ، فَأَعْلَى مِنْ ثَنَاءِ أَبْنَةِ

(١) رويت من هذه القصيدة في ممالك الأبحار (١٠ : ٥٠٧) الآيات الأربعة الأولى .

(٢) النوش : تناول والطلب .

تَحَمَّلْتُ عَنِ كُلِّ خُطْبٍ يَتُودُنِي ^(١) وَنَاهَلْتَنِي ^(٢) عَيْشِي ، وَقَدْ بَانَ حُبُّهُ
فَدَى لَكَ ، يَا طَوَّعَ الْإِخَاءِ أَمِينَهُ عَلَى غَيْبِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَثُّهُ
نَسِيْتُ لِمَا يُؤَلَى ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُوءٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبِثُهُ
وَمَا أَشْتَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ تَجَلُّدًا عَلَى أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبُتُّهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدَاكَ حَتُّهُ
وَمَا زَالَ يَذْنِيهِ إِلَيْكَ حِفَاظُهُ وَغَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَحْتُهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مَكْنُهُ
وَمَا ضَعَضَعْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَعَهْدِكَ : وَغَرُّ الْخَلْقِ فِي الْخُطْبِ وَغَنُّهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحْجِمٌ مَرِيرُ الْقُوَى ، وَالْدَّهْرُ قَدْ بَانَ نَكْنُهُ
كَظُومٌ عَلَى غَيْظٍ يَضِيقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آدَ ^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبْشُهُ
وَلَمْ أَرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَنْ مُرْشِدٍ ^(٤) لِي إِرْثُهُ
عَنِ الْمُتَرَى أَخْلَافٌ ^(٥) دَهْرٍ تَسَابَهَتْ أَطَايِبُهُ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَنُّهُ
نَدَاهُ رَبِيعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَبِيهُ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مُلْكُهُ ^(٦)
يُضَاعِفُ دَاءَ الْحَاسِدِينَ كَمَالُهُ عَلَى أَنَّهُ يَسْنِي مِنَ الدَّاءِ نَفْتُهُ

(١) الأود : الإتهال . ويقال أدنى يتودنى : أتقلى .

(٢) التهلان : الزيان .

(٣) الوعوت : الشدة .

(٤) مرشد : جد أسامة .

(٥) مرى الناقة : مسح ضرعها ، نقي : استخرجها . والأخلاف : جمع خلف وهو الناقة كالضرع للشاء

(٦) الك : دوام المطر والندى . وألث المطر : دام أياما لا يقلع . والوسمى : مطر الربيع الأول .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيًا لِلنَّفْسِ ، وَهَوِّ لِنَاظِرِيٍّ أَعَزُّ نَالِثٍ
وَنَجَى فِكْرِي دُونَ سَا نِرٍ مِنْ أَنَاجِيٍّ أَوْ أَحَادِثٍ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهُوَ أَوْ جَعُّ مَالِقِيَّتٍ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثٍ
وَالْوَمُّ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتَبِيثِ شَمْلِي ، وَهُوَ عَابِثٍ
إِنِّي عَلِقْتُ مِنْ اضْطِبَا رَى عَنْكَ أَسْبَابًا رَثَائِثٍ ^(١)
عَاهِدْتُهُ إِلَّا تُضَعَّ ضَعْفَهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثٍ
وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكَ فِي كَفِّ ضَابِثٍ ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خُطْبٌ ، لِعَمْرُأَيْكَ ، كَارِثٍ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَا نِيِ وَالتَّدَانِي فِي ازْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، بَيْنَ أَهْلِ فِي بِلَادِي
مُسْتَوْحِشًا مَعَ كَثْرَةِ الْخُلَّانِ وَخَشَةِ ذِي انْفِرَادِ
وَأَقْلُ مَالِقِيَّتُ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِيحِ الْبِعَادِ
شَوْقٌ إِلَيْكَ أَبَاحَ فَيْضِ مَدَامِعِي ، وَحَمَى رُقَادِي

(١) رث : على : (٢) ضبث به : قبض عليه بكفه .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَسَاكَنَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامُهُ بَيْنَنَا وَإِنْسَانَ عَيْنِي ، وَالْمَنْزَارُ بَعِيدُ
تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالزَّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنَّ عُمْرَ فِرَاقِنَا مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّقَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا مَحْضَرُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهَى بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَيْدُ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُّ
فَقَابَلْتُ بِالْعُنْبِي مَضِيضَ عَنَابِهِ وَلَمْ يَتَجَهَّمْهُ الْحِجَاجُ وَلَا الْجَدُّ
وَأَعْجَبَنِي عَيْيُ لَدِيهِ ، وَلَمْ أَزَلْ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصَمِي لِي الْحَبِجُ الْلَذِيذُ^(٢)
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَيَّ نَسَبْتَهُ وَمَا خَطَأُ مِنِّي أَنَا هُ ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بُلَّغْتَهُ ، فَظَنَنْتَهُ لَكَفَّرَهُ حَقُّ الْأَخُوَّةِ وَالْوُدُّ
فَأَهْلًا بَعْتِ تَسْتَرِيحُ بَيْتَهُ وَيُؤْمِنُنِي أَنْ يَسْتَمِرَّ بِكَ الْحَقْدُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعَهُ بِسَمْعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي أَنَا سَاءَ صَحْبُهُمْ فَاحْظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَّ
بِأَنِّي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ لَهُمْ وَأَصِفًا شَوْقًا ، وَلَا شَاكِيًا وَجَدًا

(١) يشير إلى قول ليد لابنته :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولًا كاملاً فقد اعتذر

(٢) عجز بيت لأبي فراس صدره ... سأسكت لإجلال لعلبي أنه ...

خُذُوا بِزِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجوعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرَى مِنْكُمْ بَدَأَ
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِكُمْ أُنْدَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(١) :

أَحِبَابَنَا ، خُطْبُ التَّفَرُّقِ شَاغِلٌ عَنْ الْعَتَبِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَدِّ الصَّدْرُ
لَأَسْرَعَ مَا حُلْتُمْ عَنْ الْعَهْدِ بَعْدَمَا تَصَرَّمَ فِي حَفْظِي وَدَادُكُمْ الْعُمُرُ
وَلَا عَجَبٌ ، أَنْتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ : عُهْرُكُمْ غَذَرٌ ، وَوُدُّكُمْ خَتَرٌ^(٢)
كَأَنْتُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رَجَاءَنَا بَزُنُحْرِهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرٌ^(٣)
مَلَّتُمْ ، فَلْتُمْ نَحْوَ دَائِعِيهِ التَّلَى وَخُنْتُمْ ، فَدَتُّمُ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدْرُ
وَأَنَسَاكُمْ حَفَظَ الْعَهْدِ مَلَالُكُمْ ”كَمَا قَدْ تُنْسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ“
وَإِنِّي لَتَنْبِيئِي إِلَيْكُمْ حَنِيفَظِي إِذَا مَا ثَنَاكُمْ عَنْ مُحَافَظَتِي الْغَمْرِ^(٤)
وَأَكْذِبُ رَأَى الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَنَقْضُونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيْلَ التَّنَكُّرِ
أَسَاهِلُ فِيهَا رَأَبَ مِنْكُمْ ، وَدُونَ مَا أَوْمَلُ : مِنْ إِنْصَافِكُمْ مَسْلَكٌ وَعَرُ
لِهَجْتُمْ بِهِجْرِي ، وَالْدَّيَارُ قَرِيبَةٌ وَمَا قَرَبُ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْهَجْرُ
وَأَغْضَى تَجْنِيكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الزَّمَنُ النَّصْرُ

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : الغدر والخديعة أو أفتح الغدر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) الغمر : من لم يجزب الأمور .

فلما تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ بها يَنْفُضُ الْأَخْلَاسَ ^(١) فِي السَّفَرِ السَّفَرُ
أَسْرَمْتُ أَنْ خِلْتُمُ الدَّهْرَ سَاءَنَا وَقَرَّتْ بِنَا ، لَا قَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخَزْرُ ^(٢)
وَجَاهَرُ بِالشَّحْنَاءِ قَوْمٌ عَهْدَتُهُمْ يَسُوءُهُمْ ، لَوْلَمْ أَذِيبْ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا تَعْرِضُ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كتاب :

وَكِتَابٍ مِنْكَ فَاجَأَنِي كَبْشِيرٍ جَاءَ بِالظَّفَرِ
رَدَلِي شَرَحَ الشَّابَابَ وَمَا غَالَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
ظَنَنِي الرَّأْيَ مُكَاتِبَةً وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدًا أَحَلَّهُ الشَّوْقُ قَلْبِي وَنَاطِرِي
مَا نَأَى مِنْ خَيَالِهِ حَاضِرٌ فِي ضَمَائِرِي
وَالْتَنَانِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ ضَائِرِ

(٢٣٥)

وكتبَ إِلَى أَخِيهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرِّزْمِ بِطَرِي ^(٣) :

يُكَائِرُ مَاءُ الرِّزْمِ ^(٤) عِنْدَ أَذْكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطْرِ ^(٥)
وَلَوْ لَمْ أَهْرِهَا بَعْدَكُمْ كَلَّ مِنْ بَكِي لِأَعْظَمِهَا عَنْ أَنْ يُكَائِرَهَا الْقَطْرُ

(١) الخلس : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . (٢) الأعين الخزر : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لعله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمينية فيه ماء كثير يصب في دجلة (باقوت) .

(٥) القطر : الحاس القذائب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس الدولة ابن أخيه :

أشَمَسَ الدَّوْلَةَ ، اِسمع بَثَّ شَوْقِي يَضِيقُ بِمَثَلِهِ ذَرْعُ الصَّبْرِ
لَقَدْ أَوْحَشْتَ دُنْيَا ، كُنْتَ أَذَى بِهَا ، وَسَلَبْتَنِي رَغَدَ السُّرُورِ
إِذَا مَا الشَّمْسُ لَمْ تَظْهَرْ بِأَرْضِ فَمَا طِيبُ الْحَيَاةِ بِغَيْرِ نُورِ
وَإِنْ أَصْبَحْتَ فِي خَلْدِي مُقِيًّا بِحَيْثُ يَجُولُ فِكْرِي مِنْ ضَمِيرِي
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنْ بَعَادِ وَرُؤْيَا الْعَيْنِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر
كتاباً افتتحه بهذه الأبيات :

أَحْبَابَنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفْرٌ ، إِلَيْكُمْ بِهَا فَقْرُ
وَإِنْ تَحُلْ يَوْمًا بُقْعَةً مِنْ شُخُوصِكُمْ فَلَمْ يَحُلْ يَوْمًا مِنْ مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وَإِنْ تُنَنِّتُمْ عَنَّا الْمَهَامُ وَالسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا الْمَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رَحَلْتُمْ ، فَعَادَ الدَّهْرُ لَيْلًا بِأَسْرِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبَتِكُمْ جَحْرُ
تُرَى فَاضَ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ وَالْأَسَى لِبَعْدِكُمْ ، فَاسُودَّ مِنْ صِبْغِهِ الدَّهْرُ
وَكَيْفَ أَلْوَمُ اللَّيْلِ إِنْ طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَدْ غَابَ عَنِّي مِنْكُمْ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :

تُذَكِّرُهُ أَحْبَابَهُ الْإِنْجِمُ الزُّهْرُ فَيَا وَيْحَهُ مَاذَا بِهِ صَنَعَ الذِّكْرُ
هَمْ مِثْلُهَا : بُعْدًا ، وَنُورًا ، وَرَفْعَةً

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم فن لي لو دام التداني والهجر
سقى مصر جود الصالح الملك ، إنه هو الوابل المحيي البرية لا القطر
ففيها كرام أسعروا بجوانيحي ببعدهم جمرًا ، به يحرق الجر
ومن عادتي الصبر الجميل ، وليس لي على بعدهم ، لادر در النوى ، صبر
إذا ما "أمين الدين" عن اذكاره ذهلت ، كأتى خامرت لي الجر
يذكرني الفاضلون ، وإن غدوا جد أول إن قيسوا به ، وهو البحر
إذا حضر النادی فرضوى راحة وإن قال فالدر المنظم والسحر
ويعجني منه تدفق عليه وأعجب منه كيف يجمعه صدر
تناعت بنا الداران ، والود مضقب^(١) فللقرب شطر ، والبعد له شطر
كأن الليالي إذ قضت بفراقنا قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
أحل بها إن غاب عنها ، وإن أغب يحل بها ، فاعجب لما صنع الدهر
فليت تلاقينا ، ولو بعض ساعة يحم^(٢) وشيكا ، قبل أن ينفد العمر
لاحظي برؤياه ، وأشكر منه^(٣) وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرن اهتماما منك يذكرني في البعد ، حتى كأتى مضقب^(١) الدار
بعدت عنه ، فنا أنكرت خلته^(٤) مع الثاني ، وكم أنكرت من جار

(٢) حم الأمر بالضم : قضى .
(٤) الخلة بالضم : الصداقة .

(١) أصقت دارعم : دنت .
(٣) المن : الإتمام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

أصبحتُ بعدك يا شقيقَ النفسِ في بحرٍ من الهمِّ المبرِّجِ زانِحٍ
متفرِّداً بالهمِّ ، من لى ساعةٍ بِرِفاقٍ شعياً ، أو علالةٍ دَاهِرٍ

دَاهِرُ : صاحبُ للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

كفى حزناً أنى مقيمٌ ببلدةٍ يُعلِّنى بعدَ الأحبةِ دَاهِرُ
يحدِّثنى مما يُجمَعُ عقلُهُ أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرُ

وشعياً : صاحبُ للقاضى أبى المجد بن سليمان المعرى (رحمه الله) الذى
يقول فيه :

لقد ولى زمانٌ نحنُ فيه فسقياً للحامِ به ورُعياً
إسارُ بين أتراكٍ ورُومٍ وفقدُ أحمَةً ورِفاقُ شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كأبى ، ولولا أنْ يأمى قد نهى اش نياقى ، لذابَ الطرسُ من حرِّ أنْقاسى
وبعدُ ، فعندى وحشةٌ لو تقسَّمتْ على الخلقِ ، لم يستأنسِ النَّاسُ بالنَّاسِ

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَالِي وَلِلشِّفَاءِ فَمَا أُرْتَجِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيّ ، وَهُوَ شَفِيحِي
أَعْذَتْ لِي مِنْ جُودِ كِفْلِكَ مَوْرِدِي فَصَفَا ، وَأَمْرَعَ مِنْ نَدَاكَ رَبِّيحِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطُلْتُ^(١) مِنْ سَامِيئِهِ نَفْرًا بِجِدِّكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِي
وَقَضَى بِيُعْدَى عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُقْيَا نَحْطِبِ رَمَانًا بَالْتَوَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اضْطِبَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلْبِي لُسُلَانٍ مُطْبِعُ وَلَا السُّلُونُ عَنْكَ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبُتَّكَ مُضْمَرِ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّنِي الْأَمَانِي أَوْ لَسَرَفَ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لُبْعَدِكَ ، وَالتِّيَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَف :

مُؤَاصَلَتِي كُنْتِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اهْتِيَاقًا ، بَلْ عَلَيْكَ تَأْسُفًا
وَلِي أَسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ نَفَعَ الْأُسَى فَمِنْ قَبْلِنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفًا

(٢) قلب شعاع : نفرت همه وآراؤه ، فلاتجبه لأمر جزم .

(٤) الالتياح : الاحتراق من الهم .

(١) طلعت : كنت أطول منه .

(٣) من سرتى عنى الهم .

ولكن نفسي قد تملكها الأسى وقلبي ، إذا سكته بالأسى هفاً
وما أحسب الأيام تفنن باللوى ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتنى

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقدم أولها^(١) :

وابتزني رأي عز الدين ، مُسْتَلْباً من بعدما عني إحسانه وضمناً^(٢)
أضافني عنه هماً شجيت به أبان عن ناظري طيب الكرى ونقى
أنته عني أحاديث منخرقة ما إن بها عنه ، وهو الأملئ ، خفاً
لكنها وافقت من قلبه ممللاً لم يسهن صحة الدعوى ، ولا كشفاً
وما الرضا ببعيد من خلائفه وهي السلافة راقن رقة وصفاً
ومنها :

يا من حوى قصبات السبق أجمعها فما يرى اثنان في تفضيله اختلفاً
أنفقت مذهب عمرى في رضاك ، وما رأيت منفق عمرٍ واجداً خلفاً
لكنني اعتضت منه حُسن رأيك لي فليت منه العلا والعز والشرفاً
حتى إذا أنا ماثلت النجوم عللاً وقلت : قد نلت من أيامي الزلفاً^(٣)
أريتني ، بعد بشر ، هجرة وقلبي وبعد برٍ ولطف ، قسوة وجفاً
فعدت صفر يد مما ظفرت به كأن ماثلته من كفى اختطفاً
هني^(٤) أتيتُ بجهل ما قذفت به فأين حبلك^(٥) والفضل الذي عرفاً

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) الضمير : السبق والكثرة . (٣) الزلف : جمع زلفة وهي القرينة .

(٤) هذا البيت وثانيه رواهما أسامة أيضاً في باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية باب الآداب (فأين فضلك والهم ...) .

ولاً ، وَمَنْ يَعْلَمُ الْأَمْرَارَ حَلْفَةً مِنْ
 مَا حَدَّثْتَنِي نَفْسِي عِنْدَ خَلْوَتِهَا
 لَكِنَّا شِقْوَةٌ حَانَتْ ، وَأَقْضِيَةٌ
 تَدَاوَلْتَنِي أُمُورٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ
 وَأَقْضَيْتَنِي ^(١) سَهَامُ الْحَاسِدِيِّ عَلَى
 وَبَعْدَ مَا نَالَنِي ، إِنْ جُدْتُ لِي بِرِضًا
 وَذَاكَ ظَنِّي ، فَإِنْ يَصْدُقَ فَأَنْتَ لِمَا
 حَاشَاكَ تَغْدُو ظُنُونِي فِيكَ مُحْفَقَةً
 وَجُئْتَنِي مِنْ زَمَانِي حُسْنُ رَأْيِكَ لِي
 أَلْفَتْ مِنْكَ حُبْرًا مِنْذُ كُنْتُ ، وَقَدْ
 وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ مِنْكَ الْحَنُوءُ عَلَى
 فَعُدْ لِأَحْسَنَ مَا عَوَدْتَ مِنْ حَسَنِ
 وَاسْلَمْ لَنَا ثَالِثًا لِلنَّيِّرِينَ عَلَاً
 أَيَّامُنَا بِكَ أَعْيَادُ بِأَجْمَعِهَا

يُرْ فِيمَا أَتَى ، إِنْ قَالَ ، أَوْ حَلَفًا
 بِمَا تُعَفِّنِي فِيهِ إِذَا انْكَشَفَا
 حَبِئْتِي الْهَمُّ مَذْ عَامِينَ وَالْأَسْفَا
 لَوْ حَمَلَ الطَّوْدُ أَدْنَى ثِقَلِهَا نُسْفَا
 فَوَزِي بِقُرْبِكَ حَتَّى قَرِطُسُوا ^(٢) الْهَدَفَا
 فَقَدْ غَفَرْتُ لِدَهْرِي كُلِّ مَا سَلَفَا
 رَجَوْتُ أَهْلًا ، وَإِنْ يُحَقِّقُوا أَسْفَا
 أَوْ يَنْتَنِي أَمَلِي بِالْيَاسِ مُنْصَرِفَا
 أَكْرَمَ بِهَا جُنَّةً ، لَا لِبَيْضٍ وَالزَّغَفَا ^(٣)
 فَقَدْنُهُ ، وَشَدِيدُ فَقْدُ مَا أَلْفَا
 مِثْلِي ، وَلَوْ زَاغَ يَوْمًا ضَلَّةً ، وَهَفَا
 يَأْمَنُ إِذَا جَادَ وَفَى ، أَوْ أَدَمَ ^(٤) وَفَى
 وَزَدَ إِذَا نَقَصَا ، وَاشْرَفَ إِذَا كُسِفَا
 قَدَمَ لَنَا مَا دَجَا لَيْلٌ ، وَمَا عَكَفَا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها ^(٥) :

لَكِنِّي أَشْكُو قَوَارِصَ مِنْ تَلْقَائِهِمْ ، قَلْبِي لَهَا يَجْفُ
 وَمَلَالَةٌ مِنْهُمْ بَيْنِي عَلَى أَثْنَانِهَا الشَّتَانُ وَالشَّنْفُ ^(٦)

(١) أقصد السهم : أصاب ، فقتل مكانه . (٢) قرطاس ، أصاب القرطاس ، وهو كل أديم ينصب للنضال .

(٣) الزغف : الدرع البية الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل .

(٤) أدم له عليه : أخذه الدمة ، وفلانا : أجاره .

(٥) انظر القصيدة ص ٢٩ وأولها : (باحث بترك أدم تكلف) .

(٦) الشنف بالتحريك : البفض والتكر . والشتان : البفض .

أُنْكُرْتُ قَسُونَهُمْ ، وَأَعْرَفُهُمْ كُرَمَاءَ ، إِمَّا اسْتَعْطَفُوا عَطْفُوا
 قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنِنَا وَنَجَتْ أَسْبَابَهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
 وَإِذَا سَلِمْتَ ، أَبَا سَلَامَةَ ، لِي فُصَّابُ كُلِّ رَزِيَّةٍ ظَلَفُ^(١)
 لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فَلَيجْهَدُوا فِي الْغَدْرِ ، أَوِيفُوا
 قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَادَجًا السَّدَفُ^(٢)
 وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ تُضْحِي إِلَى الرِّغَابِ تَشْتَرِفُ^(٣)
 فَعَدَوْتُ لِأَخْطَبٍ أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِأَثَرِ شَيْءٍ فَانَتْ أَسْفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها^(٤) :

يَابْنَ الْأَلَى جَمَعَ الْفَخَارَ لِبَيْنِهِمْ مَا شَتَّوْهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
 وَتَمَلَّكُوا رَقَّ الْأَكَارِمِ بِالَّذِي فَكُّوا بِهِ رَقَّ الْعُنَاةِ^(٥) ، وَأَطْلَقُوا
 أَشْكُو إِلَى عَلَيْكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كَتَمَانِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَبُّو
 وَطَوَارِقًا لِلَّهِمْ . أَقْرَبِيهَا الْكَرَى^(٦) وَتَلَطَّ^(٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
 لَوْ لَمْ أَمْنِ النَّفْسَ أَنَّكَ كَاشِفُ كُرْبَاتِنَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ عُقُوقٍ مُحِيطِ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوبِقُ^(٨)

(٢) السدف : القلعة .

(١) الظلف : كل عين .

(٤) انظر ص ٨٧ .

(٣) تشترف : تتطلع .

(٦) أى أى أجل النعم قراها .

(٥) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٧) لظ بالمكان والظ به والظ عليه : أقام وألح . والإلظاظ : لزوم الشيء . والمتابرة عليه .

(٨) أوبقه : أهلكه .

لا تَلْزِمَنِي بِالْهَوَايِبِ وَحَمَلِهِ
دَعْنِي وَقَطِّعْ الْأَرْضِ دُونَ مَعَاوِي
تَغْلِي عَلَى صُدُورِهِمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
تَعْسَى إِذَا نَظَرُوا إِلَى عُيُونِهِمْ
كَسَدَتْ عَلَى بَضَائِعِي فِيهِمْ ، فَلَا
أَعْيَا عَلَى رِضَاهُمْ ، فَيَنْتَسُتُ مِنْ
إِنْ أَغْشَاهُمْ ، قَالُوا : خُلُوبٌ ^(٤) ، مَا ذِقُ ^(٥)
قَدْ أَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَى ، وَعَيْشَهُمْ
فَاسْمَحْ بِيُعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
فَلَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ أَقْلُهُ
وَعَسَى قُلُوبٌ أَعْضَلَتْ أَدْوَاؤَهَا
فَضْلُ الْأَقَارِبِ بِرَّهِمْ وَخَوْفُهُمْ
أَتَظُنِّي أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدَّهِمْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
لَا تَغْتَرِزْ بِرَجَائِهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا
خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ أَحَادِيثَ الْمُنَى
وَأَعِثْ ، فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزَّبِي ^(٨)

إِنَّ احْتِمَالَ الْهُونِ ^(١) ثَقُلَ مُرْهُقُ
كُلُّ عَلَى لِفَيْرِ جُرْمٍ مُحَقَّقُ ^(٢)
فَتَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى تَحْرِقُ
حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ دُونِي تُشْرِقُ
أَدْنَى ، وَلَا نَسَى ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ ^(٣)
إِدْرَاكِه ، مَا النَّجْمُ شَيْءٌ يُلْحَقُ
أَوْ أَجْفُهُمْ ، قَالُوا : عَدُوٌّ أَزْرُقُ
فَأَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبِي أَيْضًا شَقُوا
إِنَّ الَّذِي تَرْضَى عَلَيْهِ مُوَفَّقُ ^(٤)
أَلَّا يُكَدَّرَ بِالْهُمُومِ ، وَيُمَذَّقُ ^(٥)
فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ تَفَرِّقُ ^(٦)
فَإِذَا جَفَوْنِي فَلَا بَاعِدُ أَرْفَقُ
إِنِّي إِذَا عَبْدُ الْمُطَامِعِ ، أَنْحَرُقُ
مِنْهَا نُدُوبٌ ^(٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ وَجَاءٍ يُخَفِّقُ
إِنَّ الْأَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصْدُقُ
حَقًّا ، وَأَدْرِكُنِي قُبَيْلَ أَمْرِقُ

(١) الهون : الهوان . (٢) الحق : القبط . (٣) تقى : راج .
(٤) خليه كفسره خلا وخلابا وخلافة بكسر الأخيرين : خلدته . (٥) مذق الود : لم يخلطه .
(٦) أفرق من مرضه : برى . (٧) ندوب : جمع ندبة ، وهي اثر الجرح الباقي على الجلد .
(٨) الزبي : جمع زبية وهي الزاوية .

(٢٤٧)

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها ^(١) :

إيها ، بمحَمَّدَ مجدِّ الدِّينِ تعلَّمْ أنَّ الصَّبْرَ عنكَ أو السُّلْوانَ من خُلُقِي
أو أَنِّي بعدَ بُعْدِي عنكَ مُغْتَبِطٌ بالعِيشِ ، إِنِّي به ، لَا تُكَذِّبَنَّ شَقِي
ياوِجِحْ قَلْبِي من شَوْقٍ ، يُقْلِقُهُ إِلَى لِقَائِكَ ماذا من نَوَاكِ لَقِي
وَنَظَائِرٍ قُرَحَتْ أَجْفَانُهُ أَشْفَا عَلَيْكَ فِي لِحْجَةٍ من دَمْعِهِ غَرَقِ
وبعدَ ما بِي ، فإشْفائي يَهْدِدُنِي بِشَوْبِ رَأْيِكَ بالتَّكْدِيرِ والرِّقِّ
وَأَنَّ قَلْبَكَ قد رَأَتْ عليه من الـ وَأَشِينِ بِي جَفْوَةً يَهْمَاءُ ، كَالغَسَقِ ^(٢)
وَنَافْسُونِي فِي حُسْنَى ظُنُونِكَ بِي حَتَّى غَدَوْتُ وَسُوءَ الشَّكِّ فِي نَسَقِ
بِهِمْ تَبَارِجُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ ، وَمَا أُجْنُ : من زَفَرَاتٍ بِالْحَوَى نُطِنِ
أَمَّا كِفَاهُهُمْ نَوَى دَارِي ، وَبَعْدُكَ عَن عَيْنِي ، وَفُرْقَةُ إِخْوَانِ الصَّبَا الصَّدُوقِ
وَأَتَى كُلَّ يَوْمٍ قَطْبُ مَعْرَكَةٍ دَرِيَّةُ السُّمْرِ وَالْهِنْدِيَّةِ الذُّلُقِ ^(٣)
أَغْشَى الْوَغَى مَفْرَدًا من أُسْرَتِي ، وَهُمْ هُمُ إِذَا الْخَلِيلُ خَاضَتْ لِحْجَةَ الْعَلَقِ ^(٤)
هُمْ الْحَاهُونَ ، وَالْأَشْهَالُ مَسْلَةً وَالْمَلْتَقُونَ الرَّدَى بِالْأَوَجِهِ الطَّلُقِ
وَمَوْضِعِي مِنْكَ لَا تَسْمُو الْوَشَاءُ لَهُ وَلَا يُغَيِّرُهُ كَيْسِي ^(٥) وَلَا حُمُقِي
وَلَمَّا قَالَةُ جَاءَتْ ، فَضَاقَ لَهَا صَدْرِي ، وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَعْنَى لَمْ يَضِقْ
كَذَّبْتُهَا ، ثُمَّ نَاجَتْنِي الظُّنُونُ بِأَنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ ، فَلَا تَتَّقِ

(١) انظر ما سبق ص ٨٩

(٢) الهباء : الغلاة لا يتدى فيها . والأليم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلمة أول الليل . واران على قلبه : غلب .

(٣) الدريئة الحلقية ينظم العطن والرى عليها . والسمر : الرماح . والهندية : السيوف . والذلق : الحادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكيس : العقل .

كم قد أغصَّ بما^(١) تمرى مذاقته ونغصَّ البارد السلسال بالشرق
توقع الخوف من أنت آمنه قد تنكأ الكلم كف الآسي الرفق
فقلت : مالي وكتمى ما تخالجنى فيه الظنون كفعل المغضب الملق^(٢)
أدعولابي صدى صوتى وموضع شكـواى وحامل ثقلى حيث لم أطق
فإن يكن ما نئى زوراً ، وأحسبه فعنده العفو عن ذى الهفوة العقن^(٣)
وإن يكن ، وأحاشى إجمده ، تلججت عتبه حرَّ حشاً بالهم محترق
هو الأبى الذى تخشى بواده ويرنجى عفوهُ فى سورة الحنن
عتبه تلقى ذنوبى قبل معذرتى وماء وجهى مصون فيه لم يرق
لا غيرت رأيه الأيام فى ، ولا نالت مكاني منه لقعة^(٤) الحدق

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أحبابنا ، هلا سبقتم بوصلنا صروف الليالى قبل أن نتفرقا
تساغتم بالهجر ، والوصل ممكن وليس إلينا فى الحوادث^(٦) مرتقى
كانا أخذنا من صروف زماننا أماناً ، ومن جور الحوادث^(٧) موثقاً

-
- (١) مرى الطام فهو مرى : هنى . (٢) الملق : الضعيف .
(٣) العقن : العاق . (٤) لقع فلانا بيه أصابه بها .
(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامه فى خريدة القصر ١ : ١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .
(٦) فى الخريدة ومعجم الأدباء . (لحوادث) .
(٧) هذه رواية المصنفين السابقين وفى الأصل "الليالى" وبما أثبتنا يستقيم الوزن :

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

بَعُدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيَسْتُ مِنْ أَنْ نَلْتَقِيَ ، لَكِنِّي أَلْقَى تَذَكُّرَكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأَغْبِضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فِرَافِدُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فَتَفِيضُ سَطْحِ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْمُنَى قَضَى كَدًّا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقُ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذِكْرُهُ مِنْكَ خَلَّتْهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظْمَاهُ ، فَهُوَ خَفُوقُ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجْبًا لِلْيَاسِ كَيْفَ يَسُوقُ
وَمَا سَاءَنِي آتِي لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقُ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :

لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأَبِيكَ مَا السُّلُوانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَّ السُّلُو مِنْ الْغَرَامِ وَثَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجَوَى وَالْيَاسُ كُلُّ الْيَاسِ مِنْ إِفْرَاقِ^(١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أُنْجَى الْهَوَى مِنْ دَانِهِ ، وَالسُّمُّ فِي الدَّرِيَّاقِ^(٢)
سُقْمُ الْجَفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَتَنُهَا الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(٢) الدرياق : الترياق .

(١) أفرق المريض والمحموم : برى .

وَأَغْنَى^(١) رَاعِنِي النَّوَى بِفِرَاقِهِ
أَخْلُوْ بِأَفْكَارِيْ ، لَتَدْنِيْ شَخْصَهُ
وَأَكْرُرُ التَّسَالَ عَنْهُ لَجَاهِلٍ
فَإِذَا تَسَاخَ لِي الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ
بَانَتْهُ وَجَدِي ، وَقُلْتُ : يَرْقُ لِي
وَيَلُومُنِي فِيهِ رَفِيقٌ يَدَّعِي
إِلَيْهَا ، كَلَانَا يَشْتَكِي حَرَّ الْهَوَى
أَنْتِ اسْتَضَاءَتْ بِنَارِهِ مَتَبَصَّرًا
أَتَلُومُنِي بَعْدَ الْهُبُوبِ مِنَ الْكَرَى
لَا دَرْدُوكَ ، سَوْفَ يُفْرِدُكَ الْهَوَى
أَسَلَمْتَنِي لِلْوَجْدِ ، إِنْ أَرْضَاكَ أَنْ
إِنْ جُرْتَ عَنْ نَهْجِ الْكَرَامِ فَرِشْدُ^(٢)
فَاعْمَدِ لِمَجْدِ الدِّينِ ، تَلَقَّ الْمَجْدَ مَا
فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى أَغْرَ مُحِبِّ
فَارْبَعُ بَرْبَعٍ لَا يَزَالُ تَزِيلُهُ
وَالْبَلِغُ نَحْمَةً نَازِحٌ قَذَفَتْ بِهِ
قَدْ كَانَ بِالشَّائِمِي يُعْرِفُ بُرْهَةً
أَنْصَى الْوَجِيفُ^(٣) رِكَابَهُ وَجِيَادَهُ

وَلَكُمْ بَجَعْتُ ، وَلَا كَذًا ، بِفِرَاقِ
خُدْعُ الْمُنَى مِنْ قَلْبِي الْخُفَاقِ
عَلِمِي ، وَتِلْكَ عُلاَلَةُ الْمُشْتَاقِ
مِنْ بَعْدِ بَيْنِي فُرْقَةٍ وَشِقَاقِ
فَأَجَابَنِي بِالصَّمْتِ وَالْإِطْرَاقِ
نُصْحِي ، أَضَاعَ النَّصِيحُ حَقَّ رِفَاقِي
لَكِنْ جَهَلْتُ تَبَايُنَ الْعُشَاقِ
وَأَنَا صُلِيتُ بِجَهْرِهِ الْمِحْرَاقِ
وَحِشَاكَ مَثْلُوجٌ ، وَدَمْعُكَ رَاقِ
مِنْ ، فَلَا تَتَعَجَّلَنَّ فِرَاقِي
أُضْنِي ، فَكُلُّ رِضَايَ أَنَّكَ بَاقِ
لَكَ مُرْشِدٌ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
لَا قِبَتَهُ ، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ لَاقِ
مَخْلُوقَةٍ كَفَاءُ لِلْإِنْفَاقِ
حُسْنُ الثَّنَاءِ ، وَخَشْيَةُ الْخُلَاقِ
أَيْدِي النَّوَى فِي أَسْمَقِ الْآفَاقِ
مِنْ دَهْرِهِ ، وَالْآنَ فَهُوَ عِرَاقِي
فَكَأَنَّهَنْتِ فَلَانْدُ الْأَعْنَاقِ

(٢) جد أسامة .

(١) طاب أغن : يخرج صوته من خياشيمه .

(٣) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

وهو الجليدُ على خطوب زمانِه لا يشكِي منها سوى الأشواقِ
 ينزُو لذكرِ أبي سلامةَ قلبُه فيكادُ يَمُرُّ من حَشًا وِصْفًا^(١)
 واهتِف به : يا خيرَ من أرجوه إـلاؤاه^(٢) أو أدعوه يومَ تلاقِ
 بي لوعتانِ عليك يضعفُ عنهما جَلَدِي : من الأشواقِ والإشفاقِ
 فالشوقُ أنت به العليمُ ، وغالبُ الإِ شفاقٍ مما أنت في مُلاقِ
 وإذا أخطأتك الحادثاتُ ، فكلُّ ما ألقاهُ محمولٌ على الأحداقِ
 فأجابه ، رحمه الله ، بقصيدةٍ أولها :

أظنُّ أني بعدَ بُعدِكَ باقٍ أجزى عن الأشواقِ بالأشواقِ
 يقول فيها :

أبا المظفرِ دعوةٌ تشني الظما مِنِّي ، وإن أضحى بها إحراقِ
 لم أستكنْ أبداً لخطبِ نازلٍ إلا لبُعدِكَ ، فهو غيرُ مُطاقِ
 فإذا أطعتُ الوجدَ فيك أطاعني قلبي ، ويُبدي ، إن عصيتُ ، شقاقِ
 فإذا ذكرتكَ خلتُ أني شاربٌ ثملٌ ، سقاهُ من المدامةِ ساقِ
 قال : ووقف مؤدبُ الشيخِ الحالى أبو عبدِ الله محمدُ بنُ يوسفَ المعروف
 بابنِ المنيرةِ ، رحمه الله ، على القصيدةِ ، فأجابني عنها بقصيدةٍ أولها :

يا راكبَ الشَّدَنِيةِ^(٣) الغِداقِ^(٤) ومتابعَ الزَّمَلانِ^(٥) بالإعناقِ
 في فنيةٍ وصلُّوا بسرِّي حتى انبرت أجسامُهم أخفى من الأرماقِ

(١) الصفاق (كتاب) : الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أوماين الجلد والمصران ، أوجد البطن كله .

(٢) الإلاؤاء : الشدة . (٣) الشدنيات محرّكة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو غل .

(٤) الغِداق : الطويل .

(٥) زمّل زمّل (بضم الميم وكسرهما) : عدا معنّدا في أحد شقيه رافعا جنبه الآخر . والإعناق : الإصراع .

من كل مهتز بكف نَعاسِه هزَّ الوليدِ ثَنَاءَ المِخْرَاقِ^(١)
 وَضَعَ النُّعَاسُ عَلَى الْأَكْفِ خُدُودَهُمْ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلاَ أَغْنَاقِ
 إِمَّا بَلَّغُمْ سَالِمِينَ ، فَبَلَّغُوا أَوْفَى تَحِيَّةٍ مُشِيمٍ لِعِرَاقِ
 وَتَوَسَّمُوا ذَاكَ الْحَيَّا ، وَامْتَرُوا تِلْكَ الْبَنَانَ مَفَاتِحَ الْأَرْزَاقِ
 مِنْ آلِ مُنْقِذِ الَّذِينَ رِأَصَهُمْ مَلَأَى مِنَ الزُّوَارِ وَالطُّرَاقِ
 اللَّاسِينَ مِنَ الْمَكَارِمِ جُنَّةً مَا لِلْعَايِبِ غَيْرَهَا مِنْ وَاقِ
 يَهْلَأُونَ لَدَى النَّوَالِ ، وَفِي الْوَعَى يَسْطُونَ بِالْإِرْعَادِ وَالْإِبْرَاقِ
 يَأْيُهَا الْمَوْلَى الَّذِي بَعَادِهِ عَنِّي ، قُرْبُتُ مِنَ الرَّدَى الْمُعْتَاكِ
 لِي أَنَّهُ الشَّائِكِي الشَّجِي لِمَا هُ إِمَّا ذِكْرَتُ ، وَلَوْعَةُ الْمَشَاقِ
 وَإِذَا الْخَفُوفُ نَظَرْنَ بَعْدَكَ نَزْهَةً عَاقِبَتُهُنَّ بِدَمْعِي الْمُهْرَاقِ
 لَا تَطْلُبْنِ مِنِّي الْمَسْرَةَ؛ إِنَّمَا عَذْرَاءُ ، قَدْ مَتَّعْتَهَا بِطَلَاقِ
 أَمَّا أَبُوكَ فِدَاؤُهُ مُسْتَحْكَمٌ مَا إِنْ لَهُ بِسِوَاكَ مِنْ إِفْرَاقِ^(٢)
 كَيْفَ السُّلُوءُ لَهُ ، وَأَتَى صَبْرُهُ عَنْ مُصْطَفَى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
 ذُو مُهْجَةٍ تَنْزُؤُ إِلَيْكَ ، وَمَقْلَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ
 لِمَا عَلِمْتُ بَعَجِزَهُ عَنْ نَظْمِ مَا يُنْهِى إِلَيْكَ ، وَذَاكَ بِاسْتِحْقَاقِ
 أَجْرِي طَرَفِي فِي سِبَاقِكَ دُونَهُ وَعَهْدُهُ أَبَدًا مِنَ السَّبَاقِ !
 وَبَذَلْتُ جَهْدِي بِالنِّيَابَةِ عَنْهُ بِالْـ تَنْزَرِ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ الْبَاقِ
 جَرِيًّا عَلَى شَغْنِي بِكُمْ ، وَمَحَبَّتِي لَكُمْ وَحَفِظَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقِ

(١) المِخْرَاقُ : المَدْبِلُ يَلْفُ لِيَضْرِبَ بِهِ . وَالتَّنَابُةُ حَبْلٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ أَوْ غَيْرِهِ .

(٢) إِفْرَاقٌ : بَعْدُ .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عز الدولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ مد^(١) مُتَهَي أمد الفران
وَأَسْكُنُ الْقَلْبَ الْخَفُوقَ قَ إِلَيْكُمْ بِمُنَى التَّلَاقِ
وأقولُ : قد رَقَّ الزَّما نُ لِهَرَجِ وَجَدِي واشتياقي
وإذا بِهِ مُسْتَصْغَرٌ ما قد لَقِيتُ ، وما أَلَقِ
يَقْضَى بِتَشْتِيِي وَإِمْ جاءَ اللِّقَاءُ إِلَى التَّلَاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السيد ضياء الدين ، أبي عبد الله ، زيد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله الحسيني ، نقيب الطالبين بالموصل :

ضياء الدين ، ما شوقُ دَعَانِي فَاسْمَعْنِي بِمَصْرَ مِنَ الْعِرَاقِ
بمُحْدُودٍ ، فَأَشْرَحْهُ ، وَلَا فِي قُوى الْأَقْلَامِ تَسْطِيرُ اشْتِيَاقِي
وَلَكِنِّي سَأُرْجِيهِ ، وَأَرْجُو مُشَافَهَتِي بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ
إذا ما كنتُ جَارَكَ ذَا اشْتِيَاقٍ إِلَيْكَ فَكَيْفَ بِي بَعْدَ الْفِرَاقِ
وَلِي شَكْوَى مِنَ الْأَيَّامِ أَضَحَّتْ لَهَا نَفْسِي تَرَدَّدُ فِي التَّرَاقِ^(٣)
أَكَلْتُ مِنْ أَذَاهَا فَوْقَ وَسْمِي وَأَحْمَلُ كَارَهَا غَيْرَ الْمُطَاقِ
وَيُلْزِمُنِي الْإِبَاءُ الصَّبْرَ فِيمَا يَنْوِبُ ، وَطَعْمُهُ مَرُّ الْمَذَاقِ
ومَغْفُورٌ لَهَا ، إِنْ أَسَعَفَتْنِي بِقُرْبِكَ ، مَا لَقِيتُ ، وما أَلَقِ

• (١) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا . (ياقوت) .

(٢) يريد يوم التلاق : يوم القباة .

(٣) التراق : جمع ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترقى فيه النفس .

وكتب إليه الملك الصالح رحمه الله هذه القصيدة بخط يده ^(١) :

أيها المنقذ ^(٢)، أنت على البعدِ صديق لنا ، ونعم الصديق
ليس فيما تأتيه من بر أفعأ لك للطالب الحقوق عُقوقُ
فلهذا نرى مُواصلةَ الكُتُبِ تبعاً إليك مما يليقُ
وتناجيك بالمهمات إذ أنت بالقاءها إليك خَلِيقُ
وأهم الأمور ^(٣) أمرُ جهادِ الكُفَرِ ، فاسمع ، فعندنا التَّحْقِيقُ
وأصلتهم منا السَّرايا ^(٤) فأشجأ هم ^(٥) بكورٍ منّا لهم ، وطُروقُ
وأباحَت ديارهم ، فأبادَ القومَ قتلٌ ملازمٌ وحريقُ
وانتظرنا بزحفنا برء نورِ السِّدين علماً منّا بأن سيفيقُ
وهو الآن في أمان من الله ، وما يعتريه أمرٌ يعوقُ
ما لهذا المهمِّ مثلك ، مجدِّ السِّدين ، فأنهض به فانتَ حَقِيقُ
قل له ، لأعداه ، رأى ولا زأ ل لديه لكلِ خيرٍ طريقُ :
أنت في حَسَمِ داءِ طاغيةِ الكُفَرِ ذاكِ المرجو والمرموقُ
فاغتمِ بالجهادِ أحرك ، كي تُلغى رقيقاً له ، ونعم الرقيقُ

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كم إلى كم يلحى الحبُّ المشوق ^(٦) وهو من سكرةِ الهوى لا يُفِيقُ
مملوء ، وهو الضعيفُ من التعنيفِ فيهم واللومُ ما لا يُطِيقُ
شجعوه على القطيعة ، والصَّـبُّ من الصَّدِّ والفرقِ فَروقُ ^(٧)

(١) النص في الروضتين أيضاً : ١١٦ . (٢) نسبة إلى منقذ : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المنقذ .

(٣) في الروضتين : المهم . (٤) السرايا : جمع مربية . وهي الطاقة من الجيش .

(٥) أشجاء : أحرزه . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرع .

وَلَحَوْهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي بُلْجَةِ الْغَرَامِ غَرِيقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَانِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ ^(١) مَا لَا عَانِيَ الْمَعَانِي الطَّلِيْقُ
يَا عَذُولِي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعِي ، الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيحٍ مَا يَلْسَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيقُ رَفِيقُ
إِنَّمَا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حَيِّمٌ ، وَلَا شَقِيقُ شَفِيقُ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَحْجُوبُ بِالْحُبِّ لِلْسُّلُوْ طَرِيقُ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّائِبِي وَجَفَاءُ حَتَّى الْخِلَالُ الطَّرُوقُ
وَإِذَا نَهَنَهُ الدُّمُوعَ اسْتَجَمَّتْ ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لُؤْلُؤُ وَعَقِيقُ ^(٣)

(٢٥٥)

وَكُتِبَ إِلَى الْوَزِيرِ نَظَامِ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :
نَظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خِلَاً وَكَمْ صَلَّيْتُ حَشَايَ لَفَى اسْتِثْنَايَ ^(١)
فَلَمْ أَجْزَعْ لِفَجَائَتِ النَّثَانِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوعَاتِ الْفِرَاقِ
وَهَانَذَا لِبَعْدِكَ أَلْفَ هَمٍّ تَقْيِضُ لَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْمَتَاقِ
أُمْنِي قَلْبِي الْخَفَاقَ شَوْقاً إِلَيْكَ يُقَرِّبُ أَيَّامَ التَّلَاقِ

(٢٥٦)

وَكُتِبَ إِلَى شَمْسِ الدُّوَلَةِ ابْنِ أَخِيهِ .:
أَبَا الْحَارِثِ ، أَسَلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَذُمُّ إِلَيْكَ الْبَيْنَ ، إِنَّ وَشِيكَهَ ^(٥)
وَأَضَلَّتْ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِداً
أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي هُمُومٍ تَعُودُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِ الْمُشَوِّقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظَمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ ^(٦)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بَارِضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمٍّ : غَادٍ ، وَطَارِقِ

(٢) جِزْ وَاسْتَجَمَّ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ .
(٤) صَلَّى النَّارَ : قَامِيَ حَرَمًا . وَالْفَلَى : النَّارُ أَوَّلُهَا .
(٦) حَرَقَ الْعَظْمَ عَرَقًا : أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(١) الْوَصْبُ : الْمَرْضُ .
(٣) بَاقِي الْقَصِيدَةِ ص ١٨٨ .
(٥) وَشِيكَ : سَرِيعُ .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

أبا حَسَنَ ، قَد رَانَ ^(١) ، بعدِ بَعَادِكمْ	على القلبِ ، هُم ، ما أراه يزولُ
أَعْلِلُ نَفْسِي أَنْتَى سَابِئِهِ	إذا ما التَّقِينَا ، وَالرَّجَاءُ مَطُولُ ^(٢)
إِذَا قُلْتُ : فِي أَعْقَابِ ذَا الْعَامِ نَلْتَقَى	تَمَادَى ، وَأَيَّامُ الْهُمُومِ تَطُولُ
وَأَقْتُلُ أَذْوَانِي بِعَادُ أَحْتَيِ	وداءُ التَّنَانِي ، مَا عَلِمْتَ ، قَتُولُ
وَقَدْ سَاءَتْنِي أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ	أَخْلَايَ ، حَتَّى مَا يَدُومُ خَلِيلُ
وَجُفُوءُ مُجِدِّ الدِّينِ "أَعْدَلُ شَاهِدُ	على أَنْ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ تَحُولُ ^(٣)
أَسَاءَ التَّنَانِي ظَنَّهُ بِي ، وَلِمَنْتِي	لَأَعْهَدُهُ فِي الْقُرْبِ ، وَهُوَ جَمِيلُ
جَفَانِي زَمَانًا لَا مَلَالًا ، وَإِنَّمَا	نَهْتَهُ حُزُونُ بَيْنِنَا ^(٤) وَسُهُولُ
مَفَاوِزُ لَا يَسْتَطِيعُ قَطْعَ فِجَاجِهَا ^(٥)	رَسُولُ ، وَلَوْ أَنَّ الْخِيَالَ رَسُولُ
وَلَا ذَنْبٌ إِلَّا لِلْبِعَادِ فَمَا لَنَا	دُنُونًا ، وَحَقِي فِي الدُّنُو قَلِيلُ

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كتابٌ غيرُ مختوم :

وَإِنِّي كَتَبْتُكَ مَفْتُوحًا ، فَبَشَّرْنِي	بِفَتْحِ سُبُلِ الْإِقْدَاءِ الزَّجْرِ ^(٦) وَالْقَالَ
فَقُلْتُ : أَحَبُّهَا بَشْرِي إِلَيَّ ، وَإِن	تَعَرَّضْتُ ، دُونَ مَا نَزَجُوهُ ، أَهْوَالُ

(١) ران : غلب .

(٢) تحول : تَهَوَّل .

(٣) المطل : التَّوَيُّفُ بِالْعَدَةِ .

(٤) في رواية بها من الديوان (دونا) .

(٥) الفجاج : جمع فح وهو الطريق الواسع بين جبلين . (٦) زجر الطير : تفادى به .

ثم اعترنني أشواق ، مُجْهِلِي كيف اطمانت بقلبي بعدك الحال
وكيف بئى ، وما ينفك ذاوَجَلٍ خوفاً عليك ، وفي الأوجال^(١) آجالُ
وكتب إليه الشريف ضياء الدين أبو عبد الله زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني
وهو بظاهر الموصل :

أبا المظفر ، أشواق مبرحةً وما استقلت^(٢) بكم للين أجمالُ
وأتم حيث إطلالي بينكم وما نأت دار من يديه إطلالُ
فكيف بي إن غدا الهرماس^(٣) مشربكم وحال من دونكم مرث^(٤) وأحبال^(٥)
إذا تُخبرك الرُكبان عن كبد تدمى^(٦) ، وعين لها سح وتهمالُ
وعن مودع قلب قد رحلت به يعتاده لكما هم وبلبال^(٧)

(٢٥٩)

فأجابه :

يا خير من علقت كفي مودته وصدقت لي في علياه آمالُ
ماذا أقول ، وقلبي قد تخلف عن جسمي ، وزمت لوشك الين أجمالُ
وكم فجعته بروعات الفراق ، ولا كهذه ، لم يرعني قط ترحالُ
وقبل وشك النوى قد كنت أحذرهما كأن ذاك التوقي قبلها فالُ
فإن تبادت بنا أيام فوقيتنا وكل ساعات بعدى عنك آجالُ
فاحفظ قواداً مقيماً في ذراك ، ولا تُسلنه للشوق ، إن الشوق قتالُ

(٢) استقل : ارحل .

(١) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

(٣) الهرماس : نهر . (٤) المرت : المفازة بـ لـ نـ اـ ت ، أو الأرض لا يحف تراها ولا ينبت مرعاها .

(٦) دى كرمى : تلوث بالدم .

(٥) الحبل من الرمل : المجتمع الكثير المال .

(٨) زم البعير : خطمه ، وتقدم في السير .

(٧) اللبال : الوسواس وشدة الهم .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظميه بخط يده :
 أيها السائر الجِدُّ إلى الشَّامِ تَبَارَى^(١) رِكَابُهُ والخيلُ
 خُذْ على بلدةٍ بها دارُ مَجْدِ الدِّينِ^(٢) ، لا رِيعَ رُبْعُها المَاهُولُ
 وَتَعْرِفْ أَخْبَارَهُ ، واقِرْهُ مِنَّا سلاماً فيه العتابُ يَحُولُ
 قل له : أَنْتَ نِعَمَ ذَنْحَرُ الصَّدِيقِ اليومَ ، لكنَّكَ الصَّدِيقُ المَلُولُ
 ما ظننَّا بأنَّ حَالَكَ في القُرْبِ ولا البعدِ بالمَلالِ تَحُولُ^(٣)
 لا كُتَابٌ ، ولا جَوَابٌ ، ولا قَوْلٌ لِي ، به لليقينِ مِنَّا حُصُولُ
 غيرَ أَنَّا نُوَاصِلُ الكُتُبَ إِذْ قَصَّرَ مِنْكَ البرُّ الكريمُ الوُصُولُ^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أَيْنَ سَمِعِي عَمَّا يَقُولُ العَدُولُ أَنَا بِالْهَجْرِ والنَّوَى مَشْغُولُ
 وَسَبِيلُ السُّلُوكِ بِإِدِّ لِعَيْنِي ، وَلَكِنْ مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
 مَا قَلِيلُ الْغَرَامِ ، يامسْتَرِجِ القَلْبَ ، مما يَلْقَى المَحَبُّ ، قَلِيلُ
 بِالْهُوَى هَامٌ فِي النَّفَاقِ قَيْسُ لَيْلٍ وَهوَ مَاتَ عُرْوَةُ^(٥) وَجَمِيلُ
 فَأَعْفَ مِنْ لَوْمِكَ المَحَبَّ ، كَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ تَسْهِدُهُ والنُّحُولُ
 لَا تَنْظُنَّ وَجَدَ مَنْ فَارَقَ الْأَظْهَانَ بِحَثْنٍ حَادٍ عَجُولُ
 تَقْطَعُ الْبَيْدَ حَامِلَاتٍ شُمُوسًا مَا لَهَا فِي سَوَى الْخُدُورِ أَقُولُ
 كُلُّ شَمْسٍ تُنِيرُ فَوْقَ قَضِيبٍ يَتَهَادَى بِهِ كَتِيبٌ مَهْمِلُ
 لَا وَلَا وَجَدَ نَازِحَ فَارَقَ الْأَوَّ طَانٍ ، يَتَاجُهُ الضُّحَى والأَصْبَلُ

(٢) لقب أسامة .

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٤) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٣) حال الشئ . : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منبى العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عروة . وجبل هو جبل بنية .

كَلَّمَا لَامَهُ الْعَدُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفَرَةٌ وَعَوِيلٌ^(٢)
مِثْلَ وَجْدِي لِفِرْقَةٍ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
وَمِنْهَا :

يَا أَمِيرَ الْجِيوشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي نَعْلِهِ وَفِيَا يَقُولُ
أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتَ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضَيْنِ ، عَنْهُ تَزُولُ
فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طَرًّا عَلَى أَنِّي مَلُولُ
مَنْ يَمْلُ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْفِيلُ
لَا تَرَعْنِي بِالْعَتَبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
لِي رُسُومَ ، مِنْهَا مُوَاصَلَةُ الْكُتُبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
فَأَعَذَّنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي غُفْرٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
فِي وَدَيِ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى قَلْبِي ، فَيَبْدُو لَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
وَتَرَى أَنَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَيْعُهُ التَّجْمِيلُ^(٤)

قافية الميم

(٢٦١)

وَقَالَ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ تَقْدِّمُ أَوَّلَهَا^(٥) :

أَبْنَى السَّرَى وَالْبِيدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانَ بِكُمْ عُرَامَةً^(٦)
هَلْ فِيكُمْ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةٍ

(٢) العويل : رفع الصوت بالبكاء .

(١) مَرَى : استخرج .

(٤) لعله يريد بالتجميل رد الشيء عن تفرقة . أو من أجل الحساب :

(٣) رسم بكذا : أمر به .

يقده إلى الجملة . وبألها مشقلا عن خط ولده مرهف بالهاشية :

وَرَى رَيْعَ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ عِنْدِي لَمْ يَحْصِهِ التَّأْمِيلُ .

(٦) السرى : سيرة عامة الليل . والبعد : الغلا . وعوام الزمان :

(٥) انظر ما سبق ص ٩٧ .

وَنَجِيَّةٌ كَشَدَا فَتِيْقِ الْمَسْكِ ، صُفِّقَ بِالْمُدَامَةِ ^(١)
تَهْدَى ، يَضُوعُ ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا . مَلَامَةٌ
مِنْ جَامِعِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونٍ مُقَامَةٌ
وَقَعْنَ ^(٣) غَارِبَهُ الْخَطْوُ بُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْبَى الظَّلَامَةَ
يَابْنَ الْخَضَارِمَةَ ^(٤) الْكَرَامِ ، أُولَى الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَامٍ تَسُحُّ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةً ^(٥)
خَضِلُ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّى الْجَوُّ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ ^(٦)
أُسْلَامٌ خَسَفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةً
هِيَاةَ لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً ^(٧)
وَعَلَامَ يَخْشَى النَّاسَ مَنْ لَمْ يَخْشَ فِي حَالِ حَمَامَةٍ
مَنْ لَا تَرَاهُ لِأَثَرِ شَيْءٍ ، فَانْتَ يَبْدَى النَّدَامَةَ
وَإِذَا حَوَى الرِّغْبَاتِ أَمْضَى لِلْعَلَا ^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةٌ
لَوْ أَنْكَرْتَ أَجْفَانُهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةً
(٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد ^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير
إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وَكَيْفَ أَشْكُرُ مَنْ أَسَدَى إِلَى يَدَا سَرَتْ سُرَى الطَّيْفِ مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ
رَأَى مَكَانِي عَلَى بُعْدِي ، وَقَدْ عَشَيْتُ عَنْ عَيْوُنِ أَخْلَانِي ، وَأَيَّامِي
مُحَافِظًا لِعُهْدِي ، حِينَ أَفْرَدَنِي ظَلِي ، وَأَعْرَضَ عَنْ طَيْفِ أَحْلَامِي

(١) فنّ الطيب : خلطه . والصفيق تحوّل الشراب من إناه إلى إناه . ممزوجاً ليصفو .
(٢) ضاع المسك : تحوّل ، فانثرت رائحته . (٣) وقعته كوزمته : كويته .
(٤) الخضاومة : جمع خضرم وهو الجواد المطاع . والسيد الجول .
(٥) السام : الذهب والفضة . (٦) القتام : الفيار . والمحل : الجذب .
(٧) الامتصام : الظلم . (٨) في رواية بها مش الديوان (للندي) . (٩) انظر ما سبق ص ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتبْتُ إلى الأمير السَّيِّدِ الشَّرِيفِ النَّقِيبِ ضِيَاءِ الدِّينِ ، أَعْتَذِرُ مِنْ تَأَخُّرِ
كِتَابِي عَنْهُ ، فِي وَرَقِ أَصْفَرِ :

فَقَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ	وَمَا كَذَا يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْخَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرْسِ مِنْ وَجَلٍ	فَإِنْ صَفَحَتْ جَرَى فِي وَجْنَتِهِ دَمٌ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِيَ الْأَيَّامُ عَنْ وَطَرِي	لَنَابَ عَنْ قَلْبِي فِي سَعْيِهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدَ عَذْرَى فَقَدْ أَفْرَحْتُ مِنْ أَسَفٍ	جَفْنِي ، وَأَدْمَى بِنَانِي بَعْدَكَ النَّدَمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ	وَجِدَانُنَا كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ ^(١)
لَمْ لَا تَصَامَمْتُ عَنْ دَاعِي الْفِرَاقِ ، وَمَا	بَالِي صَلَبْتُ لَقَاطَهُ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
فَإِنْ تَقَلَّبِي اللَّيَالِي عَثْرَتِي ، وَأَفْزُرُ	بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَيَعَادُ اللَّقَا الرَّدَمُ ^(٢)

فكتب إليهِ جواباً عنها أبياتاً أولها :

جاءَ الكتابُ ، وقد تَعْصَفَرَ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَيَّ مِنْ إِبْطَانِهِ
فَأَعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولَهُ وَلَقِيتُ قَاصِيَةَ الْمَنَى بِلِقَائِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوانِ الصَّنَاعَةِ ، قَبْلَ أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ (رَحِمَهُ اللَّهُ)
فِي كُلِّ سَنَةٍ نُخْرُوجُ كَثَانٍ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَحَالَ بِهَا تُجَّارًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ ثَمَنِ
كُسُوفَةِ قَبْضَتِهَا مِنْهُمْ ، وَتَمَادَى مُقَامُهُمْ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ نَخْرَجَ مِنْهَا ،

(١) مضمّن قول أبي الطيب المتنبي (٢٥٤ ط مندية) :

يَا مَنْ يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ تَقَارِفَهُمْ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمَ

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بمكة .

فَتَبَعُوا مِنْ الْإِطْلَاقِ ، وَوَصَلُوا إِلَى الشَّامِ ، وَلَمْ يَقْبِضُوا مِمَّا لَهُمْ فِي جِهَتِهِ شَيْئًا ،
فَسَأَلُوهُ فِي رَقْعَةٍ يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةً ، ضَمَّنَهَا
هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

يُلَاطُ^(١) بِاللَّيْنِ مَنْ مَوْلَاهُ مُسْلِمُهُ حَتَّى يُخَلِّصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكْمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُؤْلِي مِنْهُ الْعَصْدُ وَالنَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ بِدَرٍ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبْلُهُ^(٣) نَيْمُ
فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحَ بِتَجْدِيدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَحْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ ،
وَاسْتِمْرَارِ الْإِطْلَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ بِخَطِّهِ :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ وَبِالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَحِمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ شَرِيعَةً سَنَّا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
وَكُلُّهَا رَامَ وَاشْ نَقَضَ مَذْهَبَهَا أَصْحَتْ تَوَكَّدَهُ الْأَخْلَاقُ وَالشَّيْمُ
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى عَلَى أَحَدٍ^(٤) وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْهُمْ عَدَلْتُمْ ظَلَمُوا^(٥)
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كَرُمْتُ أَخْلَاقُهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ^(٦) الْآدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعَرَبُ ، أَقْتَلُ دَاءٍ يَهْلِكُ بِنَهْجِهِمْ أَنْ تَمْلِكَ الْحَكَمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجَمُ
تَرْفَعَتْ مِنْكَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، هَمَّةٌ مِنْ نُجُومِهِ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا الْهَمَمُ

(٢) البدر : جمع بدرية ، وهي كبش في سبعة آلاف دينار .

(٤) أزرى عليه : عابه .

(١) أطل العريم : مع من الحق .

(٣) الويل : المطر الشديد الضخم .

(٥) يشير إلى قصيدة أسامة الميمية التي مطلعها :

ولو أفلحنا رجونا عدلهم ظلموا
ولو لم يحكموا علينا بما عدلوا

(٦) تنفق : راج .

(واظروا ص ٤٠)

إذا تأنحرت الآدابُ وامتنعت
وإن نظمتَ قريضاً في مكانيةٍ
لله كُتِبُ تَوَالَتْ ضَمْنُهَا دُرٌّ
يَقْلُ فِي فَضْلِهَا أَمْنَاهَا ، فَإِذَا
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجْبَنَاهُ ، وَمَا بَرَحْتَ
إِنْ أَمْسَكَ الْغَيْثُ فَانْظُرْ مَا تَجِبِي بِهِ
وَلَوْ حَلَلْتَ بِوَادِنَا عَلَى وَجَلٍ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مِثْلَ الرِّجَالِ
كَذَاكَ إِنْ قَلَّ حِطُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ
قُولُوا لَنَا: هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
بِالسَّهْلِ مِنْهَا اعْتَصِمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
قَالُوا: الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
وَمَا نُلِطُّ^(١) بِدَيْنٍ تَدْعُونُ بِهِ
بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَاثْقِينَ بِنَا
بَعْدَتُمْ ، وَمُنَانَا الْآنَ قُرْبُكُمْ
لَوْ أَبْصَرْتُ ، لَأَرَأْتُ سُوءَ أَعْيُونِكُمْ

تَقَدَّمْتُ لَكَ فِي لِحَازِهَا قَدَمٌ
فَالْبَحْرُ مَازَالَ مِنْهُ الدَّرُّ يُنْتَظَمُ
مَنْ بَحَرَ عَلَيْكَ قَالُوا : لِأَنَّا كَلَّمُ
تَلَوْتَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
فُصَّادُنَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ تَحْتَكِمُ
أَنْوَانُ^(٢) ، فَهِيَ مَهْمَا شَتَّهَا دِيمٌ
أَيَقْنَتْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنَّهُ الْحَرَمُ
يُرَى مِنَ الرِّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْعُدْمُ
فَالْحِطُّ كَالرِّزْقِ مَا بَيْنَ الْوَرَى قِسْمُ
صُدُورَنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرَمُ
رَحَابِهَا الْيَوْمَ أَحْمَى أَمْ حَصُونُكُمْ
وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْأَجْبَالِ تَعْتَصِمُ
وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْعِرْفَانُ وَالذَّمُّ^(٣)
حَتَّى يَخْلَصَهُ السَّلْطَانُ وَالْحَكْمُ
فِي حَاجَةٍ نَعْمُ ، جَوَابُهَا نَعْمُ
فَكَيْفَ يَعْتَادُنَا فِي وَدُّكُمْ سَأَمُ
جَوَارِحِي الْيَوْمَ فَيْكُمْ وَهِيَ تَخْنِصُ

(٢) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْمُخَنَّبِيِّ (٢٥٤ ط هندية) :

(١) النَّوْءُ : الْمَطَرُ .

وَبَيْنَمَا لَوْ دَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ

(٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ١٤٤ .

تَقُولُ عَيْنِي لِقَابِي : قَدْ ظَفِرَتْ بِهِمْ دُونِي ، وَمَالِكٌ مِثْلِي أَدْمَعُ عَيْجِمٌ^(١)
وَقَوْلُ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَظِيَّتْ بِهِمْ مَعَ بَعْدهُمْ فَلِيَ الْأَشْوَاقُ وَالْأَلَمُ
إِذَا رَأَيْتَ مَلِيكًا ظَلَّ يَمْلِكُهُ وَفَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمٌ

(٢٦٥)

وَقَالِي مِنْ قَصِيدَةِ تَقْدِمِ أَوَّلَهَا^(٢) :

يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ لِلْجِدَاءِ هَمَّتُهُ وَالْعَيْسُ تَعْجِزُ عَمَّا تُتْرَكُ الْهَمُّ
بَلِّغْ أَمِيرِي : مُعِينَ الدِّينِ ، مَالِكَةً^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهْ أُمُّ^(٤)
وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ خَيْرُ التَّرِكَ فَضْلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالْكَرْمُ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ يُشْكَى إِلَيْهِ ، وَلِي شَكِيَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(٥)
هَلْ فِي الْقَضِيَةِ يَأْمَنُ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمُ
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَقٍّ بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِدْمُ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ^(٦)
وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَيْتُ وَبَيْنَكَ : مِنْ وَدٍّ ، وَإِنْ أَجْلَبَ الْأَعْدَاءُ ، يَنْصَرُّ
لَكِنْ نِقَاتُكَ مَا زَالُوا يَغْشَهُمْ^(٧) حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٨)
بِأَعْوِكَ بِالْبَخْسِ ، يَبْغُونَ الْغِنَى ، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ ، وَالْعَدَمُ

(٢) انظر القصيدة ص ٤٠ .

(١) عجم الدمع : سال .

(٤) الأم : القرب .

(٣) المالكة : الرسالة .

(٥) مضمون قول المتنبي : (يا أعدل الناس إلا في معاملتي) في الخصام وأنت الخصم والحكم

(٦) مجزيت المتنبي وانظر الهامش (٢) بالصفحة السابعة .

(٧) أجلبوا : تجمعوا .

(٨) في الخريدة (بنهم) تحريف .

(٩) مضمون قول المتنبي (٢٥٣ ط هندية) :

(وما انتفاع أنى الدنيا بناظره) إذا استوت عنده الأنوار والظلم

والله ما نَصَحُوا ، لما اسْتَشَرْتَهُمْ
 كم حَرَّفُوا من مقالٍ في سفارتهم
 أين الحِمْيَةُ^(١) والنفسُ الأَبِيَّةُ ، إذ
 هَلَّا أَنْفَتَ حَيَاءً ، أو مَحَافِظَةً
 أسَلَمْتَنَا ، وسيوفُ الهندِ مُغْمَدَةٌ
 وكنتُ أَحْسَبُ مَنْ والآكُ في حَرَمٍ
 وأنَّ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمْوَعِ^(٢) ، لا
 وما طُلَانُ^(٣) بأولى من أَسَامَةِ بالـ
 هَبْنَا جَنِينًا دُنُوبًا ، لا يَكْفُرُهَا
 أَلْقَيْتُهُمْ فِي يَدِ الْإِفْرِجِ مُتَّبَعًا
 هُمُ الْأَعَادِي ، وَقَاكَ اللَّهُ شَرُّهُمْ
 إِذَا نَهَضْتَ إِلَى مَجِيدٍ تَوَقَّلْهُ^(٤)
 وَإِنْ عَرَّتَكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةٌ
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَنْهُمْ غَيَابَتُهَا^(٥)
 رَشَفْتَ آجَنَ^(٦) عَيْشٍ ، كُلُّهُ كَدْرٌ
 وَإِنْ أَتَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُخْتَلَقٍ
 وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَّهِمٌ
 وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ
 سَامُوكَ خُطَّةً خَسَفَ عَارُهَا يَصُمُ^(٧)
 مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرْتَهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
 وَلَمْ يُرَوْ سَنَانَ السَّمْهَرِيِّ^(٨) دَمٌ
 لَا يَغْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ
 يَخْشَى الْأَعَادِي ، وَلَا تَغْتَالُهُ النِّقَمُ
 وَلَكِنْ جَرَى بِالْكَائِنِ الْقَلَمُ
 عُذْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 رِضًا عَدَا يُسَخِّطُ الرَّحْمَنَ فَعْلُهُمْ
 وَهُمْ يَزْعَمُهُمُ الْأَعْوَابُ وَالْخَلْدُمُ
 تَقَاءَدُوا ، فَإِذَا شَيْدَتَهُ هَدَمُوا
 فَكُلُّهُمْ لِلَّذِي يُبْكِيكَ مُبْتَسِمٌ
 بِحَدِّ عَزَمِكَ ، وَهُوَ الصَّارِمُ الْخَلْدُمُ^(٩)
 وَوَرُدُّهُمْ مِنْ نَدَاكَ السَّلْسُلُ الشِّمُّ^(١٠)
 وَاشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحِبِّي ، وَيُحْتَرَمُ^(١١)

(٢) وصم النقي : عابه . وسامه : كلفه .

(١) الحمية : الأفة .

(٤) السمويل بن عادياء .

(٣) السمهري : الرع الصلبي .

(٥) طعان خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء . زندي بن آق سقر هرب من خدمته إلى دمشق فطلبه أتابك الشهيد ورج فيه فاشتعل عليه معين الدين أنزلي نسيه وحماء . فلما ألح في طلبه سيره إلى العرب إلى البرية ، وقام له بما احتاجه إلى أن رده إلى خدمته بدمشق (وأظفر الروضتين ١ : ١١٣) .

(٧) غيبة كل شيء : ما سترك منه .

(٦) أمله : أصله .

(٩) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون .

(٨) الخلد : القاطع .

(١١) حياء : أعطاه .

(١٠) الشيم : البارود .

وكل من ملت عنه قرَّبوه ، ومن
 بغياً ، وكفراً لما أوليت من منن
 جربهم مثل تجربي ، لتخبرهم
 هل فيهم رجل يُغنى غناى إذا
 أم فيهم من له فى الخطب ضاق به
 لكن رأيتك أدناهم ، وأبعدنى
 وما سخطت بعادى إذ رغبته به
 ولست آسى^(٥) على الترحال عن بلد
 تعلقت بجبال الشمس منه^(٧) يدي
 لكن فراقك آساني ، وآسفني
 فاسلم ، فاعشت لي فالدهر طوع يدي
 والآك فهو الذى يقصى ، ويهضم^(١)
 ومرتع البغي ، لولا جهلهم ، وخم^(٢)
 فلأرجال إذا ما جربوا قيم
 جلا الحوادث حد السيف والقلم
 ذرع الرجال يد يسطو بها وفم
 فليت أنا بقدر الحب نقسم^(٣)
 وما لخرج إذا أرضاكم ألم^(٤)
 شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٦)
 ثم انتنت وهى صفر^(٨) ، ملؤها ندم
 فى الجوانح نار منه تضطرم
 وكل مانالى من بؤسه نعم^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها إلى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة أبو عبد الله
 محمد بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه فى فكك
 أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي من أسر الفرنج ، وكان أسر

(١) الاحتضام : الظلم . (٢) أرض ونعمة : لا يجمع كلوها .

(٣) عجزيت المتنبي :

(٤) عجزيت المتنبي : (إن كان يجمعنا حب لفرته فليت أنا بقدر الحب نقسم)

(٥) أسيت عليه : حزنت . (٦) عجزيت المتنبي : (إن كان سرهم ما قال حامدا فإلخرج إذا أرضاكم ألم)

(٧) وشرب ما قصته راحتي قصص (شهب البزاة سواء فيه والرخم) والبازي : ضرب من الصقور . والشبهة : بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رنمة وهى طائر ضعيف .

(٨) صفر : خالية . (٩) اقتصر معجم الأدباء . وكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف فى التقديم والتأخير أحيانا .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يَانَا صِرَ الدِّينَ ، يَابْنَ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَنْ يُغْنِي نَدَى كَهَفٍ عَنْ وَابِلِ الدِّينِ^(١)
وَمَنْ حَوَى السَّبْقَ فِي فَضْلِ ، وَفِي وَرِيعٍ وَفِي عَفَافٍ ، وَفِي دِينٍ ، وَفِي كَرَمٍ
أَنْتَ الْعَيْيُ ، عَلَى مَا فِيكَ مِنْ لَسَنِ عَنْ (لَا) ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ فِي (نَعَم)
تُولَى الْجَمِيلَ بَلَا مِنْ تَكْدَرُهُ لَا كَدَّرَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ
هَذَا ابْنُ عَمِّكَ فِي أَسْرِ الْفَرَنْجِ ، لَهُ حَوْلُ تَجَرَّمَ^(٢) ، فِي الْأَغْلَالِ وَالظُّلَمِ
يَدْعُوكَ ، لَا بِلَ أَنَا الدَّاعِي نَدَاكَ لَهُ يَا خَيْرَ مَنْ عَلِقَتْهُ كَفْ مَعْتَصِمٍ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ تَنْبِيهِ عَاطِفَةُ الْقُرْبَى ، وَيَرْجُوهُ لِلْجَلَّى ذَوُو الرَّحِمِ
وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ فَكَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَفْ مَهْزِئِمٍ
لَا تُنْجِئَنِي إِلَى مَنْ الرِّجَالِ ، فَأَحْلُ الْأَيَادِي ، وَإِنْ أَعْسَرْتُ ، مِنْ شَيْمِي
وَلَا تَنْظِنِي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا يَفْهُوَ مَجْتَدِيًّا إِلَّا إِلَيْكَ فَيَ
عَلَامَ أَرْتَشَفَ الرِّتَقَ^(٣) الْأَجَاجَ ، وَقَدْ رَوَيْتَ كُلَّ صِدٍّ مِنْ بَحْرِكَ الشِّمِّ
أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أُنْحَى مِنْ أَسْرِهِ ، لَكَ عَبْدًا ، مَامَشْتَ قَدَمِي
فَلَيْكَ مِثْلِي لَا يَغْلُو بِمَا بَذَلَ الْمُسْتَاغُ فِيهِ ، وَلَا يُسْتَامُ^(٤) بِالْقِيمِ
فَلَمْ يَحْرُكْ الشَّعْرُ ، وَلَا سَعَى فِي خِلَاصِهِ ، وَلَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَجْرَ خِلَاصِهِ وَحَسَنَ ذِكْرِهِ ، لِمَوْلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، فَوَهَبَهُ
فَارِسًا مِنْ مَقْدَمِي الدَّوَايَةِ^(٥) ، يُقَالُ لَهُ الْمَشْطُوبُ ، قَدْ بَذَلَ الْفَرَنْجِ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ
دِينَارٍ ، فَاسْتَخْلَصَ بِهِ أَحَاهُ مِنَ الْأَسْرِ .

(١) الدِّين : جمع دِينَة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق . (٢) تجرَّم : بكى .

(٣) في الأصل : العذب . والصحيح من رواية علي هامش النسخة . ورتق المساء كفتح ونصر رتقا بسكون النون فتحها ورتوقا : كدّر . والأجاج : الملح المر .

(٤) استام السلطة : طلب بيعها . (٥) الدواية : طائفة من الفرنج الصليبيين .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة رحمه الله :

هَذَا كِتَابُ قَتَّى أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَّتْ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارُهُ وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا ^(٢) إِخْوَانُهُ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبُ يَبُوحُ بِسِرِّهِ ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوِي إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُومُهُ وَتَذُودُهُ ^(٤) عَنْ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفَتْ مُقَارَعَةَ الْحِكَاةِ ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى ^(٦) الْهَوَاجِرِ ^(٧) ، لَا يَنْبِي ذَمْلَانُهُ ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمِ حَرْبٍ تَلْتَظِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ خَوْفِ الْحِمَامِ ، وَلَا يُرَاعِ جَنَانُهُ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ إِلَيْكُمْ ، وَالْمَهَامُهُ بَيْنَنَا حَيْنَ الْوُفِّ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسَ وَجِدٍ تُبِينُهَا

(١) لم توافقه .

(٤) الذود : الطرد والدفع .

(٢) تفرقوا أيدي سبأ : تبددوا .

(٥) الحكاة : جمع كمي ، وهو الشجاع .

(٣) بهامش النسخة (يث) رواية .

(٦) السرى : سير عامر الليل .

(٧) يقال ناقة مزجرة : فائقة في الشجع والسير . والمهجر : النجيب الجليل والجيد من كل شيء . والفاثق الفاضل على غيره .

كالهجر (ككفت) والهاجر .

(٨) الذميل ضرب من سير الإبل ، قيل هو السير اللين . ذمل يذمل ذميلاً وذملانا ٢

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى القداء لمن أدودُ بذكره عني عوادي الهَمِّ والأشجانِ
وإذا فررتُ من الخطوبِ جعلته فتتي^(١) فيفرقها^(٢) امتناعُ مكالي
وكانَّ معجزةَ المسيحِ كتابه فإذا قضيتُ^(٣) من الأسى أحبائي

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

وإنَّ امرأً أضحى "بازيل" داره وفي شيزر^(٤) أحبابه وشجونهُ
لغير ملومٍ في الحنين إليهم ومعدورة أن تستهلَّ جفونهُ^(٥)

قافية الهاء.

(٢٧١)

ومما يلحق بهذا الباب قوله يُعاتب^(٦) :

إن ألقه سره قُربى ، وآتسه وإن أغب صدعني معرضاً، ولها
كانني ميتٌ ، في النوم يُبهجه لقاءه ، ثم ينساه إذا انتبها

(١) الفتنة : الطائفة .

(٢) يفرقها : يفرعها .

(٣) قضى : مات . والأسى : الحزن .

(٤) إربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت لبي منفذ بالقرب من حماة بالشام .

(٥) في هامش الديوان عن نسخة (شونو) . والشئون : جمع شأن وهو مجرى الدمع إلى العين . واستهل المطر :

اشتد انصبابه .

(٦) البيان من مختارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وافى كتابك مُعلنًا بسلامةٍ قدَحَتْ زنادًا في الجوانحِ وأرياً^(١)
وقرأته ، فوجدتُ طرفي ضاحكاً فرحاً برؤيته ، وقلبي باكياً
وتعمدتنى نافذاتُ سهامه حتى إذا أضمين^(٢) عذن مَكْلوياً
وتطلعتُ منه أراقمُ رَمْلَةٍ يُردى السليمُ لُعابها والراقياً^(٣)
فكانَ ذاكَ الطرسُ^(٤) أضْحَى سَلَّةَ الحَاوِي ، وهاتيكَ الشُّطُورُ أَفَاعِيَا

(١) ورت النار : اتقدت .

(٢) أضى الصيد : رماه ، قتلته ، مكاته .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أخت الحيات وأطلبها للناس . ويردى : يهلك . والسليم : اللدنيغ .

(٤) الطرس : الصحيفة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصف الرّزلة الكائنة بشير :^(١)
رَقِصْتُ أَرْضَهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّعْدُ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَنَّتْ حَيْطَانُهُ ، فَأَمَالَتْهَا شَمَالُ بَزْمِرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبُ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَاحِكَ السَّيْنِ ، وَلِلْجَوِّ بِالْغَمَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَذُوبُ بِهِ السُّحُبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَذُوبُ
أَبْذَنْبُ أَصَابِهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلِلْأَرْضِ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

وَصَاحِبُ لَا تَمَلْ^(٣) الدَّهْرَ مُصَحَّبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي ، وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ
لَمْ أَلْقَهُ مِنْهُ تَصَاحِبًا ، لَحِينَ بَدَا لِنَظَرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبَدِ

(١) راجع ص ١٦٤ و ٢٩٦ وورد معظمه في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ٥ : ١٩٤ ، ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٦٤

(٣) الراوية في ياقوت والخريدة (لا أمل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشَّعة :

أُنِيسَى فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشْبِهِي : نُحُولًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلُونًا ، وَأَدْمُعًا
أَوَاجُهُ وَجَهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتُهُ مِنْبِرًا إِلَى مَنْ أُمُّهُ مَتَطَلَّعًا
كَلْبَسَ جِسْمِي سُقْمَ جَفْنِيهِ حَيْثُمَا بَدَأَ لِي عَايِنْتُ الْمَلَاةَ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْشَائِهَا النَّارُ وَاللَّدَعُ
تَذُوبُ جَوْيَ ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِيبٌ ، مَا لِنِشْنِيَّتِهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَائِبًا غَيْرَ دَمْعِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكِ قَبْلَهَا كُلُّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَسَلُّ عَنْكَ^١ الْهَمُومَ إِنِ طَرَقَتْ بِنْتِ كَرِيمٍ ، فِي الْكَاسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلْتُ : أَيْدِي السَّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فراه يفريه : شفه . وهذا البيت والبيت بعده مما اخذناه مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِعِهِ تَاجًا ، بِهِ تَرْتَدِي وَتَنْتَطِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْتَقِرُّ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَقُوا
وَأَبْنَ مِنْ هَمِّي الْمُدَامُ ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الطُّرُقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

اَجَبَ لِمُحْتَجِبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ الدَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خَلَاتِقُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ قَابِلَتَهُ ، فَقَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَائِي أَنْ أَفَارِقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقابلة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أقلامٌ مبريةٌ وسكين :
وَافْتَكَّ حَالِكَةُ السَّوَادِ ، يَخَالُهَا صَبَغَ الشَّبَابِ النَّاطِرُ الْمَتَوَسِّمُ
فِيهَا رِمَاحُ الْخَطِّ مَرْهَفَةُ الشَّبَابِ^(٥) تُرْدِي الطَّعِينَ ، وَلَا يُضْرَجُهَا^(٦) دَمُ
مِنْ كُلِّ أَهِيْفٍ إِنْ جَرَى فِي طَرَسِهِ نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَنْكَلِمُ
بِيضُ الْإِيَادِي فِي سَوَادِ لُعَابِهِ فَكَأَنَّمَا الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
تَحْوِي مُسْلَطَةً^(٧) عَلَيْهَا ، يَخْتَشِي مِنْ حَدِّهَا الْمَاضِي الْحَسَامُ الْمَخْذَمُ^(٨)
تَأْدِيبُهَا لَهُمْ بِقَطْعِ رُءُوسِهِمْ إِنْ قَصَرُوا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرْسُمُ
فَانْعَمَ بِحُسْنِ قَبُولِهَا مُتَطَوِّلًا فَالشُّكْرُ لَا يَحْوِيهِ إِلَّا مُنْعَمُ

- (١) ترتدي : تلبس الزداء... وتنتطق : تلبس المنطقة .
(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٣ .
(٣) لم أسبر : لم أختبر .
(٤) نوع من الجلود .
(٥) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء .
(٦) ضرجه : لطحه .
(٧) المسلطة هنا يراد بها : السكين .
(٨) المخذم : القاطع .

باب الملح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ،
في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيرز ، وكان ينفر
من ذكرها له :

قولا لريم ^(١) في حلة ^(٢) العرب :	إليك أشكو ما يصنع اسمك بي
بما استجازت عينك سفك دمي	وأخذ قلبي في جملة السلب
جارك أولى برغي ذمته	إن أنت راعيت حرمة الصقب ^(٣)
لولاك ، والدهر كله عجب	ما خفرت في ذمة العرب
هذا هوى ، كنت في بلهنية	عنه ، فيا للرجال للعجب
أسترق الكريم ذا النسب الوا	ضج عبد مستعجم النسب
ويحمل الثأر من به خور ^(٤)	عن احتمال الحجال والقلب ^(٥)
نشدتك الله في احتمال دمي	فمعشري ما يفوتهم طلبي
ما فات قومي آل المهلب من	قبلي ثأر في سالف الحقب
فلا تريق دما لدى أدب	يسطو بأقلامه على القضب ^(٦)

(١) الزيم : القلي الخالص البياض .

(٢) الحلة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) الخور : الضعف .

(٥) الحجال : الخلاخيل . والقلب : سوار المرأة .

(٦) القضب : البوف .

قافية النساء

(٢٨١)

وقال بحصن الطوبان^(١) على سبيل الدُّعابة :
متى أرى الطُّوبَانَ قد مهَّدت حيطانَه السُّودَ المحَارِبُ
ما فيه إلا رِيحُ عادٍ ، وأجـلاف طَغَامٍ^(٢) ، وبراعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ؛ في سِوداء :
شَبِيهَةَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ ، لك الهوى وهل لفؤادٍ عن سُويدانه صَبْرُ
على نَحْرِكَ الدَّابِحِي زَهَا الدَّرُّ مثلها زَهَتْ في دِيَابِجِي اللَّيْلِ أَنْجَمُ الزُّهْرِ
لَأَنْتَ شَبَابٌ ما يَشِينُ سِوَادَهُ بِياضُ مَشِيْبٍ ، والشَّبَابُ هو العَمْرُ
لقد أَكْثَرَ التَّوَامُ فِيكِ ، وجهلهم إذا عَنَفُونِي في هِوَاكِ ، هو العَذْرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمصر ، وكان له جارٌّ من الأمراء يعرف بفخر الملك بن طَلَيْبٍ ،
وقعت في داره نارٌ فاحترقت ، وقصد المجون معه والعبث :
أنْظُرْ إلى الأيَّامِ ، كيفَ تَقُودُنَا قَسْرًا إلى الإِقْرَارِ بِالْأَقْدَارِ
ما أَوْقَدَ ابْنُ طَلَيْبٍ قَطُّ بِدَارِهِ نَارًا ، وكان هلاكُها بالنَّارِ

(١) الطوبان : حصن من أعمال حصص أو حماة . (ياقوت) .

(٢) الطغام : أرواغ الناس .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال ^(١) :

أَمِيرُنَا ^(٢) زَاهِدٌ، وَالنَّاسُ قَدْ زَهَدُوا لَهُ ؛ فَكُلُّ عَلَى الطَّاعَاتِ ^(٣) مُنْكَمَشُ
أَيَّامُهُ ، مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ : طَاهِرَةٌ ^(٤) مِنَ الْمَعَاصِي ، وَفِيهَا الْجُوعُ ، وَالْعَطَشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رَمَانٌ مِصْرَ كَأَنَّهُ ذُرَّةٌ أَكَلَهُ شَاخِصٌ ^(٥) مِنَ الْغُصَصِ
وَالرِّيْقُ فِيهَا ، فَدَعَّ سِوَاهُ ، إِذَا أَسَاغَهُ الْمَرْءُ كَانَ بِالنَّغَصِ
وَلَيْسَ يَرْضَى اللَّيْبُ عِيشَتَهُ فِيهَا ، وَلَكِنْ زُرِّيْقٌ ^(٦) فِي الْقَقَصِ

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إِذَا صَاحِبَتَ عَمْرًا فِي طَرِيقٍ فَقَدْ سَايَرْتَ ظِلَّكَ فِي الطَّرِيقِ
فَإِنْ لَمْ تَلَقَ إِنْسَانًا سِوَاهُ تُرَافِقُهُ ، فَأَنْتَ بِلَا رَفِيقِ

(١) هذان البيتان ممدودان في الأصل في الخريدة ١: ١٠٣، وياقوت في معجم البلدان ٥: ٢٠٤ والروضتين ٢: ١٢٩

(٢) في الخريدة وياقوت "سلطاننا" .

(٣) في المصدرين السابقين "الخيرات" .

(٤) في المصدرين السابقين "خالية" .

(٥) شخص بصره : فتح عينيه وجعل لا يظرف .

(٦) زريق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

عَابُوا هَوَى شَادِنٍ^(١) فِي رَجْلِهِ قَصْرٌ مِنْ سُكْرِ الْحَاظِهِ فِي مَشْيِهِ تَمَلُّ^(٢)
وَمَا هَوَى خُوطِ بَانَ مَاسٍ مِنْ هَيْفٍ غَيْبٌ، وَإِنْ كَانَ عَيْبًا فَهُوَ مُحْتَمَلٌ

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتاز بقرية له من أعمال بالوا^(١) ، تسمى لُغَى كُوم ، كثيرة الفواكه
والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاحيتها أُرْمُنٌ لا يعرفون العربية :

نَزَلْتُ بَارِضٍ (بَالْوَا) ، وَهِيَ حِصْنٌ عَلَا ، حَتَّى تَمْنَقَ بِالنَّجُومِ
رُومٌ ، لَا تَلَاثُمُهُمْ طِبَاعِي وَمَا الْعَرَبُ ذُو إِلْفٍ رُومِ
سَلَامُهُمْ (هَزَارُ)^(٥) بَارِيكَ مَاذَا شَبِيهُ سَلَامِ نُحْرَانَ النَّعِيمِ
وَإِنْ كَلَّمْتَهُمْ قَالُوا : (اشْكَدِيمِ)^(٦) وَلَسْتُ بِعَالِمٍ مَعْنَى (اشْكَدِيمِ)
وَمَا تَسَوَى^(٧) (لُغَى كُومِ) وَإِنْ هِيَ سَجَا^(٨) لَيْلِي بِهَا ، وَصَفَا نَسِيمِي
وَبَرْدُ مِيَاهِهَا ، وَجَنَى جَنَانِ تُحِيطُ بِهَا ، وَيَانَعَةُ الْكُرومِ
مُقَامِي بَيْنَ قَوْمٍ ، إِنْ تَدَاعَوْا سَمِعْتُ دَعَاءَ أَصْدَاءِ^(٩) وَبُومِ

(١) الشاهد : ولد الظية قوى واستغنى عن أمه . (٢) انمل محركة : السكر . نمل كفرج فهو نمل .

(٣) الخوط : الفصن الناعم .

(٤) في ياقوت : بالوقلة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أذن الروم وخلاط .

(٥) و (٦) هذه ألفاظ غير عربية .

(٧) يقال هولاء يساوى شيتا . ولا يسوى كيرضى قليلة . (٨) سجا : سكن .

(٩) أصدا : جمع صدى : ما يردده الجبل على الصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولد له اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المحبون :
عَتِيقُ كَالْهَلَالِ ، إِذَا تَبَدَّى لِسَارِي اللَّيْلِ مِنْ تَحْتِ الْغُيُومِ
تَقُولُ ، إِذَا بِهِ الْأَتْرَابُ حَفُّوا : أَهَذَا الْبَدْرُ مَا بَيْنَ النُّجُومِ

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيٌّ قَوَّالٌ ، لِسَمِهِ رِضْوَانٌ ، حَسَنُ الصَّنَاعَةِ وَالْوَجْهِ ، على سبيل المحبون :
يَا سَاكِنِي جَنَّةٍ ، رِضْوَانُ خَازِنُهَا هُنَيْتُمُ الْعَيْشَ فِي رَوْحٍ وَرَيْحَانِ
مُرُّوا النَّسِيمَ ، إِذَا مَا الْفَجْرُ أَيْقَظَهُ بِجَلِّهِ طَيْبَ نَشْرِ^(١) مِنْهُ أَحْيَانِي
أَوْ قَابَعُتُوا نَغْمَةً مِنْهُ يَعِيشُ بِهَا قَلْبِي ، فَقَدْ مَاتَ مُذْ حِينِ وَأَزْمَانِ
ظَبْيٌ أَغْنَى^(٢) تَرَدَّى بِالْذَّبْحِ ، وَجَلَا شَمْسُ النَّهَارِ ، عَلَى غَضَنِ مِنَ الْبَانِ
فِي فِيهِ مَا فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ : مِنْ دَرَرٍ وَمِنْ رَحِيقٍ ، وَمِنْ مَسْكٍ ، وَمَرْجَانِ
إِذَا بَدَأَ وَشَدَّ فِي مَجْلِسِ ظَنَرُوا بِمُنِيَةِ النَّفْسِ مِنْ حُسْنٍ وَإِحْسَانِ
لَا تَنْسَنِي يَا أَبَانَصِيرِ^(٣) ، إِذَا حَضَرْتُ قُلُوبُكُمْ بَيْنَ مَرْمُومٍ وَطَرَحَانِي^(٤)
كُنْ لِي وَكِيلًا عَلَى الرُّؤْيَا ، وَوَكِّلْ لِي سِوَاكَ يَسْمَعُ عَنِّي شَدَوَ رِضْوَانِ

(١) النشْر : الريح الطيبة .

(٢) الأغْنَى من الغزلان وغيرها : الذي في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطرُوشا . اه قلا عن الديوان .

(٤) طرْحَان : اسم للرئيس الشريف : كلمة خراسانية . وزم القرية : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَغَيَّ مِنْ قَلَانِدِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوَى ، وَأُنْجِبَانِي
نَسِيمُهُ يَتَلَقَّانِي بِزُورَتِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَانِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوا لِي بِبَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُهَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
مَنْظَرٌ مَبْهِجٌ ، وَقَوْمٌ سَرَاهُ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بَنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمِّ ظُلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النِّسْوَانِ
وَهِيَ جَنِيَّةٌ كَأَقْبَجٍ مَا شَرَّهَهُ رَبُّنَا مِنَ الْغِيلَانِ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا مُهْمُوسًا فِي غُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُتُبَانِ
شَغَلْتَنَا السَّبْعُونَ وَالْحِجُّ عَنْهُمْ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْعِيَانِ

(١) السراة : السادة .

(٢) أم ظلوم : مجوز كانت في الدار التي نزل بها ببغداد فيبحة المنظر . اه قلاعن هادش الديوان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضل عباس بن أبي الفتوح^(١) ، شفاعاً لإنسان :

لقد عمَّ جُودُ الأفضَلِ السَّيِّدِ الْوَرَى وأغنى غَناءَ الْغَيْثِ حَيْثُ يَصُوبُ
أَعَدَّتْ ربيعَ النَّاسِ في كُلِّ بَلَدَةٍ فَلَيْسَ بِهَا لِلرَّائِدِينَ جُذُوبُ
وَجَادَتْ لَهُمُ بِالْمَالِ يُمْنًا ، إِنَّهَا بَذُولٌ عَلَى بُخْلِ الزَّمانِ وَهُوبُ
”وفي“^(٢) كُلُّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ فُحْتُ لِنَاسٍ مِنْ تَدَاكِ ذُنُوبُ“^(٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملك الصَّالح من قصيدةٍ سيأتى أولُها :

غَرَّنِي لَامِعُ السَّرَابِ ، وَهَذَا السَّجَرُ دُونِي عَذْبُ الْمِيَاهِ شَرُوبُ
سَرْتُ أَسْتَقْرِئُ الْمُحَوَّلَ ، وَفِي أَرَضَى مَرَعَى عَيْنٍ^(٤) ، وَوَادٍ قَشِيبُ
وَسَحَابٌ مِنْهُ تَعَلَّيْتُ السَّحْبُ ، وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهْ ، كَيْفَ تَصُوبُ
سَوْءُ حِظِّ أَنَايَ عَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَالْحِظُّ يَنْتَهَى وَيُثُوبُ^(٥)
وإلى بَابِهِ مَالِي ، وَلِلَّآيِقِ^(٦) حُسْنُ الْقَبُولِ حِينَ يُنِيبُ^(٧)

(١) وزير مصرى قتلته الفرنج سنة ٥٥٠ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لعلامة بن عبدة كافي اللسان (خط) وشاس اسم أمى علقمة . وخطه بنعمة : أعطاه .

(٣) الذنوب : الخط والنصيب . (٤) العين : بقر الوحش .

(٥) تاب : رجع . (٦) الآبق : المهارب .

(٧) أناب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَا لَ مَقِيماً بِيَايِهِ ، لَا يَغِيبُ
فَإِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ^(١) الدَّ إِنِّي فَإِنِّي ذَاكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
وَمَتَى مَا قُرْبْتُ مِنْهُ فَخَطُّى مِنْ عُلَاهُ التَّقَرُّبُ وَالتَّرْحِيبُ
وَبِمَا نِلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقاً لَا أَحُوبُ^(٢)
لَا ثَنَانِي الْإِعَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَا لَتَ أَعَادٍ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
أَوْ يُرَوِّى بِرُفُوتِي وَجْهَهُ الْمِمْسُونَ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرَفِي السَّكُوبُ
وَيَقُولُ الْأَنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
خَفِيَّاتِي ، وَإِنْ بَلَغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطِيبُ
يَا أَخَا الْبَيْدِ وَالسَّرَى ، وَأَخِي السَّبْرَ ، إِذَا عَقَنِي أَخٌ وَنَسِيبُ
قُلْ لِيغْنِي الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَلِّ ، وَغَوْنِي إِنْ أُرْهَقْتَنِي الْخَطُوبُ
كَاشِفِ الْغَمَّةِ الْمُبْرِ عَلَى الشَّحْبِ بِجُودِ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ^(٣) :
يَا رَبِّيعِي الْمَرِيعَ ، حَاشَاكَ أَنْ تُنْمَحِلَ رَبِّيعِي ، وَأَنْتَ ذُنْحَرِي ، الْجَلْدُوبُ
أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهراً لِحَا^(٤) عُو دِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَنْسُ سَايِبُ
وُخْطُوباً رَمَى بِهَا حَدِثُ الدَّ هَرِ سَوَادِي^(٥) ، وَكُلُّهُنَّ مُصِيبُ
أَذْهَبَتْ تَالِدِي^(٦) وَطَارَفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمُرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مَصِيرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقٍ فِي^(٧) ، وَذَا مَنَهْوبُ
وَبَابَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ زَعِيفاً ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّاكِبُ

(١) نزح : بعد . (٢) الحوب : الإنم .

(٣) الصوب : الانصباب . (٤) لحا الشجرة : قنرها .

(٥) السواد : الشخص . (٦) التالد : ما ولد عندك من مالك أو نتج : والطارف : الحديث من المال .

(٧) الغني : الغنيمة .

وَبَرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِّسَوَى الصَّابِ لِحْجٌ غُلَا فِي حِمْلِهِ تَعْذِيبُ
مَا اعْتَذَارُ الْمُنَى إِذَا مَطَّلَتْنِي بِطِلَالِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
أَوْ لَيْسَتْ مَصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بِحَرْ ، وَكُلُّ عَيْدٍ خَصِيبُ
وَالْتَدَى طَبْعُكَ الْكَرِيمُ ، فَمَا أَهْزَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُنِيبُ
جَاءَنِي وَالْإِعَادُ دُونِي ، كَمَا جَا بَتَ فَيَافِي^(١) الْبِلَادِ رِيحُ هَبُوبُ
وَعَجِيبُ أَنْتَ الْمَوَاهِبَ تَسْرِى وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفِدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
سُنَّةٌ سَنَاهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
مَنْ ثَنَانِي طَوَى إِلَيْهِ الْفَيَافِي^(١) وَهَرَمَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
وَلَهُ بِالْأَسْرَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سَبْطَةٌ ، وَصَدْرٌ رَحِيبُ
وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّ مَتِ الدُّنْيَا سُرُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا^(٣) :

يَا أَخْلَاىَ بِالشَّامِ لَيْلِنَ غَيْبَتُمْ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
غَضَبَتَنَا الْآيَامُ قَرَبَكُمْ مِنَّا ، وَلَا بَدَأَ أَنْ تُرَدَّ الْغُصُوبُ
وَلَكُمْ ، إِنْ كَسَطْتُمْ عِنْدَنَا الْإِ كْرَامُ ، وَالرُّفْدُ^(٤) ، وَالْحُلُّ الْخَصِيبُ
قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
وَبِنَا يَدْرُكُ الْمُؤْمِلُ مَا يَرِ جُوهَ قَدَمًا ، وَيُنْقَذُ الْمَكْرُوبُ
نَحْنُ كَالسَّحْبِ : بِالْبُورَاقِ وَالرَّعْدِ لَدَيْنَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ

(١) الفَيَافِي : جمع فَيْفَا ، وَهِيَ الْمَقَازَةُ لَا مَا فِيهَا .

(٢) الْمُسْتَرْفِدُ : الْمُسْتَعِين . (٣) طُلَعُ الْقَصِيدَةِ .

بِأَيِّ شَخْصٍ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ حَيَاتِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ

وَالنَّظَرُ ص ٧ وَص ١٥٣ وَ ٢٩٦ . وَجَزْءٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّصِّ فِي الرَّوْضَتَيْنِ ١ : ١٠٦ وَ ١١٨ .

(٤) الرُّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاحَةُ . (٥) النُّضَارُ : الذَّهَبُ الْخَالِصُ .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرُمَاتِ نَصُوبٌ^(١)
كَرَّةَ الشَّامِ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بَأَلًا يُقِيمَ فِيهِ لَيْبٌ
إِنْ تَجَلَّتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَفَتْهَا زَلَازِلٌ^(٢) وَخُطُوبٌ
وَمِنْهَا :

أَنَّ ظَنِّي ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَهَامِ الرِّمَى : مِنْهَا الْمُخْطِئُ ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
إِنَّ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةُ الْقَدَسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
مَنْزِلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَحْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخُمُرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسَ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فَعَلًا ذَكَرُوا^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوبٌ
وَمِنْهَا :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسَبٌ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
وَلَكِ الرِّبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكَّتْ ، إِذْ تَسُبُّ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرِيبٌ
وَإِذَا مَا حَرَضَتْ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيمَا تَقُولُهُ ، وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَشْرَتْ فَالْحَزَمُ لَا يُنْكِرُ أَنْتَ التَّدِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
لَكَ رَأْيٌ مَذْقَطٌ^(٦) ، إِنْ ضَعُفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبٌ^(٧)

(١) الصُّوبُ : الْإِنْصَابُ .

(٢) يشير إلى الزلازل العنيفة التي حدثت بالشام وأنت على شيزرومن فيها من أهل أسامة . راجع مقدمة الديوان .

(٣) في الروضتين : فِي الدِّينِ .

(٤) في هامش الديوان : زَعَمُوا .

(٥) في الروضتين : يَقْظَانُ .

(٦) في الروضتين : قَرَضَتْ .

(٧) الصَّلِيبُ : الشَّدِيدُ .

فانهض الآن مُسرِعاً ، فبأمنك ما زال يدرك المَطْلُوبُ
والتي عنا رسالةً عند نُورِ الدِّينِ ، ما في إلقيائها ما يريبُ
قل له ، دَامَ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ من لباس الإقبال بُردُ قَشِيبٍ :^(١)
أيها العادل الذي هو للدِّينِ شَبَابٌ ، وللحُرُوبِ شَايِبٌ^(٢)
والذي لم يزل قديماً عن الإسـلامِ بالعزم منه تجلَّى الكُروبُ
وغدا منه للفرنج إذا لا قُوَّةَ يومٌ من الزَّمانِ عَصِيبُ
إن يَرُمُ^(٣) تَرَفَّ حَقْدَهُمْ فَلأَشْطَطَ إن^(٤) قَنَاهُ في كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبُ^(٥)
غَيْرُنَا من يَقُولُ ما لَيْسَ بِمُضِيهِ بِفِعْلٍ ، وَغَيْرُكَ الْمَكْدُوبُ
قد كَتَبْنَا إِلَيْكَ ، فَأَوْضَحْ لَنَا الْآنَ^(٦) بِمَ ذَا عَنِ الْكَأَبِ نُجِيبُ
قَصْدُنَا أن يكونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَجَلٌ في مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
فَلدِينَا من الْعَسَاكِرِ ما ضَا قَ بَادَاهُمُ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
وعلينا أن يَسْتَهْلَ^(٧) على الشَّا مَ مَكَاتِ الْغِيُوثِ مَا لَ صَيِيبُ
أو تَرَاهَا مِثْلَ الْعُرُوسِ : تَرَاهَا كُلُّهُ من دَمِ الْعِدَا مَخْضُوبُ
إِطْيَيْنِ الشُّيُوفِ في فَلَقِ الصُّبْحِ على هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِيبُ
وَلِجْمَعِ الْحُشُودِ من كُلِّ حَضْنٍ سَلَبُ مُهْمَلٍ لَهُمْ وَنُوبُ
وَبِحَوْلِ الْإِلَهِ ذَاكَ ، وَمِنْ غَا لَبِ رَبِّي فَإِنَّهُ مَغْلُوبُ^(٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم .

(٤) الشطن محرّكة : الحبل الطويل .

(٥) القليب : البر .

(٦) في الروضتين : ما وضع الآن .

(٧) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٨) هذه القصيدة وصفت لما أصاب القدس في عهد الحروب الصليبية واستناب من الوزير المعري الملك الصالح

للك النادل نور الدين محمود كي يجتمع شمل البلدين لطرد العدو من الوطن المغتصب .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يا مُتَهَيِّ الأَمَلِ امْتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيِّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الخُطُوبِ لِحَا
هَذِي نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ السَّامِضِ عَقِيمًا ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نُنْتَجَا
أَتُنْكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطَيْمَةً^(١) لَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِه^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فَيَا أَخَا العَزَمِ يَطْوِي البَيْدَ مُنْصَلِتًا فِي سَيْرِهِ عَنْ مَسِيرِ الْعَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قُلْ لِلْهَدَبِ فِي فَضْلٍ ، وَفِي خُلُقٍ وَلِلْبَلِغِ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَرَّحَا
مَنْ يَنْشُرُ الدَّرَّ فِي نَثْرِ الْكَاتِبَةِ إِنْ شَاءَ ، وَيَنْظُمُهُ فِي النَّظْمِ إِنْ مَدَحَا
مَنْ لَقِظَهُ تُسْكِرُ الصَّاحِي فَصَاحَتُهُ^(٦) وَلَوْ وَعَى فَضْلَهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا :
أَتُنْكَ مُغْرِبَةَ الْأَنْبَاءِ مُعْرِبَةً عَنْ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الْوُدِّ ، أَوْ تَزَحَا

(١) اللطيمة : المسك .

(٢) النثر : الريح الطيبة .

(٣) الأرج : توهج ريح الطيب .

(٤) امل أول القصيدة في باب الغزل ص ١١ قوله : أرته غرته في الحجر مصلحتي .

أو قوله : عقال الحى أم سرب الميا سحبا ...

(٥) الوحى : العبلة والإبراع . وانصلت : مضى وسبق

(٦) - في دامش الديوان : بلاغته .

فاسمِعْ ، فَلَا زِلَّ لِلْخَيْرَاتِ مُسْتَمِعًا أَجْوَبَةً مِنْهَا فِي الْكُتُبِ مَا شَرِحَا
 مَوْلَايَ إِنْ سَدَّ عَنِّي بَابَ أَنْعَمِهِ وَلَمْ يَزَلْ لِلْوَرَى بِالْفَضْلِ مُنْفَتِحَا
 وَلَمْ يَجِدْ لِي بِطَرْفٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَكَمْ حَبَانِي ، وَكَمْ أَسْنَى ^(١) لِي الْمُنْعَا
 بِخُودِهِ السَّكْبُ إِنْ أَكْدَتْ ^(٢) مَحَابِلُهُ ^(٣) يَوْمًا ، فَكَمْ سَخَّ بِالنُّعْمَى ، وَكَمْ سَفَحَا
 وَكَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عِنْدِي تَزِيدُ عَلَى مَا سَامَهُ الْأَمَلُ الْمَشْتَطُّ وَاقْتَرَحَا
 أَقْلُ مَا نِلْتُ مِنْ جَدْوَى ^(٤) يَدِيهِ غَنَى مَا سَاءَنِي بَعْدَهُ مَنْ ضَنَّ أَوْ سَمَحَا
 لَقَدْ غَنَيْتُ بِهِ عَنْهُ ، كَمَا غَنَى الْغَدِيرُ بِالشُّجْبِ عَنْهَا ، بَعْدَ مَا طَفَحَا
 لَكِنْ بَقَلْبِي هُمُّ زَادَ سُورَتَهُ وَهُمْ إِذَا قَلْتُ يَنْجُو زَنْدُهُ قُدَحَا ^(٥)
 أَظَنَّ بِي الْعَجْزُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ ، وَهَلْ لَهَا سِوَايَ مِنَ الْأَبْطَالِ قُطْبُ رَحَى
 وَمِنْهَا :

فَقُلْ لَهُ ، جَدَّدَ اللَّهُ الْبَقَاءَ لَهُ . مَا شَقَّ جَيْبَ الدُّجَى صُبْحٌ وَمَا وَضَحَا :
 كَمْ قَدْ بَعَثْتُ إِلَى عَالِكَ مِنْ أَمَلٍ أَنْتَرَيْهِ ، وَكَمْ مِنْ مَطْلَبٍ نَجَحَا
 وَأَنْتَ مِنْ لَوْ حَبَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لَمْ يُرْضِهِ مَا حَبَا مِنْهَا وَمَا مَنَحَا
 وَمَا سَلِمَتْ فَذَنْبُ الدَّهْرِ مَعْتَفَرٌ وَصَرَفُهُ مَا جَتَى جُرْمًا وَلَا اجْتَرَحَا ^(٦)

قافية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كُنَاسُ سِرْبِ الْمَهَا عَرِيْسَةُ الْأَسَدِ ^(٧) فَكَيْفَ بِالْوَصْلِ لَلِسْتَهْرَ ^(٨) الْكَمَدِ
 وَالْبَيْضُ ، دُونَ خُدُورِ الْبَيْضِ ، مُصَلَّتُهُ حَكَتْ جَدَاوِلَ مَاوٍ غَيْرِ مُطَرَّدِ

(١) أجزل . (٢) أكدى : بخل ، أو قل خير . أو قل عطاء . (٣) محابله : جمع نخلة من خال بمعنى فان .
 (٤) الجدوى : العطفة . (٥) سورة النى : حديثه . ويخبر : يسكن . وقلح بالزند : رام الإبراء به .
 (٦) صرف الدهر : نوائبه . واجتج : اكتسب .
 (٧) الكناس : مستتر الظلي في الشجر . والمها : بقرة الوحش . والعريسة : مأوى الأسد .
 (٨) استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله : قن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

وَكُلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَهْذَمٌ ذَرْبٌ^(١) بِكَذْوَةِ النَّارِ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تَقْدِ
إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذِي لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مِيلِ ذِي الْأَوْدِ
وَالْبَيْضُ وَالشُّمْرُ لَا تَرَوَى بَغِيرِ دِمٍ مِنْ كُلِّ جَانِثَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّبْدِ
صَدِينَ حَتَّى جَلَاها فِي الثُّحُورِ وَفِي السَّهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلٌّ^(٤) كُلُّ صَدٍ
مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّيْفِ^(٥)
وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكَسَادِ ، فَمَا تَرَى سِوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدٍ
مَنْ عَدْلُهُ أَمِنْ الشَّاءِ الْمُهْمَلِ فِي الْأَعْرَيْنِ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةَ الْأَسَدِ
مَنْ يَلْتَقِي الْمُذْنِبِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَنَوْهُ قَصْداً بَعْفُو غَيْرِ مُقْتَصِدٍ
يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُوراً بِهَا جَدلاً فَتَنَّهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) وَلَا نَكِدٍ
وَمَا تَذْمُرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَا عَنْ مُحِبٍّ بِالْحِمَاءِ نَدٍ
كَالْمُشْرِفَةِ فِيهَا حُسْنُ رُونِهَا فِي السَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالْغُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُنْقَذِي ، وَيَدُ الزَّمَانِ تَنُوشُنِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدْيٍ ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
حَتَّامٌ أَنْتَ لِتَقْبِلَ قَرِي حَامِلٍ وَمَا يَهْيِضُ^(٩) الذَّهْرُ مِنِّي جَابِرُ
وَمُقَارِعُ دُونِي الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْثَمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَكُنْ حَامِرُ

(١) الالهزم : القاطع من الأنسة . والدرب : الحاذ . (٢) اللدد : الخسومة الشديدة .

(٣) أود : اعوج . (٤) الغل : العطش . والصدى : العطشان .

(٥) الصفد محرقة . الوثاق . (٦) من الحبل : قطعه .

(٧) تنوشني : تناولني .

(٨) أقال جدّه : رفعه من سقوطه . والجد : الخط . وكبا : انكب على وجهه .

(٩) هاض : كسر .

(١٠) استلام : لبس الامة وهي الدرع . والحاسر : المكشف .

مهلاً ، فدَى لك مهجَةً دافعتَ دينَ حَوْبَائِهَا^(١) ، إذ لَيْسَ غَيْرَكَ نَاصِرُ
خَفِضَ عَلَيْكَ ؛ فَلِلْأُمُورِ نِهَايَةٌ وَإِلَى النِّهَايَةِ كُلُّ شَيْءٍ صَاحِرُ

(٢٩٨)

وقال يمدح الأميرَ مُعِينَ الدِّينِ أنُرُ وقد لَبَّى الفَرَجَ فَهَزَمَهُمْ :
كُلَّ يَوْمٍ فَتَحَ مِيقَاتٍ ، وَنَصَرَ وَاعْتَلَأَ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهَرَ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غَرُّ
صَدَقَ النَّعْتُ فَيْكَ ، أَنْتَ مُعِينُ الدِّينِ ، إِنَّ النُّعُوتَ قَالَ وَزَجَرَ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ؛ فَلَا قَلَّ غِرَارِيكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ بِسَيْفِهِ الْخِزْمَ^(٣) عَزًّا ، وَذَلَّ شِرْكَهُ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِ مَا تَوَقَّلُ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تُضْمِرُ الْجِهَادَ مُسِرًّا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أُمَكَّنَ جَهْرُ
كُلِّ ذَنْحِ الْمُلُوكِ يَفْنَى وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لِلنَّدَى مَالِكُ الْمُبَاحِ ، وَمَا مَا لَكَ إِلَّا جُرْدُ^(٤) ، وَبَيْضُ ، وَسُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكُنَّا بَعْدَنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
فُحْرَمْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيِّعَ مَا كُنَّا زَرَعْنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمَرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَتْنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفْعُ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتَرُ
كَانَ حَظِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(١) الحَوْبَاءُ : النَّفْسُ .

(٢) أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الدِّينَ وَهُوَ الزَّمَانُ .

(٣) خِزْمُهُ : قِطْعُهُ .

(٤) جُرْدٌ : جَمْعُ أَجْرَدٍ ، وَهُوَ الْفَرَسُ الْقَصِيرُ الشَّعْرَ .

لَا تَتَأَمَّى مَنْ كَانَ ظَلَمَكَ فِي الْعُسْرِ وَضَيِقَ الزَّمَانِ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسْنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مِثْلَكَ فَضْلٌ ، يَرُوهُ بَدْوٌ وَحَضَرٌ
قَابِقٌ ، وَاسْلَمْ ، وَزَدَ عَلَى رَغَمِ أَعْدَاكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ بِالْحَرِّ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعَادِيكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَبَبُّضَتِ جَبْرِ^(١)

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتُرُ الدُّخَانَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلتَّنَوُّرِ
يُوَارِي إِسَاءَاتِي ، وَيُبْدِي مُحَاسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغْيِبِي وَمَحْضَرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عباس^(٢) رحمه الله :

يَا مَنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعَلَا وَيرى النِّئَاءَ أَجَلَ ذُنْحٍ يُذْنَحُ
أُغْرِبْتَ^(٣) فِي بَذْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبُ الْعُلَيَاءِ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَا يُمَهَّرُ
وَسَعِيَتْ لِلْجَدِّ الدِّي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُزُونَةٌ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلَتْ جُودَكَ لِلْعُفَاةِ^(٤) ، فَالْهَمُّ وَرَدُّ سِوَاهُ ، وَلَيْسَ عَنْهُ مَصْدَرُ
كَمْ مِنْ يَدٍ أُولِيَّتْنِيهَا ، أَثْمَرَتْ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَيَادِي تُثْمَرُ
وَكِرَامَةٌ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشُكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكُرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِ يَزِينُ ، وَإِنَّمَا بِنَاءٌ مِنْ يُنَيِّ عَلَيْهِ يُفَخَّرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالْوَسْمِيِّ^(٥) : ذَا مِنْ قَطْرَةٍ تَبَتْ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان .

(١) أغب : جاء يوما وترك يوما . وتبعض : انكسر .

(٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف .

(٣) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) الوسمي : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدّم أول^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصّاح
لح لا تهتدى له الغير^(٢)
أنهلني ، ثم علني جوده الغم
ر ، فبعدى عن بابه صدر^(٣)
فقل لمن سره يعادى : ما
تبعد أرض يؤمها المطر
ماضرتني البعد عن ندى ملك
يلبغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلاب جوده ، فلدن
يرجو مقام ، وللندى سفر
أبقت عطاياه لي غناي ، كما
تبقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال
أيام تزهو تبها ، وتفتخر
أطال باعى جميل رأيك ، فال
أحدث دوني في باعها قصر
وشد أزرى ، حتى ترجيت أن
يحمل عني أنقال ما أزر
أشرت لي أسرتي ، فشكرى ، ما
فاه في ، في البلاد منتشر
وانتشتهم من يد الخطوب ، ولا
ملجأ منها ينجى ولا وزر
سيرهم فضلك الذي أعجز الوصف ، ولم
تتل مثله السير
فأغل ، ودّم ، ماعلا النهار ، وما
أضاء في حندس الدجى القمر^(٥)
مشرقا عصرنا البهيم^(٦) ، فأيامك فيه
الأوضاع والغر^(٧)

(١) أزل القصيدة :

أزوا فادتك منهم الذكر ومثلهم قلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النبل : أول الثرب . والعلل : الثرب بعد الثرب . والذمر : الماء الكثير . والصدر : الرجوع .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

(٥) الحندس : الطامة .

(٤) أناشه : نثره .

(٦) البهيم : الأسود .

(٧) الأوضاع : جمع وضع ، وهو بياض الصبح . والغر جمع غرة ، وهى بياض فى الجبهة .

واجتأها بنت يومها ، ثم عمر الدهر ، حتى يفنى لها عمر
يَضُوعُ منها في كلِّ قَطْرٍ من الأر ض نساء كأنه قَطْرٌ^(١)
ولورأى الجوهري ألفاظها الغر لما شك أنها درر
هَذَا، وفيها، إن رُمْتُ شُكْرًا لِنَعَا مِكْ أو حَصَرَ بعضه، حَصَرَ
(٣٠٢)

وقال :

سأرحلُ عن جنابك غيرَ قال يُسْكِرُ يَفْغُمُ الآفاقَ نَشْرًا^(٢)
وما شُكِرَ لي أوليتُ كُفًّا ولكي سألني فيه عذرا^(٣)

قافية السنين

(٣٠٣)

وقال :

لله دركٌ من قتي أبدت به أيامنا بشرَ الزمان العاس
صَدَقَتْ أمانِي الخيرِ فيه ، فلم تدغ صدرًا يُضْمُّ على قُوَادِ آيس
نال^(٤) العلأ ، حتى أقرَّ بفضلِه وعلاه كلُّ معاندٍ ومُنَافِس
جودٌ كماءِ المزنِ طلق خالص من منَّ مَنانٍ ومنع مُمَاكِس^(٥)
ومَوَاهِبُ لو قُسمت بين الوري ما كان يوجد فيهم من بَائِس
وندى يدٍ لو أنها مبسوطة في الأرض أثمر كلَّ عودٍ يابِس

(١) القطر بالضم : العود الذي يتغير به . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) قلاه : أبغضه . وفغمه الطبيب : سدَّ خياشيمه . والنشر : الريح الطيبة .

(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فقبله .

(٤) بهامش الديوان (حاز) رواية .

(٥) ما كسه في البيع : شاحه .

قافية الطاء

(٣٠٤)

وقد في الملك الصالح من قصيدة مضي أولها^(١) :

ومن عَلَقَتْ بالصَّاحِجِ الْمَلِكُ كَفَّهُ فَلَيْسَ لَهُ دُونَ الْعُلَا وَالْغَنَى شَرْطُ
ومن دُونِهِ، إِنْ رَابَ خُطْبُ، ذَوَابِلُ وَبِيضٌ، وَجَرْدٌ، لَا الْقَتَادَةَ وَالْخُرْطُ^(٢)
أَمَارَتْ جُدُودِي مَذْ عَلَقْتُ بِحَبْلِهِ وَكَانَ لَهَا فِي خُطْبِ عَشَوَانِهَا خَبْطُ
لَهُ نَائِلٌ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمَلٍ "إِذَا جِيرَةٌ سَمِوا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا"^(٣)
عَلَى كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةٌ مِنْ نَوَالِهِ وَفِي كُلِّ جِيدٍ مِنْ صَنَائِعِهِ قُرْطُ
وَكَمْ أَمَلٍ جَفَدَ أَتَى الْيَأْسُ دُونَهُ تَلَقَّاهُ مِنْ إِنْعَامِهِ نَائِلٌ سَبْطُ
وَكُنْتُ أَرْحَى مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغَنَى إِذَا مَا عَدَا فِي كَفِّهِ الرِّفْعُ وَالْحُطُ
فَلَمَّا وَرَى زَنْدُ الْمَعَالِي بِكَفِّهِ وَقَالَ نَدَاهُ لِلْوُفُودِ : أَلَا حُطُوا
نَأَتْ بِي اللَّيَالِي عَنْهُ ، لَكِنَّ جُودَهُ أَتَانِي ، وَلَمْ يَحْجِزْهُ نَأَى وَلَا شَطُ
كَذَا الْغَيْثُ يَسْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ فَكُلُّ لَهُ مِنْ فَيْضٍ وَابِلِهِ قَسْطُ
وَإِنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا لِمَنْ زَاغَ ، أَوْ حَاذَاهُ مِنْ أَفْقَاهَا خَطُ
فَأَنْزَرُ حَنْتِي مِنْ مَوَاهِبِ الْغَنَى وَأَيْسُرُ تَخْوِيلِي^(٤) الْعَشِيرَةُ وَالرَّهْطُ

(١) مطلع القصيدة :

أَجْرَةٌ قَلْبِي إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُوا .

(٢) القَتَاد : شجر صلب له شوكة كالإبر . وَالْخُرُوط : الدابة الجوح تجذب رَسْمًا مِنْ يَدِ مَسْكَمٍ ، ثُمَّ تَمُضِي ، وَاجْمَع : خُرْط . وَالذَّوَابِلُ : الرِّيح ، وَالْجَرْدُ : الْخَيْلُ الْقَصِيرَةُ الشَّعْرًا . (٣) الْعَشَوَانُ : الْعَالِيَةُ .

(٤) مطلع قصيدة أَبِي الْعَدَاءِ الْمَعْرِي :

لِمَنْ جِيرَةٌ سَمِوا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا يَظْلَهُمْ مَا ظَلَّ يَنْبِتُهُ الْخَطُ

وَأَنْطَى : أَعْطَى .

(٥) خَوَّلَهُ : أَعْطَاهُ مَفْضُلًا .

حَبَانِي نُفُوسًا ، لَا تَقِيَسًا مِنَ اللَّهِ (١)
وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رُزِيكَ ؛ لِأَنَّهُمْ
بَنُو الْحَرْبِ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبَنُو النَّدَى
إِذَا مَا احْتَبَوْا (٢) فَالِرَاسِيَّاتُ رَجَاحَةٌ
لَهُمْ جَبَلٌ ، لَا زَعَزَعَ الْخَطْبُ رُكْنَهُ
أَقَرَّ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ
فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
فَأَجَابَهُ مُحَرِّضًا عَلَى الْجِهَادِ (٣) :

هِيَ الْبَدْرُ ، لَكِنْ الثَّرِيَّا لَهَا قُرْطُ
مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظَلَالِلُ
تَسُومُ صَرِيعًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ
فَمَا اخْضَرَّ تَرْبُ (٤) الْأَرْضِ إِلَّا لَأَنَّهَا
وَلَا طَابَ نَشْرُ الرِّوَضِ إِلَّا لَأَنَّهُ
وَلَا طَارَ ذِكْرُ الطَّبِيِّ إِلَّا لَأَنَّهُ (٥)
مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَ الصَّبْحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي

وَمِنْ أُنْجَمِ الْجُوزَاءِ فِي نَحْرِهَا سِمَةٌ (٦)
تُظَلُّ ، وَمِنْ نَسَجِ الرَّبِيعِ لَهَا بُسْطُ
مِنَ السَّقَمِ ، وَالْأَيْدَى تَقْلُبُهُ ، خَطُّ
عَلَيْهِ . إِذَا زَارَتْ ، بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
يُجَرِّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَابِيذِهَا مَرُطُ (٧)
يَصْدُ كَمَا صَدَّتْ ، وَيَعْطُو ، كَمَا تَعْطُو (٨)
مَحَاسِنِهَا ، لَوْلَا ذَوَائِبُهَا ، قَسْنَطُ

(١) اللّهي بالضم : العطايا ، مفردة هوة .

(٢) جمع أشط . والشمط : بياض يتخالط سواد الشعر . (٣) احبني بالثوب : اشتل به .

(٤) تخط خط نعيطا ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كأنه يحط ، والنحط شبه الزفير .

(٥) مات عطفا : شابا صحيحا .

(٦) النص بعضه في الخريدة المطبوعة ١ : ١٧٦ ، والروصنين ١ : ١١٩ . وثلاثة أبيات منه في عقد الجمان :

(٧) السمط : القلادة .

القسم الثاني ، و امرأة الزمان ج ٨ .

(٨) المرط بالكسر : كساء . من صوف أو خز ، جمعه مروط .

(٩) في العقد والمرأة : ثوب .

(١٠) في الخريدة : وقد غدا . (١١) العطو ، رفع الرأس واليدين . (١٥)

إلى العَرَبِ الْأَحَاضِ ^(١) يُعْزَى قَبِيلُهَا
ولما غَدَت كَالْعَاجِ ، زَيْنَ صَدْرُهَا
وَأُرْسِلَ فَوْقَ الْخَلْدِ صُدُغٌ مَكْلَلٌ
ذَوَائِبُ زَارَ الْخَصَرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ
يُنَافِي سَنَا الْكَافُورِ إِنْ مُشْطَتْ بِهِ
وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَأَذْكُرْنَا ذَاكَ الْبِعَادُ مَعَاثِرًا
وَأَلْقَوَا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَوَادَ مُحِبِّهِمْ
وَلَيْسَ تَشْقَى الشَّفْنُ أُمُوجَهُ ، وَلَا
أَحْبَابُنَا بِالشَّامِ ، عَفْتُمْ جَوَارِنَا
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلِ زَاخِرًا
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى
وَكُتْمٌ لَنَا دُونَ الْأَقَارِبِ أَسْرَةً
وَإِنَّا أَنَاسٌ ، لَيْسَ يَبْرَحُ جَارُنَا
وَيَمْتَاخُنَا ^(٢) زَوَارِنَا ، فَكَأَنَّمَا
وَيُصْبِحُ بَسْطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ عِنْدَنَا
وَتَخْرِقُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ خَيْلُنَا
وِظْلَمَاءُ لِلشَّهْبِ الدَّارِي إِذَا سَرَتْ

وَقَدْ ضَمَّهَا فِي الْحَسَنِ مَعَ يُوسُفٍ سَبْطُ ^(٣)
بِحَقِّينَ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهُمَا الْخَرْطُ
كَمَا أَنْسَابُ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ ^(٤)
تَحْدَرُ ، لَا جَعْدُ النَّبَاتِ ، وَلَا سَبْطُ
وَيُخْفِي سَوَادَ الْمِسْكِ ، فَهَوَلَهَا خَلْطُ
تَسَاوَى الرِّضَاوِ السَّخَطُ وَالْقَرَبُ وَالشَّحَطُ ^(٥)
نَاوَا ، فَكَأَنَّا مَا لَقَيْنَاهُمْ قَطُّ
إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لِلجَنَّةِ شَطُّ
بِسَاحِلِهِ لِلْعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُّ
بِفَاوَرَكُمُ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحَطُ
بِمَصْرِ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْخُطُّ ^(٦)
رِضَاكُمُ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، سُخْطُ
وَنَحْنُ لَكُمْ ، مِنْ دُونِ رَهْطِكُمْ ، رَهْطُ
يَحْكُمُ فِي الْأَمْوَالِ مَنَّا ، فَيَسْتَنْطُ ^(٧)
غَدَا لَهُمْ شَرْطُ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَكُلُّ مَلِكٍ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ
عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمَرْدُ ، وَالْجَلَّةُ الشَّمْطُ ^(٨)
هَنَّاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبْطُ

(١) في الخريدة : سبط .

(٢) الشحط : البعد .

(٣) الشحط : البعد .

(٤) الشحط : البعد .

(٥) الشحط : البعد .

(٦) الشحط : البعد .

(٧) الشحط : البعد .

(٨) الشحط : البعد .

(١) الأحاض : جمع محض وهو الخالص .

(٢) الرقطة : سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه .

(٣) الخط بالضم : موضع الخي .

(٤) المتج : الاستقاء . (٥) جمع أشمط . والشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . والجللة : جمع جليل .

(٦) الشحط : البعد .

(٧) الشحط : البعد .

(٨) الشحط : البعد .

(٩) الشحط : البعد .

كما أَوَّلَ الفَجْرَيْنِ سَقَطُ^(١) يُسَلُّ من حشاها، كذلك البرق في جوها سَقَطُ
 سَلَلْنَا بها بِيضَ السِّيُوفِ ، فلاحَ في شَبَابِ الدُّجَى ، لَمَّا بَدَأَ لَمْعُهَا ، وَخَطُ^(٢)
 سِيُوفُهَا في كُلِّ دِرْعٍ وَجُنَّةٍ^(٣) إِذَا مَا اعْتَلَتْ قَدٌّ ، أَوْ اعْتَرَضَتْ قَطٌّ^(٤)
 ذَخَرْنَا سَطَاهاَ لَلْفَرَجِ ؛ لِأَنَّهُا لَهْمُ قِسْطِهِمْ في الْحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا لَهَا
 وَقَدْ كَاتَبُوا في الصُّلْحِ ، لَكِنْ جَوَابُهُمْ قِسْطُورُ خَيْبُولٍ لَا تُدَبُّ دِيَارُهُمْ
 وَحَرْبُهَا الأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ ؛ لَمَّا إِذَا أُرْسِلَتْ فَرَعًا من النِّقْعِ فَاحِما
 كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنَامِلُ حَاسِبٍ كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنَامِلُ حَاسِبٍ
 رَدَدْنَا بها ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا رَدَدْنَا بها ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا
 فَقُولُوا لنُورِ الدِّينِ : أَيْسَ لِحَائِفِ السَّجِرَاتِ إِلَّا الْكَيُّ في الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٥)
 وَحَسَمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوَّلَى لِعَاقِلٍ لِيَبِّ ، إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُدْنِفِ الْخِلَطُ^(٦)
 فَدَغْ عَنْكَ مِيلاً لِلْفَرَجِ وَهُدْنَةً بِهَا أَبَدًا يُخِطِي سِوَاهُمْ ، وَلَمْ يُخِطُوا
 تَأْمَلْ ، فَكَمْ شَرِطَ شَرِطَتْ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدِرَ بِهِ نَقِضَ الشَّرِطِ
 وَشَرٌّ ، فَإِنَّا قَدْ أَعَنَّا بِكُلِّ مَا سَأَلَتْ ، وَجَهَّزْنَا الْجِيُوشَ ، وَلَنْ يُبْطُوا^(٧)

(١) السقط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري . (٢) وخطه الشيب : خالطه . أو فشا شيبه .
 (٣) الحنة : كل ماوق . (٤) القد : الشق طولاً . والقط : القطع عرضاً .
 (٥) القسط بالفتح : الجور والدول عن الحق . (٦) في الخريدة : يكتب .
 (٧) الخط : سيف البحرين ومرقا السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح . والخط الثانية المراد بها الكتابة .
 (٨) أث الدات بث . كثير والف . وهو أثبت . كثير عظيم .
 (٩) بط المرح وغيره يبطه بطا ويجه بجا : إذا شقه . (١٠) الخلاط بالكسر : أن يخالط الرجل في عقله .
 (١١) في الروضتين : لم .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عِزَّاءَ ، زَفَّهَا إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمُخَضَّ وَالْكَرَّمَ السَّبْطُ^(١)
 هَدِيًّا^(٢) نَهَادَى بَيْنَ حُسْنِ وَفَائِنَا وَإِنْعَامَنَا، ذَا النَّاجِ زَانَ ، وَذَا الْقَرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَسْتَبْطُ إِنَّ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣) (أَجِيرَةَ قَلْبِي ، إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُّوا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلْنَا بُخُودَ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ الذِّي الصَّالِحُ الَّذِي بِحَارُ نَدَاهُ كَلْهَنَ شَرَائِعُ^(٥)
 يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عُظْمٍ مِنْهُ^(٧) كَأَنَّ عَطَايَاهُ لَدَيْهِ وَدَائِعُ
 يَحْكُمُ مُسْتَبْطُ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ فَتَعَجَّبُ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فَإِلَيْكَ بِنْتَ الْفِكْرِ، مِنْ بَعْدِ الْمَدَى تَهْدَى ، فَشَرَّفَهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
 وَصَدَاقُهَا الْإِكْرَامُ، لَا مَا سَبَقَ فِي نَحْلِ الْكَرَامِ : مِنْ لَهْيٍ^(٨) وَمَتَاعِ
 فَهِيَ الْكَرِيمَةُ ، لَيْسَ فِي أَغْرَاقِهَا عَرَقٌ إِلَى الْأَطْمَاعِ بِالنِّزَاعِ^(٩)

(١) السَّبْطُ : السُّخَى . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .

(٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الشريعة : المورد .

(٦) منت عليه : عدت له ما فعلت له من الصنائع . (٧) المن : الإنعام .

(٨) اللهى جمع لهوة وهى العطية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .

(٩) نزاع إلى الشيء : ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجوادُ الذي يلقاهُ مادحُه وإن غلا، فوقَ ما أنخى وما وصفا
معدَّلُ في الددى ، لكنَّ راحتهُ تأبى مع العذلِ إلَّا البذلَّ والسرفا
صعبُ الإباؤ ، إذا ما هجت سورتهُ ^(١) نزرُ الرضا ، فإذا استعطفته عطفا
بأدى الحفودِ على أعدائه ، فإذا نالهمُ قدرةٌ منه حبا ^(٢) ، وعفا
نغشى مواردَ من أخلاقه كرمُ وردا ، ونزادُ منها روضةً أنفا ^(٣)
مستَهترٌ ^(٤) بالمعالي ، لا يزالُ على تقلبِ الدهرِ مشغوقا بها كلفا
إن أخلفَ الغيثُ لم تخلفِ مواهبُه أو فظَّ دهرٌ على أبنائه لطفًا
عدلُ القضيةِ إلَّا في مواهبِه لم يقضِ في المالِ إلَّا جارَ واعتسفا
تعمُ نعماءُ ذا نقصٍ وذا شرفٍ كأنه البحرُ يحوى الدرَّ والصدفا
منزهُ الخلقِ عن فعلٍ يُعاب به فما ترى لكالمٍ عنه منصرفًا

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها ^(٥) :

من كان لي من حماءِ خيسٍ ^(٦) ذي ليدٍ ضارٍ ، ولي من نداءِ روضةٍ أنفٍ ^(٣)
من لم يزل لي من جدوى يديه غنى وفي ذراه من الأيامِ لي كنفٍ

(١) السورة : الحدة والبطش . (٢) حبا : أعطى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهتر كما : فتن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكرهم الود إن صدوا ، وإن صدوا . . . راجع ص ٨٥ .

(٦) الخيس : موضع الأسد .

الملك الصالح الهادي الذي شهدت
 ملكك أقل عطاياه الغنى ، فإذا
 أغر ، أروع ، في كفيه سحْبُ ندى
 هو الوزير الذي يأوى إلى وزير^(٢)
 تزيه آراؤه في يومه غده
 بصيرة كشفت ما في القلوب له
 سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
 ولم تُزَفَّ إلى كفء سواه ، وما
 حبر ، إذا الليل آواه بجنده^(٥)
 ومحرب^(٦) ما أتى المحراب مُبتهلا
 مسهد ، وعيون الخلق هاجعة
 وتشرق الأرض من لآلاء غرته
 لم يدِر ما القصد^(٩) في جوده ، ويعجبه
 إذا حبا^(١٠) عادت الآمال راضية
 بأبيها الملك الموفى بدميته
 إليك يا عادلا في حكمه ، وعلى
 أشكوزمانا قضى بالبحور في ، ولم
 لحت^(١٣) نوابه عودي ، وأنفد مو

بفضل أيامه الأنباء والصحف
 أدناك منه ، فأدنى حظك الشرف
 تمتاز^(١) سحْبُ الحيا منها ، وتغترف
 منه الأنام ، فيكفوا كل ما كفوا
 فيحسم الخطب فيه قبل يكتنف^(٣)
 وأطلعت عليه قبل ينكشف
 طوعا ، وفيها على خطاها صلف
 زالت إلى مجده تصبو ، وتشترف^(٤)
 بحر من العلم طام ليس يتزرف
 إلا وأدمعه من خشية تكف^(٧)
 على التهجيد والقرآن معتكف
 في دسته^(٨) ، فتكاد الشمس تنكشف
 في بذل أمواله الإفراط والسرف
 وإن سطا كادت الآفاق ترتجف
 ومن تجلّى عن الدنيا به السدف^(١١)
 أمواله من قضايا جوده الجنف^(١٢)
 يزَل يجور على مثلي ويعتسف
 جودي ، وشئت مثلي ، وهو مؤتلف

- (١) الميرة : جلب الطعام .
 (٢) اكتنفته القوم : كانوا منه بمة وبسة .
 (٣) الجندي : الفالمة .
 (٤) تكف : تقطر .
 (٥) القصد : الاقتصاد .
 (٦) السدف : الفالمة .
 (٧) الوزر : الملجأ والمعصم .
 (٨) في الصباح : استشرفت الشيء : رفعت البصر أنظر إليه .
 (٩) الحرب : رجل الحرب الشجاع .
 (١٠) السميت : صدر البيت — مغرب .
 (١١) حبا : أعطى .
 (١٢) الجنف : الجور .
 (١٣) لحا العود : قشره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً
فاجمع بجودك شملًا كان مجتمعا
والشُّر بمعروفك المعروف مَيَّهم
فهو القريب مرالاةً ومُعْتَقداً
وعش على رغم من يَشْتَاك مُقْتَدِراً^(١)
فأجابه :

آدابك الغُر بحرٌ ، ماله طَرْفُ
نقولُ ، لما أَنانَا ما بَعَثَتْ به :
خطُّ تَزَهَّت الأزهارُ حين بدا
إن نظمهُ طَرَقَ الأسماعُ كان لها
رَقَّت حواشي كلامٍ أنت ناظِمة
وردت بحر القوافي فاغترفت ، كما
زَهت على البدر نوراً ، إذ أنت بسوا
قَرَطْتَ^(٢) رَمياً ، وكَم رامٍ بأسمِهِم
بخاطرٍ فاق غُزْر العَدِّ ، لا وَشَلُّ
إذا تَطَلَّع فوق الأرضِ دُو أدبٍ

في كل سمعٍ بدا من حُسْنه طَرْفُ
هذا كَتابٌ أتى ، أم روضةٌ أنفُ^(٣)
كأنه الدرُّ ، عنه فُتِح الصَّدْفُ
وإن حَوَتْ عَطَلاً من حِلْيَةٍ ، شَنَفُ^(٤)
فيه ، بلخاءُ كزهرِ الرِّوَضِ يُقَنَطُفُ
قد حلَّ يوماً بمدِّ النِّيلِ مُغْتَرِفُ
دِ النَّقْصِ^(٥) يشبهه من خَدِّه كَأَفُ^(٦)
إذا تُحَقِّق منه يَسْلَم الهَدَفُ
ولا بَبَرِضُ^(٧) إذا ما حلَّ يَتَرَفُ
فأنت منه على العيوقِ^(٨) تَسْتَرِفُ^(٩)

(١) النطفة بالضمه : الماء الصافي ، قل أو أكثر والجمع نطاف ونطف .

(٢) شأه : أنقصه .

(٣) روضة أنف : لم تزع .

(٤) الشنف بالفتح : القروط .

(٥) النقس : المداد .

(٦) الكاف : سواد في صفة .

(٧) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو أديم ينصب للنضال .

(٨) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل .

(٩) العيوق : نجم .

وإن تَعَرَّى دَعَى من فَضائله
 إذا تَخَنَّى لِقَبِيحٍ ^(١) وجهه قافية
 لأعين الناس نهب من محاسنها
 إذا ذكرناك مجد الدين ، عاودنا
 ودون ما قد وجدناه لفرقتكم
 ولو عرفت الذي في القلب منك لما
 ولا عجب إذا حاف الزمان على
 فلا تكن جازعاً ، إن التجاوز عن
 فإن حصلت على الصبر احتويت على
 يا من جفاناً ، ولو قد شاء كان إلى
 وحق من أمه وفد الحبيج ، ومن
 إنا لنؤفي على حال البعاد ، كما
 ونغفر الذنب إن رام المسيء بنا
 وإن جنى من رأى أنا نعاقبه
 نعم ، ونحفظ عند الغيب صاحبنا
 فما لإيعادنا يوم الوغى ميل
 فعندنا جنة تدنو الثمار بها
 هدى مصاحبنا ضوء النهار ، وكم

فأنت مُدَرِّعٌ منها ومُلَحَّفٌ
 فعن قوافيك شيلت دوننا السجف ^(٢)
 كما القلوب تلاقبها فتختطف
 شوق تجدد منه الوجد ^(٣) والأسف
 يحيط بالقلب من أرجائه التلف
 إن ^(٤) كنت عنا على الأحوال تختلف
 حر ، وكل قضاياه بها جنف ^(٥)
 إنفاقك الصبر في شرع الهوى سرف
 الأجر الجزيل ، وفي إحرازه شرف
 جنابنا ^(٦) دون أهل الأرض ينطف
 ظلت إلى بيته الركبان تختلف
 نؤفي لمن ضمه في قربنا كنف ^(٧)
 عفواً ، ونستره في حين ينكشف
 يردنا الصفح أو يعتاقنا الأنف ^(٨)
 وليس يدركنا كبر ولا صلف ^(٩)
 ولا لموعدا يوم الندى خلف
 إذا دنا مجتنب منها ، ومقتطف
 قد ضل من في ظلام الليل يعتسف ^(١٠)

- (١) في الأصل (لفتح) تحريف .
 (٢) السجاف : الستر .
 (٣) الوجد : شدة الحزن .
 (٤) إن زائدة بعد ما .
 (٥) الحيف : الظلم . والجنف : الميل والجور .
 (٦) الجنب : الجانب . والناحية .
 (٧) الكف : الجانب والظل والناحية .
 (٨) الأنف : الاستنكاف .
 (٩) الصاف : أن تمتدح بما ليس عندك .
 (١٠) اعتسف : خبط على غير هداية .

فَلِإِنِّنَا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوجٌ لَمْ تَزَلْ تَكْفُ
كَفَى اغْتِرَابًا ، فَعَجَلُ الْإِيَابِ لَنَا فَهَنَكَ لَا عَوْضٌ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَصْحَى عِلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقَدِّمَتْ لَكَ تَهْنِئَةً ، وَبَهَا وَخَشُ الْفَلَاةِ ، إِذَا مَارَوْعَتْ ، أَلْفُ
كَثْنًا حِينَ تَجْرَى ذِكْرُهُ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامٍ لَهَبِ النَّارِ نَعْتَكُفُ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنْاسٌ فِي النَّسَاءِ عَلَى أَوْصَافِكُمْ قَصَرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَحْنُ نَخُذُ نِظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبْتَ يَدَاكَ إِذْ عَدَدُ النَّظْمِينَ مُؤَلَّفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعْ ذَا ، وَقُلْ لِبَنِي الْأَمَالِ : قَدْ وَصَّحْتَ لَكُمْ سَبِيلُ الْأَمَانِ وَالْجَلَى الْأَسْفُ
وَأَيْنَعْتُ دَوْحَةً لِلْجُودِ دَانِيَةً الْقُطُوفِ ، يُجْنِي الْغَنَى مِنْهَا ، وَيُقْتَنَفُ
أُمُومًا بِأَمَالِكُمْ مَصْرًا ، فَإِنَّتْ بِهَا تَحَابَةً مِنْ نَدَاها السَّحْبُ تَغْتَرَفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نِيْلًا زَانِدًا أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارٍ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِي ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةٌ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَصُّ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْتَصِفُ^(٤)
سَعَى بِهَا أُرُوعٌ^(٥) فِي الرُّوعِ^(٦) ذَوُورَجٍ فِي السَّلَامِ ، حَتَّى تَجَلَّى الْجُورُ وَالْخَنَفُ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَمْلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَذْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحدة والنشاط والتمادي . (٢) روى في الأمر : نظروكم .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك معاض ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انتصف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يعجبك بحسه وبجهارته منظره أو بشجاعته .

(٦) الروع : الغزع .

الملك الصالح الهادي الذي كشف الغمائم^(١)، إنَّ الدُّجَى بالصَّبح مُكشَفُ
 مَنْ فِيهِ عَنْ زُنُحْرِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا مَذْ رَاوَدَتْهُ عَلَى عِلْيَانِهِ ، ظَلَفُ^(٢)
 جَوَابُهُ نَعَمٌ ، فِي إِثْرِهَا نَعَمٌ يُغْنِي الْعُفَاةَ^(٣) ، وَيَلْقَاهُمْ بِمَعْدَرَةٍ
 مَا يَبْلُغُ الشُّكْرُ مَا يُولِيهِ مِنْ مَنِّ لَكِنْ مَوَاهِبُهُ فِي الْخَلْقِ شَاهِدَةٌ
 كَالرُّوْضِ إِنْ لَمْ يُطَقْ شُكْرُ السَّحَابِ إِذَا يَا كَافِيَ الْخَلْقِ بِالنُّعْمَى ، وَكَافِلَهُمْ
 رَأَيْتُ مَجْدَكَ يُعَلِي قَدْرَ وَاصِفِهِ قَلْدَتِي أَنْجَمَ الْجُوزَاءِ ، قَدْ نُظِمَتْ
 أَعْلَتْ حَمَلِي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ شَرَفٍ حَلَا بِسْمِي ، وَحَلَّاهُ ، فَمَنْ بِهِ أَلَا
 جَعَلْتُ نَظْمِي لَهُ ، ضَنًّا بِفَاحِرِهِ لِأَصْرِفَ الْعَيْنَ عَنْهُ ، إِنَّهَا أَبَدًا
 يَا كَاشِفَ الْغَمَّةِ ، اسْمِعْ دَعْوَةَ كَلْتِ مَنْ نَازَحَ الدَّارَ بِالْإِخْلَاصِ مُقْتَرِبِ
 إِذَا رَأَى بُعْدَهُ عَنْ بَابِ مَالِكِهِ لَوْ حَاوَلَ الْخَلْقُ جَمْعًا حَمَلَ مَالِكَ مِنْ

كَأَنَّمَا عَاتَبُوهُ ، وَهُوَ مُقْتَرِفُ^(٤) إِنْعَامِهِ فَوْقَ مَا تُثْنِي وَمَا نَصِفُ
 بِشُكْرِ إِنْعَامِهِ ، وَالشُّكْرُ يَخْتَلِفُ هَمَى فَفَضْرَتُهُ بِالْفَضْلِ تَعْتَرِفُ
 حَتَّى لَقَدْ أَمْنُوا فِي عَدْلِهِ وَكُفُّوا فَكَيْفَ لَا يَتَعَالَى قَدْرُ مَنْ تَصِفُ
 عَقْدًا ، فَحَقَّ^(٥) لِمِثْلِي الْفَخْرُ وَالشَّرَفُ بِهَا عَلَى الْمُشْتَرَى^(٦) أَسْمُو ، وَأَشْتَرِفُ
 بُشْرَى ، بِإِدْرَاكِ مَا يَرْجُوهُ وَالشَّنْفُ^(٧) وَقَايَةً ، وَوَقَاءُ الْجَوْهَرِ الصَّادِفُ
 عَنْ الْكَمَالِ بِرُؤْيَا النِّقْصِ تَنْصَرِفُ شُكْرًا ، تَظَلُّ لَهُ الْأَسْبَاعُ تَرْتَسِفُ
 حُرٍّ ، بِرَقِّكَ دُونَ الْخَلْقِ يَعْتَرِفُ يَكَادُ يَقْضِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسْفُ
 مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَى شُكْرِهِ ، ضَعُفُوا

(١) الغمائم : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء بظلفها : منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه .

(٣) العفاة : جمع عاف ، وهو مبالغ المبروف . (٤) اقترف الذنب : أتاه .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب السائرة .

(٧) الشنف : القرط .

كم فَاجَانِنِي مِنْ نُعْمَاكَ عَارِفَةً سَبِيلُهَا عَنْ سَبِيلِ الْوَعْدِ مُنْحَرِفُ
بِهَا عَنِ الْوَعْدِ كَبْرُ ، كُلُّهُ كَرَمٌ وَعَنْ تَقَاضِيهِ تِيهِ ، كُلُّهُ أَنْفٌ ^(١)
وَجَمْعُ شَمْلِي بِمَنْ لِي فِي ذُرَاكَ، وَإِنْ أَضْحَى لَهُمْ مِنْ نَدَاكَ الْبَرِّ وَالْأَطْفُ
مُجَدِّدٌ لِي مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ مَازَالَ لِي تَالِدٌ مِنْهَا ، وَمَطَرُ
فَإَبْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يُبْرِدُهُ سَوَاهُمُ ، وَحَشًا مِنْ ذِكْرِهِمْ يَجِفُّ
وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا بَعْدَى عَصَتِهِمْ ، فَفَاضَتْ أَدْمَعُ ذَرْفُ
لَهُمْ نَسِيجٌ ^(٢) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا مِنْ حَالِهِمْ غَيْرَ مَا اعْتَادُوا وَمَا الْفَوَا
فَنَظَرَةٌ مِنْكَ تُحْيِيهِمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ مَحْمُولَةً عَنْهُمْ الْأَنْقَالُ وَالْكُلْفُ
وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الْـ لَآتِي إِذَا اسْتَعْطَفْتَ لِلْفَضْلِ تَعَطُّفُ
وَاسْلَمْ ، لِتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا مَا اغْبَرَّتِ الْبَيْدُ ، أَوْ مَا اخْضَرَّتِ النَّظْفُ ^(٣)
وَالْقَى الْأَعَادَى بِجَدِّ لَا يَحْوُنُكَ إِنْ خَانَتْ غَدَاةُ اللَّقَاءِ الْيَهُنُ وَالرَّغْفُ ^(٤)

فَأَجَابَهُ :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ غَمْرًا ^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ ^(٦) أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفُ
فَإِنْ يُجِدُ فَلْتَةً فِي الدَّهْرِ ذُو أَدَبٍ تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الرَّخَّارِ ^(٧) يَغْتَرَفُ
تُجِيلُ فِكْرِكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، فَلَا تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ
بَعَثَتْ مِنْهَا هَدِيًّا ^(٨) فِي الْوَرَى ، جَلِيَتْ فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

(١) الأنف : الاستنكاف .

(٢) نسيج البياض : نسيج . غص بالبكاء . في حلقه من غير انتخاب . والإعوال رفع الصوت بالبكاء .

(٣) النظفة بالضم : الماء . الصافي .

(٤) الرغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل .

(٥) الغمر : الماء الكثير .

(٦) ترف ما : البثر : نزح كفة .

(٧) زخر البحر كعب : طلى وتماثل .

(٨) الهدى بكسر الهمزة وتشديد الهاء : العروس تهدي إلى زوجها .

عَذْرَاءَ ، تُبَيِّنُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا فَقَدْ أَفَادَتْ بِحَمَالٍ كُلِّ مَنْ يَصِفُ
بَعْثَهَا دِيمًا^(١) تُرَوِّى بِهَا عَطَشَ الصَّادِ^(٢) ، وَمَسْكُهَا فِي سِيرِهَا الصُّحُفُ
تُرَوِّى الْقُلُوبُ بِهَا بَعْدَ الْعُيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهُوَ يَرْتَشِفُ
أَلْهَتَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ أَجْمَعِ إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفُ^(٣)
حَسَنَاءُ تَبَرَّزَ فِي عَرْنِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنَ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفُ^(٥)
كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْغَنَ لَهَا مُجَبَّأً ، أَتَيْحَ لَهَا مِنْ حَامِيهَا شَيْفُ^(٦)
بَدَتْ لَنَا كَمَصَابِيحِ الظَّلَامِ . وَفِي رَأْيِ الْعُيُونِ أَتَنَّا الرُّوضَةَ الْأَنْفُ^(٧)
قَدْ بَرَهَنْتَ بِالْمَعَانِي عَنْ فَوَادِ شَيْحٍ قَدْ هَاضَمَ الْأَنْقِلَانَ^(٨) : الْهَمَّ ، وَالْأَسْفُ
إِنْ يَبْتَسِمُ غَلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتَبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفُ^(٩)
وَرُبَّ صَعْبٍ بَدَا ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ^(١٠)
وَكَمْ مَصَابٍ جَنَّتْهُ فَرْقَةٌ ، فَعْدَا سَحَابُهُ بِنَسِيمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ
وَكُرْبَةٍ تَزَعَّتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثَوْبِ الْهَمِّ مُلْتَحِفُ
وَحِينَ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا يَضُرُّ مَاضِي لَيَالٍ عَمَّهَا السَّدْفُ^(١١)
أَحْوَالُ ضَرْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَاضْحَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوَكِيدِهَا سَرَفُ
بَرَقَ الْبَاقِينَ يَدَا مَنَا إِلَيْكَ فَمَا يَغُرُّ خُلْبَهُ^(١٢) ، بَلْ سَحْبُهُ تَكْفُ
لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مَنَا بِاللَّجَاجِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١٣)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمَسُهُ ، لَا كَمَثَلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رُزْيِكَ لَا نَفَرَ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَقَانِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ نُطْفُ

(١) ديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم في سكون .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) أنف منه كفح : استنكف .

(٤) العرنين : الأنف .

(٥) الوطف محركة : كثرة شعر الحاجبين والعينين .

(٦) الروضة الأنف : التي لم ترع .

(٧) هاضم : كسره .

(٨) الخلق : الخلق والقدرة على التصرف .

(٩) وكف : قطر .

(١٠) السدف : الغلظة .

(١١) برق الخلب : المطمع الخلف .

(١٢) اختلف إليه : تردد .

(١٣) اختلف إليه : تردد .

وكم أراد الورى إحصاء فضلهم
لكنهم أخذوا ما تستقل به
نُدني الغنى من يدى ربّ المنى، فلنا
فى غيرنا نخجلُ الآمالُ إن قصدت
وقد قضى الله بى تأليف شملكم
وقد أساء لكم دهر مضى، فإذا
واقضوا ديون الهوى عن مده سلفت
وقد بدأنا، وتممنا، فهل أمل
نحن الزلال، دفعا غصة عرضت
وعندنا أهلكم، كانوا لعيشهم
كم جهد ذى الهم أن يبق تجلده
لا تأسفن على فقدان غيرهم
قوم إذا ارتفعوا قدراً، هووا همماً
ولا تقل إن تذكرت البلاد أسى
وإن دولتنا كنت الوحيد بها
عليكم بدع^(١) الآداب قد وقفت
من ناشد عهد ذاك الاجتماع لنا
هنيئاً أهلك مجد الدين، فانجع الأ

فى المكرمات فما سطاعوا، ولا عرفو
أفهامهم، وإلى حيث اتتهوا وقفوا
به المطى إلى أوطانهم تجف^(٢)
وما يخيب رجاء عندنا يقف
وكان ظنكم أن ليس ياتلف
شتم من الدهر فاقصوا، أو انتصفوا
تساكياً، وعلى المستأنف استلقوا
يدعو، وهل مدمع قد عاد يندرف^(٣)
لكم، فلها عرضنا لم تكن تقف
كانهم عنك ماغبوا، ولا انصرفوا
عليه، والهم فى استناره التلّف
نقى الملاوم^(٤) قد جرت له عطف
فالمكرمات لعمرى بينهم طرف^(٥)
بأن قلبك بالأشواق يختطف
فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف
فألها عنكم فى الدهر منحرف
فقد أضاعته منكم نية قذف^(٦)
فراح، وانظر، فإن الخير مؤتلف^(٧)

(٢) ذرفت العين ذمها : أسالته .

(٤) الطرفة : المال المستحدث .

(٦) نية قذف : بعيدة .

(١) الوجيب : ضرب من سيرة الخليل والإبل .

(٣) الملاوم : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الاتفاف : الاستئناف والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهْمِي مواهبه والشَّخْبُ جَامِدَةٌ فَمِنْ يَدَيْهِ مَصَابُ الْوَايِلِ الْغَدِقِ^(١)
نُعَاهُ تُطْلِقُ أَسْرَى ، ثُمَّ تَأْسِرُهُمْ لَهُ ، وَكَمْ مِنَّةٌ أَغْنَتْ عَنِ الرَّبِقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مَثَلُ مُنْهَلٍ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الصَّا لَجَ : يَرَوَى دَانٍ بِهِ وَسَمِيحُ
سُحْبٌ ، وَبَلَّهَا النَّضَارُ وَلَلَاءُ دَاءٌ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضُعُ لَّا بِهِ جَلَالًا ، يَرُوعُ ، ثُمَّ يَرُوقُ
سَطَوَاتٌ تُخَمِّسِي ، وَحَلْمٌ يُرْجِي وَنَوَالٌ طَلِقٌ ، وَوَجْهُ طَلِيقُ
مَنْ حَكَّى بِي وَرَقِ الْجَائِمِ فِي الْأَفْنَانِ : جِيدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيقُ
وَتَنَانِي كَشَدُوهِنَّ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرُوقُ
رَوْتُ الصَّدَقِ فِيهِ بَادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصِّدْقِ كُلُّ سَمِيعٍ يَتَوَقُّ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجِيُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِينَ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيقُ
أَسْمَعَتْ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّا هَا مَلِيكَ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ

(١) مصاب : انصباب . والوايل : المطر الشديد الضخم القطر . وغدت العين : غزرت . وجد : بجل .

(٢) الربق : جمع ربق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم كل عروة ربة .

(٣) أول هذه القطعة قوله : كم إل كم بلعي الحب المشوق . . . راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .

(٤) تاق إليه : اشتاق .

ملكٌ عادلٌ ، أنار به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشُّرُوقُ
 ما له عن جهاده الكُفْرَ والعد ل وفعل الخيراتِ شُغلٌ يعوقُ
 هو مثلُ الحُسامِ : صدرٌ صقيلٌ لَبَنٌ مَسُه ، وحدٌ ذَلِيقُ^(١)
 ذو أناةٍ يخالها الغرُّ إهما لاً ، وفيها حتفُ الأعادي المَحِيقُ^(٢)
 فاسلماً للإسلام كَهْفَيْنِ^(٣) ماطرَ زَ ثوبَ الظلامِ برقُ حَفُوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال في الشيخ أبي ترابٍ حَيْدَرَةَ بنِ نَجْمِ الكاتبِ ، وقد عَزَلَ عن الكتابةِ :
 أبا تُرابٍ ، دهرنا جاهلٌ يرفعُ للشُّبهِ ذَوِي الجَهْلِ
 كأنَّه المِيزانُ : يعلو به ذوالنَّقْصِ عن رُتْبَةِ ذِي الفضلِ
 وما يَمُتُّ العَزْلُ مَنْ لم يَزَلْ من فضله الباهر في شُغلِ

(٣١٣)

وقال :

أبا حَسَنِ في طَيِّ كُلِّ مَساءَةٍ من اللهِ صَنَعٌ للعبادِ جَمِيلُ
 كرهْتُ لك التَّرحالَ أَمْسَ ، ورجماً أفادَ الفتى طوَلَ المُقامِ رَحِيلُ^(١)
 وقد يكرهُ الشَّيءَ الفتَى ، وهو خَيْرُهُ له ، ويحبُّ الشَّيءَ وهو وَبِيلُ^(٢)

(٢) أحاذيه : أحاط به .

(١) ذليق : حاد . وصفه : جلاه .

(٤) يشير إلى قول الشاعر .

(٣) الكهف : الوند والمُلَبَّأ .

وتسكب عيناى الدموع لتجعدا

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

(٥) الويل : الوخم .

ولو لم تُقدِّ إِلَّا الْجِهَادَ ، فَإِنَّهُ ثَوَابٌ ، كَمَا نَصَّ الْكِتَابُ ، جَزِيلٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ جَارًا لِمَا جَدِّ يَجُودُ ، عَلَى عِلَاتِهِ ، وَيُيَسِّلُ
كَرِيمٍ كَالِئِلٍ^(١) الطَّرْفِ عَنْ عَيْبِ جَارِهِ وَمَا طَرَفُهُ عِنْدَ السَّوَالِ كَالِئِلٍ
شَرَى الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ ، لَا يَسْتَقِيلُ فِي شِرَاهُ ، وَلَا عِنْدَ الْبَيْعِ^(٢) يُقِيلُ
وَمَنْ كُمِعِينَ الدِّينَ ، أَمَّا جَنَابُهُ فَرَحْبُ ، وَأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيلُ
إِذَا وَرَدَتْ آمَالُنَا بِحَرِّ جُودِهِ صَدَرْنَ رَوَاءً^(٣) ، مَا يَهِنُ غَلِيلُ
فَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ ثُمَّ بِجُودِهِ فَإِنِّي بِمَا أَمَلْتُ مِنْهُ كَغَفِيلُ

(٣١٤)

وقال في نصر بن الأفضل^(٤) :

يَا مُسْتَقْبِلَ النَّبِيِّ فِيمَا تَجُودُ بِهِ وَمَنْ مَوَاهِبُهُ كَالْعَارِضِ^(٥) الْهَاطِلِ^(٦)
وَمَنْ إِذَا جَادَ بِالْذُّنْيَا لِأَمَلِهِ قَالَتْ مَعَا [رَفُهُ]^(٧) حَاشَاكَ مِنْ بَحَلٍ
وَمَنْ إِذَا جَرَّدَ الْبَيْضَ الصَّوَارِمَ فِي السَّهْمِجَاءِ [أَسْكَنَهَا]^(٨) فِي الْهَامِ وَالْقَلَلِ^(٩)
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ فِي الْخَطْبِ الْمَلَمَ ، فُذُّ وَلَيْتَ يَنْصُرُ عَادَ [الْخَطْبُ]^(٧) يَخْضَعُ لِي
وَبَعْدُ ، لِي فِيكَ آمَالٌ ، وَظَنِّي فِي عُلَاكَ [أَنَّكَ]^(٧) تُوفِي بِي عَلَى أَمَلِي^(٩)

(١) كل بصره : نبا .

(٢) بايعه مبايعة وبياعا : عارضه بالبيع . وأقلته : فسخته . واستقاله : طلب إليه أن يقبله .

(٣) روا . : جمع رِيَان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق . (٦) الهطل : تنابع المطر العظيم المتعطر .

(٧) سقط بالأصل واحمل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمعنى .

(٨) القلة : أعلى الرأس . والحامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أشرف .

(٣١٥)

وقال من قصيدة :

فَتَيَّ التَّجَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ ، وَذَحْرَى إِنْ غَالَ وَفَرَى غَوْلُ^(١)
بِعَلَاهُ أَسْمُو ، وَمِنْ فَضْلِ مَا نَسُوْلُ أَقْضَى فَرَضَ الْعُلَا وَأُنِيْلُ
مَلِكُ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيْدَ وَالْعَهْدَ ، وَيُنْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنِيْلُ
مُلْكُهُ مَلِكُ رَحْمَةٍ ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ
ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
وَعَلَا خَامِلٌ ، وَحَامَى جَبَانٌ وَوَفَى غَادِرٌ ، وَجَادَ بَنِيْلُ
وَحِمَتِ الْبِلَادِ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا سَهْلٌ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
وَقَسَمْتَ الْقَرْنَجَ بِالْغَزْوِ شَطْرَيْنِ : فَهَذَا عَيْنُ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
وَالَّذِي لَمْ يَحْنُ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْ فِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ مَجْهُولُ
مَثَلِ الْخَوْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
فَالرَّبِّي عِنْدَهُ جِيوشٌ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَسْطُولُ
وَإِذَا مَا أَغْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجَعُ فِي الْحُلْمِ سَيْفُكَ الْمَسْلُولُ
فَابْقَ لِلْسَّالِبِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرِجِ حَنْفًا ، مَا عَقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
بَيْنَ مُلْكٍ يَدُومُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالٌ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحُولُ^(٦)
ثَابَتَ الدَّسْتِ فِي اعْتِلَاوٍ وَجَدُّ وَعَطَايَاكَ فِي أَلْبَادٍ تَجُولُ
بَالِغَ الْعَبْدُ فِي النَّيَابَةِ وَالتَّحْرِيطِ ، وَهُوَ الْمَقْوَةُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : أهلكه . والوفر : النقى . (٢) العاني : الأسير .

(٣) حان : هلك . (٤) أغنى : نام نوما خفيفا .

(٥) أقض المضعج : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . (٦) تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابَتْهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفٌ ظَامِئَاتٌ ، وَبِالصَّهِيلِ خُيُولٌ
وَرَأَى النَّفَعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضَ بِالْحَيُوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأُسْدِ جَيْشٌ سَائِرٌ فَوْقَهُ مِنَ الشَّمْرِ غِيلٌ^(١)
وَإِذَا عَاقَتْ الْمَقَادِيرُ فَالَّلهُ إِذَا حَسِبْنَا ، وَتَنَعَمِ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زِدْنِي عُلَا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِى^(٢) حَسْبَى مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالٍ
أَغْنَيْتَ نَفْسِي وَيَدَيَّ ، فَاسْتَوَى حَالِي فِي الْعَفَةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَتَدَى سَيِّئِهِ^(٣) يُرْجَى ، وَمِنْ فَضْلِكَ إِفْضَالِي
وَلَمَّا أَبْنَى الْعُلَا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلُهَا يَبْغِيهِ أَمْثَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْجَوْرُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِزٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الرَّجْجِ^(٤) صَدْرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : الشعر الكثير الملتف ، والأجعة . والسمر : الرماح . (٢) اللهى : العطايا .

(٤) الرج : الحديدة أسفل الرمح .

(٣) السيب : العطايا .

(٥) عامل الرمح : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَضَمٍ له من عَزَمِه سيفٌ وغى مخْذَمٌ^(١)
 حتَّى إذا أنطقَكَ العدلُ في جلاله والخلقُ الأكرمُ
 قل لأمير المسلمين الذى به استنار الزَّمَنُ المَظْلَمُ :
 أنت الذى ما جُرتَ يوماً ، ولا جرى على سيفكَ ظُلماً دمُ
 ساويتَ فى عدلكَ بين الورى حتَّى تساوى الزُّجُ واللَّهْمُ^(٢)
 وقُتتَ فى الله احتساباً فقد وقُتتَ^(٣) من يطغى ومن يُجرمُ
 وكلُّ أهلِ الشَّامِ أوسعتهم عدلاً ، فإلى دونهم أُجرمُ !
 أطعتَ فى حكمك فى الهوى وما كذا يفعلُ من يحكمُ
 من ينصفُ المظلومَ منّا إذا كنتَ ، وحاشاك ، الذى يَظلمُ
 وأنتَ ظَلُّ الله فى أرضه تردعُ من يَظلمُ أو يغتمُ^(٤)
 فلا يشبُّ أجرَ الجهاد الذى فُزتَ به دونَ الورى مائِتمُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتك يا عَمَرَ المَكْرُمَاتِ لأميرِ عِراءَ ، ومهممٌ ألمُ
 وأنتَ السَّريعُ إلى مَنْ دعاكَ بذلكَ قضى لك إرثُ الكرمِ
 وإن نامَ حظى عما عهدتُ فإن اهتمَّ لك بى لم يَنَمِ

(١) مخْذَم : قاطع . (٢) اللهزم : القاطع من الأسنة . (٣) رقة كوعده : قهره وأذله .
 (٤) الغنم : الظالم .

(٣٢٠)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ أمرى فى قضاء فرضك عما فات من خدى
مشيتُ أحمِلُ أثقالَ النّساءِ إلى جنابك الخَضِلِ^(١) الأَذافِ كالْقَلَمِ

(٣٢١)

وقال من قصيدة مضى أولها^(٢) :

خُلِقْتُ تَحِلّى به سَلَمَانُ^(٣) بِذِكِّكَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْغُرِّ يَا ذَا الْبَاسِ وَالنَّعَمِ
مَوْلَى عِلَاقَ ، وَكَمْ قَدَعَادَ شَانُهُ^(٤) بِيَأْسِهِ مِنْ مَلُوكِ الْعُرَبِ وَالْعَجَمِ
يُقَرُّ بِالْمَلِكِ لِلْمَلِكِ الَّذِي نَشَرَ الرَّحْمَنُ أَيَّامَهُ ظِلًّا عَلَى الْأُمَمِ
لِلصَّالِحِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ بِحَبِيدِهِ طَوْقٌ مِنْ غَيْرِ مُنْقَصِمِ
حَمَى ذَوِيهِ ، وَكَمْ مِنْ بَاسِطٍ لِيَدٍ لَوْلَا حِمَاهُ ، وَكَمْ مِنْ فَاغِرٍ لِقَمِ
وَذَاذَ عَنْهُمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ إِذْ كَاثَبَتْ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضْعِ
وَنَاهُمْ مِنْ تَوَالِي سُبْحٍ نَائِلُهُ مَا نَالَ نَبْتَ الثَّرَى مِنْ وَابِلِ الدَّيَمِ
يَا حَاسِدِيهِ ، اكْظُمُوا ، جَرَّاتِكُمْ فَأَنَا الذِّئْبُ — ذِيرٌ مِنْ أَخْذِهِ ، إِنْ هُمْ ، بِالْكُظْمِ^(٥)
إِيَّاكُمْ عَثَرَاتِ الْبَغْيِ ، إِنْ بَلِ لِمَنْ يَبْغِيهِ يَوْمًا يُوَارَى الشَّمْسُ بِالظُّلَمِ
حَذَارٍ مِنْ مَصْرَعِ الْبَاغِينَ قَبْلَكُمْ فَالسَّيْفُ مَنْصَلَتْ فِي كَفِّ مُضْطَلَمِ^(٦)
وَفِي تَحْمِيمٍ وَمَنْ وَالَاهِ مَوْعِظَةٌ إِنْذَارُهَا يُسْمَعُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّجَمِ^(٧)

(١) الخضل : كل شئ ، ندى ترشف نداه .

(٢) مطلع القصيدة : أجب دواعى الهوى بالأدمع السجم ... راجع القطعة (٩٠) ص ٤٤ .

(٣) سلمان الفارسي : صحابي جليل .

(٤) شاد فلانا : أصابه بالعين ، وحسده .

(٥) الجرة : ما يفيض به البعير ، فياكله ثانية . وكظم البعير : أمسك عن الجرة . والكظم محرّكة

الخلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٦) السيف المنصلت : الصقيل الماضي . واصطلمه : استأصله . (٧) الرجم : القبر .

تَوْهَمُوا أَنَّ ضَارِي الْأَسَدِ يَنْفِرُ عَنْ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍّ^(١)
مُغَامِرٌ تَرَهَّبُ الْآجَالُ سَطَوَتَهُ
يَسْتَقْبِلُ الْحَرْبَ بَسَامًا، وَقَدْ كَثُرَتْ
يَلْقَى الْأُلُوفَ وَيَجْبُوها ، فَنِي يَدِهِ
مَا غَرَّكُمْ بِصَدُوقِ الظَّنِّ يُخْبِرُهُ الرَّ
بِرَى الضَّغَائِنَ فِي قَلْبِ الْحُسُودِ لَهُ
فَإِنْ سَطَا عَنْ يَقِينٍ ، أَوْ عَفَا كَرَمًا
أَدْنَاكُمْ ، فَاعْتَلَيْتُمْ عَنْ ذَوِي رَحِمٍ
وَعَمَلَكُمْ سَبَبُ جُودٍ مِنْهُ نَبَّهَ ذَا
كَمْ غَمَّةٌ كَشَفَتْ عَنْكُمْ صَوَارِمَهُ
لَوْلَاهُ ، لَا زَالَ عَنْكُمْ ظِلُّهُ أَبَدًا ،
إِنْ رَابَهُ مِنْكُمْ أَمْرٌ ، فَلَا وَزَرَ
يَا مَالِكًا مَالِكًا رَقِيَ بِأَنْعَمِهِ
مَا الشُّكْرُ كُفِّ عُلَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَنْ
وَإِنْ أَكُنْ كُزْهِيرٍ فِي النَّوَاءِ ، فَقَدْ
وَإِنْ تَكُنْ مِدْحَى وَقَفًّا عَلَيْكَ فَلَا
فَنِي بِمَيْتِكَ مَنِّي صَارُمٌ خَدَمٌ

عَرِيَّةَ لِحُسُودِ الْبُومِ وَالرَّخِمِ
مِنْ بَاسِهِ ، غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا بَرِمٍ
وَتَفَرَّقَ^(٢) الْأَسَدُ مِنْهُ فِي حِمَى الْأَجَمِ
بِهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ أَنْبَاهِهَا الْأُرَمِ^(٣)
مِنْ الْعَطَا وَالسُّطَا بِجَرَائِدِي وَدَمٍ
أَيُّ الصَّحِيحِ بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ سَقَمٍ
تَدْبُ مِثْلَ دَيْبِ النَّارِ فِي الْفَحَمِ
فَإِنَّهُ خَيْرُ ذِي عَفْوٍ وَمُسْتَقِيمٍ
وَحَاطَكُمْ ، فَاعْتَدَيْتُمْ مِنْهُ فِي حَرَمٍ
خُضُولِ مِنْكُمْ ، وَأَغْنَى كُلِّ ذِي عُدَمٍ
وَلَمْ يَزَلْ كَاشَفَ الْأَوَاءِ^(٤) وَالْغُفَمِ
عَلَيْتُمْ كَيْفَ تَأْتِي بَخَاةُ النَّقَمِ
لَكُمْ ، وَلَا عَاصِمٌ مِنْ سِيلِهِ الْعَرَمِ^(٥)
وَمِلْكٌ مِثْلِي لَا يُبْتَاعُ بِالْقِيمِ
وَإِنْ تَسَهَّلَ لِي مُسْتَوْعِرُ الْكَلَمِ
عَلَوْتُ مَجْدًا وَجُودًا عَنْ مَدَى هَرَمٍ^(٦)
تَظُنُّ أَنْ ثَنَائِي مُتَهَيَّ هَمِي
يَفْرِي ، إِذَا كُلَّ حَذِّ الصَّارِمِ الْخَدَمِ^(٧)

(٢) فَرَقَ : فَرَعَ .

(١) الْحَبُّ : الْجَلْبَةُ وَالْإِصْطِرَابُ .

(٣) أَرَمَ مَا عَلَى الْمَائِدَةِ : أَكَلَهُ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا . وَالشَّى : شَدَّةُ .

(٤) الْأَوَاءُ : النِّقَّةُ . (٥) الْعَرَمُ : الشَّدِيدُ .

(٦) هَرَمٌ : مَدْرُوحٌ زَهْرِيٌّ أَيْ سَلْبِي . (٧) يَفْرِي : يَشُقُّ . وَالْخَدَمُ : الْفَاعِلُ .

في حده حنف من ناواك وهولن
 فمر بما شئت : ألقى الأمر ممثلاً
 مجرباً طاعتي تحريب محتبر
 فبدل نفسي عندي في رضاك ، فلا
 وحق ذلك لمن أنشئت أسرته
 صرفت صرف الليالي دون غشمهم^(١)
 وأوصلتهم صلات من نذاك إلى
 وما الذي نلت من نعمك غاية آمالي ، ولا منتهى حظي ولا قسمي
 نيل العلا دون ما أرجوه منك ، كما
 شرفتني ، فاعتلى قدرى ، وأصحب لي^(٢)
 وطئت^(٣) عن يساميني ، ففخرهم
 لله در طروس ضمنت درراً
 أضحت على مفرق تاجاً ، وفي عنق
 لفظ أرق من الشكوى ، وألطف مل عتبي ، وأشهى من الإبلال في الألم
 جرت لطافته من قلب سامعه
 فصاحة أسمعت من كان ذا صمم
 ووشى خط حكي زهر الربيع سرت
 لو كان حاله لون الشباب لما

والأك منبجس بالبارد الشيم
 بهمة ما اعترتها فترة الحمم
 إن التجارب تجلو شبهة التهم
 حرمة ، بعض ما أنويه من خدمي
 من بعد ما عدتهم من ناجر^(٤) الرمم
 وكف بأسك عنهم كف مهتضم
 أرض الشام ، لقد أغربت في الكرم^(٥)
 أن الغنى دون ما تحبوه من نعم
 دهرى ، وأصبح فيأرمت من خدمي
 أن يبلغوا ، إن سمت هماتهم ، قدمي
 أكرم بمتسر منها ومُنظم
 تميمة من عوادي الخطب والعدم
 مجرى الهوى من فؤاد المغرم السدم^(٦)
 وحسن معنى أفاد الفهم ذا اللمم^(٧)
 أكممه عن بديع الفضل والحكم
 حالت نضارته بالشيب والهرم

(١) الناجر : إلى المتفتت . والرمة : العظام .
 (٢) أغرب : ألقى بالعريب .
 (٣) طاولني فظله : كنت أطول منه .
 (٤) الرمم : القناد .
 (٥) المدم محركة : ألهم أومع ندم ، أو غبط مع حزن .
 (٦) اللمم : الجنون .

يزيد سامعها تكرارها شغفا بها ، وكم جلب التكرير من سأم
 يأمجد الفضل والإفضال إذعدما حتى لقد أصبحا نارين في علم
 مملوكك الأصغر القن المبالغ في الإخلاص ، والسير مقدود من الأدم^(١)
 لو نال ما يتنى من مشيئته مشى إليك خضوعا مشية القلم
 وكان كتب هذه القصيدة المتقدمة إلى الملك الصالح جواباً عن قصيدة نونية.
 كتبها إليه ، وهي هذه :

وردت إلينا منك "مجد الدين" بيضاء تخطر في التياب الجون^(٢)
 حررت منها حرة برزت لنا حسناً كنظم اللوائ المسكون
 خرساء صامتة ، ولكن أخبرت منها الفصاحة عن لسان حزين
 غراء ، يلقي الشك عند قدومها فتظل تكشفه بصبح يقين
 تشكو صبايتك التي آلت إلى داء تضرم^(٣) في الفؤاد دفين
 أبدت إلى الكرم الباب^(٤) تمسكاً بندى كفيل بالنجاح صمين
 قد علمت سمر القنا أخلاقه فلذلك منها شدة في لين
 إن من لم يتبع صنائع جوده مناً ، وليس نداه بالممنون^(٥)
 تأتي القوافي ، وهي أبكار له قصدا ، فتخجل للأيدى العون^(٦)
 حتى إذا وفدت علينا لم تجذ بابا لعمر ك مغلقاً من دوني
 وجوابنا هذا عقيب هلاك من ورد المنيّة راتم العرين^(٧)
 أمست أكاذيب المني تقتاده حتى رمته إلى حضيض الهون
 إذ ظن أنا مثل من عن ملكه قد راح منه بصفقة المغبون^(٨)

(١) الأدم : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . (٢) الجون : الأسود يريد الخط .
 (٣) تضرم : اشتد حرقه . (٤) الباب : الخالص .
 (٥) من : أنتم . والمق : الاثنان . والممنون : المقطوع . (٦) العوان من النساء : التي كان لها زوج .
 (٧) العرين : الألف . (٨) المغبون : المحذوع .

حَلَّى حَلَالَتَهُ ، وقال انفسه :
 أَمَلُّ لَعْمُكَ زَيْنَتُهُ لِعَيْنِهِ
 حتى إذا شيطانُهُ قال : ابْدِرْ
 ورأى بأن الحشد صابِرٌ عِزَّهُ
 نَدِبَتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا
 مِنْ آلِ رُزَيْكَ الَّذِينَ بِجُودِهِمْ
 صَحِبَتْ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِذَجٍ^(١)
 وإذا بدا أَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيًا^(٢)
 لم يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَ مَتَخِطًّا
 فَلَجَا مِنَ الْحَشْدِ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ
 وَأَتَوْا بِرَأْسِ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ
 أَسْرَ ابْنِهِ ، وَتُوزَعَتْ أَمْوَالُهُ
 وَعَقِيبُهُ فَتَحَّ الْإِلَهُ بِأُطْفَافِهِ
 مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَرَأَى نَفْسَهُ
 وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ
 قُرْنُ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ ، فَأَشْبَهُوا
 وَالْعِدَّةَ الْعَظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي
 بِصَوَارِمٍ قَدْ أَطْلَعَتْهَا لِلْوَعَى

مَنْبَأُكَ مِنْ صَرِفِ الرَّدَى^(١) يَكْفِي
 خُدَعُ الْغُرُورِ ، وَسَكْرَةُ الْمَفْتُونِ^(٢)
 فِي سُرْعَةٍ لِلْمُلْكِ وَالْتِمَاقِينَ
 مِنْ أَنْ يَذَالَ^(٣) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَحْصُونٍ
 لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بَعِيرِينَ^(٤)
 وَبِبِائِهِمْ خَلَطُوا مَنَى مَعْنُونِ^(٥)
 يَجْرِي إِلَى الْهَيْجَلِ بَغِيرِ قَرِينٍ
 جَلَّتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ الْمِيعَرِينَ
 بِدِمَائِهِ ، كَتَخِطُّ الْمَخْنَرِينَ
 عَدْدًا ، لِحَصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمَحْصِينٍ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلُو الْقَفَا بَرَزِينَ
 حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصَّيْنِ
 بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الَّذِينَ
 غَرَفًا ، وَمَجْرُوحٍ ، وَبَيْنَ طَعِينٍ
 بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الطَّبَا^(٨) بِضَيْنِ
 خَلَطَ الْقَسَاوِرِ^(١) بِالطَّبَاءِ الْعَيْنِ^(١٠)
 تَضَفُّو^(١١) مَلَابِسُ سَرْدِهَا الْمَوْضُونِ^(١٢)
 عِنْدَ الصَّقَالِ لَهَا أَكْفُ قِيُونِ^(١٣)

- (١) صرف الردى : نوايه . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . والشرى : جبل بهامة كثير السباع . (٥) المنون : الموت .
 (٦) السميزع : السيد الكريم الموطن الأكثاف والشجاع . (٧) داجيا : مظلا .
 (٨) الطبا : جمع نابة وهي حد سيف أو سنان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسورة : الأسد .
 (١٠) العين : جمع عينا . وهي حسنة العينين واسعتها . (١١) الضفوف : السيوخ والكثرة .
 (١٢) وطن الشيء : نعى بعضه على بعضه . والدمرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق . (١٣) القين : الخزاز .

فلا خذهم في كلِّ قلبٍ موقعٌ من دُونِهِ في القَدَرِ فتَحُ حصُونُ
والطَّوْدُ^(١) لا يُجِئِي امرأَةً مِنْ حَبْنِهِ^(٢) فَلَذَلِكَ لَا يُجِئُهُ عُلُوُّ سَفِينِ
والشُّكْرِ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَعَمَدُهُ متواصلٌ مِنِّي لما يُؤَلِّسُنِي
فلو اتَّيَّ رَمْتُ السَّمَاءِ بِمَحْوِلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَطَلَّتْهَا بِيَمِينِي
في كُلِّ أَرْضٍ لِي ثَنَاءٌ ، لَمْ يَزَلْ يُعْتَادُ مِنْهُ نَفْحَةُ النَّسْرِينَ^(٣)
ولطالما^(٤) أُولَى الْأَمِيرِ يَدًا إِلَى قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرَةٍ مَشْحُونِ
مَنَا أَنْعَلَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ فِي وَدْنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِينِ^(٥)
وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْمَقَالِ ، وَشَأْنُهُ فِي نَظْمِهِ وَالشَّعْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَأَيْنَا طَابُ افْتِكَكِ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
لَمْ يَبْقَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَجَدُ^(٦) فَاغْتَنِمَ فَرَحًا أُتِيحَ لِقَلْبِكَ الْحَزُونِ
وَاسْأَلْهُمْ إِنْ شئتَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَابْتُئِمْهُمْ مِنْ شَجَرِكَ^(٧) الْمَخْزُونِ
وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَتُونِكَ مَلَبَسًا عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فُنُونِ

(٣٢٢)

وقال :

يَا مُنْعَمًا ، مَـوَرَدُ إِحْسَانِهِ سَهْلٌ ، فَمَا فِي مَنَةِ^(٨) مَنْ^(٩)
قَدْ اقْتَدَى بِالْمُزْنِ^(١٠) فِي جُودِهِ بَلْ يَنْدَاهُ يَقْتَدِي الْمَزْنُ
بَسَطْتَ كَفًّا فِي النَّدَى وَالْوَعَى مَا كَفَّهَا بُخْلٌ وَلَا جُبْنُ
فَاسْلَمْ مِنَ الدَّهْرِ ، فَتَبَّهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ مَا جَدِ ضِغْنُ^(١١)

(١) الطود : الجبل . (٢) الحين : الحلاك . (٣) النسرين : ورد .
(٤) الشطر الأول في الأصل هكذا : ولعلنا أول الأمير بهذا إلى... ولعل ما اخترناه أقرب إلى الصواب .
(٥) الظنين : المتهم . (٦) الوجد : الحزن . (٧) الشجو : الحزن .
(٨) منه : إغنامه . (٩) مننت عليه : عددت ما قدمه إليه من نعم . (١٠) المزن : المسحاب .
(١١) الضغن : الحقد .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الراء

(٣٢٣)

أظنَّ العِداَّ أَنَّ ارتحالي ضائري ضلّالاً لما ظنّوا . وهل يكسد التبرُّ
وما زادني بُعدي سوى بُعْدِ هَمَّةٍ كما زاد نُورا في تباعده البدرُ
ولو كان في طولِ الثَّواءِ فضيلةٌ لما انتقلت في أفقِها الأنجمُ الزهرُ
ولو لزمت أعمادها البيضُ ما انجلت بها غمراتُ الحربِ ، واتضح النَّصرُ
وهل في ارتحالي عن بلادٍ تنكرت لمثلَيَّ أو للسّاكنينَ بها نخرُ
وإنّ بلاداً ضاق عني فضاؤها لأرحبُ من أكافِها للعُلا فترُ
وأرضاً نبّت بي ، وهى أهلةُ الرُّبا هى القفرُ ، لا ، بل دُون وحشتها القفرُ
وهل يُنكرُ الأعداءُ فضلي ، وإنّه لأسيرُ ذكرا أن يواريه الكفرُ^(١)
ألست الذى ما زال كهلاً ويافعا له المكرماتُ الغرُ ، والنائلُ الغمرُ^(٢)
وخائضَ وقعاتٍ ، بوارقها الطُّبا ووابلُ هاتيك البروقِ دمٌ همرُ^(٣)
يهولُ الردى منى تفحّمي الردى ويعتاده من جاشى الرابطُ الذعرُ
ولو حكمت بينى وبينهم الطُّبا رضيتُ بما تقضى المهندةُ البترُ^(٤)
ولكن تولّى الحاكمِ قضاءنا فكان أبو موسى^(٥) لنا ، ولهم عمرو

(١) الكفر : السّر والتغطية . (٢) النائل : ما ناله . والغمر : الكثير .

(٣) همر : منهبر . (٤) البتر : السيوف القاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص المحكمين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهرُ ويخدمنا في ملكا العز والنصر
وهى طويلة ، يذكر فيها وقائعهُ وسرايأهُ إلى الفرنج ، وتسيره الجيوش ،
وأسماء مُقدِّمها ، ويصفُ نَجْدَتهم ، فوقف عليها الملكُ العادلُ رحمه الله ، ونحرج
على أمره إلى الأمير مجد الدين بالإجابة عنها ، بمعانٍ وقعت الإشارةُ إليها .
فقال هذه القصيدة ، وذكر فيها بعض الفُتوحات :

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمرُ	لتحيّا بنا الدنيا ، ويفتخر العصرُ
وتخدمنا الأيامُ فيما نرؤمهُ	وينقاد طوعاً في أزمّتنا ^(١) الدهرُ
وتخضع أعناقُ الملوك لعزنا	ويُرهبها منا على بُعدنا الذكرُ
بحيث حللنا الأمن من كلِّ حادث	وفي سائر الآفاق من بأسنا دُعرُ
بطاعتنا لله أصبح طوعنا الأ	نام ، فما يُعصى لنا فيهم أمرُ
فأيمكنا في السلم سُحبُ مواهب	وفي الحرب سُحبٌ وبلهن دمُ همُر ^(٢)
قَضَتْ في بنى الدنيا قضاءَ زمانها	فسرَّ بها شطرٌ ، وسيء بها شطرُ
وما في ملوك المسلمين مجاهدٌ	سواناً ، فلا يأنيه حرٌّ ولا قُرُ
جعلنا الجهادَ همناً واشتغالنا	ولم يُلْهِنا عنه السماعُ ولا الخمرُ
دماءُ العدا أشهى من الرَّاح ^(٣) عندنا	ووقع المواضي ^(٤) فيهمُ النَّأى والوترُ
نواصلهم وصل الحبيب وهم عدا	زيارتهم ينخطُّ عنّا بها الوزرُ

(٢) همرة : مصبه . والويل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٤) المواضي : السيوف البائرة .

(١) أزمة : جمع زمام .

(٣) الرّاح : الخمر .

وفي سجننا ابن الفُنش خيرُ مبلوكهم
أسرناه من حصن العُرَيْمَةِ^(١) راعِماً
وسل عنهم الوادى بإقليس^(٢) إِنَّهُ
هم انتشروا فيه لرد رَعِيلنا^(٣)
ونحنُ أسرنا الجوسلين^(٤) ولم يكن
وكانَ يظن الغرُّ أَنَّا نبيعه
فلما استبحنا مُلكه وبلاده
كَلَمناه، نبغى الأجرَ في فَعِلنا به
ونحنُ كسرنا البغدوين^(٥) وما لمن
فسله اللعين الحائن^(٦) الذى
وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها
أفى عُدرِهِ بالخيلِ بَعْدَ يمينه
دَعته إلى نكت اليمينِ وعُدرِهِ
وقد كان لون^(٧) الخيلِ شَتَّى فأصبحت
توهمُ عجزاً حَلَمنا وأانتنا
فلما تَمَادى غِيههُ وضلالُهُ
برزنا له كاللِثِّ فارقَ غِيَلَهُ
وسرنا إليه حينَ هَابَ لقاءنا

وإن لم يكن خيراً لديهم ولا يرُّ
وقد قُتِلَ فرسانُهُ فهمُ جُزُرُ
إلى اليومِ فيه من دمانهم عُدرُ
فن تُربه يومَ المعاد لهم نَشُرُ
ليخشى من الأيامِ نائبةً تَعُرُو
بِمَالٍ ، وكم ظنُّ به يهلكُ الغرُّ
ولم يبق مالٌ يُستباح ولا تُغرُّ
وفي مثل ما قد نالهُ يُحزُّ الأجرُ
كسرناه إِبْلالُ يُرجى ولا جبرُ
له الغدرُ دينٌ : ما به صنعَ الغدرُ
فلم يُنجِه برُّ ، ولم يَحْمِه بحرُ
بِإنجياله بين الأنامِ له عُدرُ
بذمتِهِ النَّفسُ الخسيسةُ والمكرُ
تُعَادُ إلينا ، وهى من دَمِهِم شَقَرُ
وما العجزُ إلّا ما أتى الجاهلُ الغمرُ
ولم يَنْتِه عن جهله النَّهى والزَّجرُ
وعادته كسرُ الفرائسِ والمَصْرُ^(٧)
وبأن له من بأسنا البؤسُ والشرُّ

(١) اسم موضع . (٢) جزر : تخفف جزر ضميرين وهى جمع جزور وهى الناقة المهزورة : الذبيحة

(٣) الرعيل : الجماعة المتقدمة من الخيل . (٤) أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٥) الحائن : الأحق . (٦) فى الحاشية قلاعن ولده مرهف «وكانت شيات الخيل شتى ...» .

(٧) المصّر : الكسر .

وثِيرُ حشَايَانَا الشَّرُوحُ، وَقُصْنَا الدُّرُوعُ ، وَمَنْصُوبُ الخِيَامِ لَنَا قَصْرُ
 ترى الأرضَ مثلَ الأفقِ ، وهى نجومُهم
 وهمُ الملوكِ البيضُ والشُّمرُ كاللثمي^(١)
 صوَارِمُنَا حمرُ المضاربِ من دَمِ
 نسيرُ إلى الأعداءِ^(٢) ، والطيرُ فوقنا
 فبأسُ يذوبُ الصَّخْرُ من حرِّ ناره
 وجيشُ إذا لاقى العدوَّ ظنَّتهم
 ترى كلَّ شَهِيمٍ فى الوعى مثلَ سَهِيمِهم
 هم الأسدُ من بيضِ الصَّوَارِمِ والقنا
 يرونَ لهم فى القتلِ خُلْدًا ، فكيف بالبقاء لقوم قتلهم عندهم عُمُرُ
 إذا نُسِبوا كانوا جميعاً بنى أبٍ فطعنهم شَزْرُ ، وضربهم هَبْرُ^(٣)
 يظنون أن الكفرَ عصيانُ أمرِنَا فما عندهم يوماً لإِنْعَامِنَا كُفْرُ
 لنا منهم إقْدَامُهُمْ وولائُهُمْ ومنا لهم إكرامُهُم والندى الغمرُ
 بنا أيدُ الإسلامِ ، وازدادَ عزَّةُ وذل لنا من بعد عزَّتِهِ الكُفْرُ
 قتلنا البرنسَ ، حينَ سارَ بجَهِله نَحَفُ به الفُرسَانُ والعسكرُ الحَجَرُ^(٤)
 ولم يبقَ إلَّا مَنْ أَمْرَدَ ، وكيف بالبقاء لمن أخنت عليه الظُّبَا البُتْرُ^(٥)

(١) الدمي : جمع دمية وهى الصورة المنقشة من الرخام . والتمثال . (٢) فى هامش الديوان : الهجاء .

(٣) انجيس : قنجر . (٤) الأدم من الظباء : المشربة بياضاً . والأعقر من الظباء : ما يعلو بياضه حرة .

(٥) طعن شزر : شديد ضرب . وضرب هبر : يسقط الحبر والهبرة : بضعة لحم لا عظم فيها .

(٦) الحجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف القاطعة .

فولّي يبارى عاترات سِهَامَنَا وفي سَمْعِهِ مَنْ وَقَعَ أَسْيَافِنَا وَقُرْ^(١)
 وَخَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ فَشَطَرُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرُ لَهُ أَسْرُ
 وَمَا تَنْتَنِي عَنْهُ أَعْنَةُ خَيْلِنَا وَلَوْ طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
 إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوْسِلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا وَنَرْجِعَ الْقُدْسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ
 كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرُ
 إِذَا اسْتَغْلَقَتْ شُمُ الْحَصُونِ فَعِنْدَنَا مَفَاتِحُهَا : بَيْضُ ، مُضَارِبُهَا حُمْرُ
 وَإِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ وَرُمْنَاهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
 وَأَضْحَى عَلَيْهِ لِلْسَّهَامِ وَاللَّظْبِ وَوَقَعَ الْمَذَاكِي^(٥) الرُّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْقَطَرُ
 بَنَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهْرُ
 فَتَحْنَا الرُّهَا^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا حَمَاهَا ، وَسَنَى مُلْكُهَا لَهَا الْخَيْرُ^(٧)
 جَعَلْنَا طُلَى^(٨) الْفُرْسَانَ أَغْمَادَ بَيْضُنَا وَمَلَكًا أَبْكَارَهَا الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
 وَنَحْنُ فَتَحْنَا تَلَّ بَاشِرٍ^(٩) بَعْدَهَا وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكْسَرَةُ الْغُرُ
 أَتَى سَاكِنُوهَا بِالْمِفَاتِيحِ طَاعَةً إِلَيْنَا ، وَمَسَرَاهُمْ إِلَى بَابِنَا شَهْرُ
 وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٍ ذُو مَهَابَةٍ وَلَا كُلُّ سَاحِجٍ يَسْتَتِبُّ لَهُ الْأُمُرُ
 وَتَلَّ عِرَازٍ^(١٠) ، صَبَحَتْهُ جُيُوشُنَا فَلَمْ تَحْجِهْ عَنَّا الرِّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
 وَمَلْنَا إِلَى بُرْجِ الرَّصَاصِ^(١١) وَإِثْنَهُ لَكَالْسِدِّ ، لَكِنِ الرَّصَاصُ لَهُ قِطْرُ^(١٢)

(١) العائر : كل ما أعل العين ، والوقر : نقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان : هلك .

(٥) المذاكي من الخيل : التي أتى عليها بعد فروعها سنة أرسنجان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناء : سهله . والخير : الغدو والخديمة . (٨) الطلي : الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر : النحاس القاذب .

وأُضْحِتْ لَأَنْطَاكِيَّةَ^(١) حَارِمُ^(٢) شَيْئِي وفيها لَهَا والسَّاكِنِينَ بِهَا حَصْرُ
وَحِصْنُ كُفْرٍ لَاتَا وَهَابَ^(٣) تَدَانِيَا لَنَا ، وَذُرَاهَا لِلْأَنْوَقِ^(٤) بِهِ وَكُرُ
وَفِي حِصْنٍ بَاسُوطًا وَقَوْرَصَ ذَلَّتِ الصَّعَابُ لَنَا ، وَالنَّصْرُ يَقْدُمُهُ^(٥) الصَّبْرُ
وَقَامِيَّةُ^(٦) وَالْبَارَةُ^(٧) اسْتَنْقَذَتْهُمَا لَنَا هَمَّةٌ مِنْ دُونِهَا الْفَرْعُ وَالْغَفَرُ^(٨)
وَحِصْنُ بَسْرُفُودٍ^(٩) وَأَنْبَبُ^(١٠) سُهْلَتِ لَنَا ، وَاسْتَحَالَ الْعُسْرُ ، وَهُوَ لَنَا يُسْرُ
وَفِي تَلٍّ عَمَّارٍ^(١١) ، وَفِي تَلٍّ خَالِدٍ^(١٢) وَفِي حِصْنٍ سَلْقِينَ^(١٣) لِمَلَكَةٍ قَصْرُ
وَمَا مِثْلُ رَاوَنْدَانَ^(١٤) حِصْنٌ وَإِنَّهُ لَمَتَّعُ ، لَوْ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ الْقَسْرُ
وَكَمْ مِثْلُ هَذَا مِنْ قِلَاعٍ وَمِنْ قَرْيٍ وَمُرْدَرَعَاتٍ لَا يَحِيطُ بِهَا الْحَصْرُ
فَلَمَّا اسْتَعْدَدْنَا مِنْ الْكُفْرِ عَنُودَ وَلَمْ يَبْقَ فِي أَقْطَارِهَا لَهُمْ أَثَرُ
رَدَدْنَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ رِبَاعَهُمْ وَأَمْلَا كُفْرَهُمْ ، فَازْرَاحَ عَنْهُمْ بِهَا الْفَقْرُ
وَجَاءَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَفَاقَةٍ وَقَدْ مَسَّاهُمْ مِنْ فَقْدِهَا الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ
وَمَرَّ عَلَيْهَا الدَّهْرُ ، وَالْكَفْرُ حَاكِمٌ عَلَيْهَا ، وَعُمُرٌ مَرٌّ مِنْ بَعْدِهِ عُمرُ
فَنَالَهُمْ مِنْ عَوْدِهَا الْخَيْرُ وَالْغِنَى كَمَا نَالْنَا مِنْ رَدِّهَا الْأَجْرُ وَالشُّكْرُ
وَنَحْنُ وَضَعْنَا الْمَكْسَ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمُتَجَرِّهِ السَّفَرُ
وَأَصْبَحَتِ الْآفَاقُ مِنْ عَدَانَا حُمَى فَكُدِّرَ قَطَاها^(١٥) لَا يُرَوِّعُهَا صَقْرُ
فَكَيْفَ تُسَامِينَا الْمُلُوكُ إِلَى الْعُلَا وَعَزُّهُمْ سَرٌّ ، وَوَقَعَاتُنَا جَهْرُ

(١) أَنْطَاكِيَّةُ : مَدِينَةُ كَانَتْ قَصْبَةَ الْعَوَاصِمِ مِنَ التُّغُرِ الشَّامِيَّةِ ، مَوْصُوفَةٌ بِالْحُسْنِ ، وَطِيبِ الْهَوَاءِ ، وَغَذَرِيَّةُ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةُ الْفَوَاكِهِ (يَاقُوت) .
(٢) حَارِمُ : مَدِينَةُ بَالِشَامِ .
(٣) الْأَنْوَقُ كَصَبُورٍ : الْعَقَابُ .
(٤) مَوْضِعٌ بَالِشَامِ .
(٥) مَدِينَةُ حَصِينَةٍ مِنْ سَوَاحِلِ الشَّامِ ، وَكَوْدَةٌ مِنْ كَوْدِ حِصْنِ .
(٦) قَدَمُ الْقَوْمِ كَنَصْرِهِمْ .
(٧) فَرِغَ الدَّلِيلُ الْمَقْدَمُ وَالْمُزْنَرُ : مِثْلَانِ لِقَمَرٍ . وَالْغَفَرُ : مَنْزِلٌ لِلْقَمَرِ أَيْضًا . (٨) اذْزَرَعَ : زَرَعَ .
(٩) التَّقَطَا : طَائِرٌ . وَالْكَدْرِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ التَّقَطَا غَيْرِ الْأَلْوَانِ ، رَقَشَ الظُّهُورُ ، صَفَرُ الْخُلُقِ .

وإن وعدوا بالغزو نظماً ، فهذه رعوس أعادهم بأسيا فنا نثر
سنلق العدا عنهم ببيض صقالها هداياهم ، والبستر^(١) يرهبها البتر^(٢)
وما قولنا عن حاجة ، بل يسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أجر
نزاننا ملأى ، وما هي ذخرننا الممعد ، ولكن الثواب هو الذخر
ملكاً الذي لم تحوهِ كف مالك ولم يعرنا تيه الملوك ولا الكبر
فنحن ملوك البأس والجود ، سوقة التواضع ، لا بذخ لدينا ، ولا نفخر
عرفنا^(٣) عن الدنيا ، على وجدها بنا فمنها لنا وصل ، ومنا لها هجر
وأحسن شيء في الدنيا زهد قادر عليها ، فإيصيه ملك ولا وفر^(٤)
ولولا سؤال الله عن خلقه الذي رعيناهم حفظاً إذا ضمت الحشر
لملنا عن الدنيا ، وقلنا لها : اغربي^(٥) لك الهجر منا ، ماتمادي بنا العمر
فأخير ملك ، أنت عنه محاسب ومملكة^(٦) ، من بعدها الموت والقبر
فقل للملوك الأرض : ما الفخر في الذي تعدونه من فعلكم ، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما راني صلف
سهل العريكة حين تنصفه صعب المقادة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر : السيوف القاطعة . (٢) البتر : القطع . (٣) عزف عنه : زهد فيه .

(٤) الوفر : الفنى . (٥) اغربي : ابعدي .

(٦) في هامش الديوان « وسلطنة » . (٧) يعتسف : ظله .

خُلِقَ نَمَاهُ أَغَرُّ أَرْوَحُ مَيِّمُونَ النَّقِيَّةَ مَا جَدُّ أَنْفٌ^(١)
مِنْ مَعْشِرٍ طَابَتْ مَغَارِسُهُمْ فَسَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّهَاءِ^(٢) شَرَفُ
قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
لَوْ حَاوَلُوا الْأَفْلَاكَ مَا قُصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعُقَاتِهِمْ^(٣) سَرَفُ
أَنْتَنِي بِعِلْيَ فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ النَّاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النِّكَابِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أَعَدَّ بِخَيْلًا
أَهْبَ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَتْ^(٤) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
كَيْ لَا أَكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّأْمِيلًا

(١) النقيبة : الطيعة . وأغف كفرح : استكف . والأروع : من يعجبك بحسن وجهارة منظره ، أو بشجاعته .

(٢) السها : نجم .

والميمون : المبارك . ونماه : رضعه .

(٣) العقاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(٤) لحا العود : قشره .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الهمزة

(٣٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنْ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدَّمَاءُ سِوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَمَى بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكَنتُ إِنْ ثَوَّبَ^(١) دَاعِيَ الْوَعَى لَيْتَنِي بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجَى نَقْعِهَا شَقُّ الدِّيَاجِي مِرْسَلُ الشَّهْبِ
أَنَازِلُ الْأَقْرَانِ يُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُغْبِي
فَلَمْ تَدَّخْ مِنِّي اللَّيَالِي سِوَى صَبْرِي عَلَى الْأَوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلْقَى الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَجْدَانِهَا مَجْتَمِعَ اللَّبِّ
مَا خَاتَمِي عَزَمِي ، وَلَا عَزَمِي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) اللأواء : الشدة .

(١) الثوب : الدعاء .

(٣) عزمي : غلبني ، فلم يطعنني .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهِبَاجِ^(١) ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ مُبْتَنًى أَوْ أَحْيًى^(٢) مُلْكُ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ بَحْرِ تَدَافَعٍ فِي لَظَى مُتَوَجِّعٍ
صَبْرٌ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا فَرَجَتْ سِيوفُهُمْ مَضِيقَ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا رَجَوْهُمْ لِنَصْرِ صَدَّقُوا بِعَظِيمٍ بِأَسْهِمٍ رَجَاءَ الْمُرْتَجَى

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

خَمْسَ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكُفَّةَ إِلَى أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ الْخَلِيلِ مَا قَرَحَا^(٣)
أَخْوَضُهَا كَشَهَابِ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا طَلَقَ الْحَيَّا ، وَوَجْهُ الْمَوْتِ قَدْ كَاخَا
بِصَارِمٍ ، مَنْ رَأَاهُ فِي قَتَامٍ وَعَى أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
أَغْدُو لِنَارِ الْوَعَى فِي الْحَرْبِ إِنْ تَحَدَّتْ بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحَا^(٥)
فَسَلْ كُفَّةَ^(٦) الْوَعَى عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ كَرْبٍ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيْقٍ بِي أَنْفَسَحَا

(١) الهباج بالكسر : القتال .

(٢) الأحية كناية ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في جبل يدفن طرناذ في الارض ويبرز طرفه كالحلقة تشد

فيها الدابة ، الجمع أخايا أو أواخي . والأخية : الطنب .

(٣) قرح الفرس كنع : انتهت أسنانه ، فهو قارح ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القتام : الغبار . والوعى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : رام الإبراء . والبيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكفى : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادثَ وإدعاً بقلبٍ أريبٍ بأسه يتوقّدُ
أبي على عدلِ الزّمانِ وجوره غنيٌّ عن الأعوانِ إن قلَّ مُسعدُ^(٢)
فما هو في خطبٍ وإن راعَ جازعُ مروّعٌ ، ولا في حادثٍ متبلّدُ

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدّم أولها^(٣) :

يا عجباً من وشكٍ بينَ مارَعَتِ^(٤) فيه مطايانا ولا الحادى حدّا
نرى الجمالَ المصحباتِ^(٥) بيننا مُهمّلاتٍ ، والرجالَ بدداً^(٦)
موقفٍ توديعٍ ترى البيضُ به شهباً ، وهابى النّقع ليلاً أسوداً
وللطعانِ فى الكُماةِ أعيناً تهجى على السّردِ^(٧) نجيعاً مزبداً
فiale من موقفٍ رقيبُه ككائبُ الأعداءِ ، والواشى الردى
لو لم تكن عادتي الإقدامَ فى أمثاله ، قضيتُ فيه كمدّا
ومنها :

لا تحسبن الرّزءَ أوهى جالدى إنّ النّسيمَ لا يفضّ^(٨) الجلمدا
وهل يروّع الخطبُ قلبَ أروعٍ إن كلب^(٩) الدّهرُ عليه أسداً^(١٠)

(١) انظر القطعة (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٢) المسعد : المعين .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٤) رغا البعير غاء بالضم : صوت فضيح .

(٥) أصحب : اتقاد .

(٦) بددا : متفرقة .

(٧) المرء : اسم جامع للدرّوع . والنجيع : دم الجوف . (٨) الفص : الكسر بالفرقة . والبلهد : الصخر .

(٩) كلب : سفه .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ صَرِعًا لَنَكْبَةٍ تَعْرِقُنِي عَرَقُ الْمَدَى^(١)
 هُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي أَصْلَبُ مِنْ صُمِّ الصَّفَا^(٢)، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا
 هَلْ بَزَنِي الْخَطْبُ سِرَى وَفَرَى الَّذِي كَانَ مُبَاهَاً لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
 إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتْلَفْتُ يَدِي طَرِيفَ مَا حَوَتْ، وَاتَّلَدَا
 هُمْ يَرُونَ الْمَالَ ذُخْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُخْرُ الْفَتَى أَنْ يُحَمَّدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال^(٣) :

سَلِّ بِي كُجَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
 يَنْبُتُكَ بَأْنِي فِي مَضَابِقِهَا ثَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي^(٥)
 أَخْوَضُهَا كَسْهَابِ الْقَذْفِ، يَصْحَبُنِي عَضْبُ كَبْرٍ سَرَى أَوْضُوهُ مِقْبَاسِ^(٦)
 إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قَرْنًا أَنْزَلُهُ أَوْحَاهُ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَغْشَاهُ أَوْ آسِي^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضى أكثرها^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالْغَمَطُ
 حَكِي حُكْمَهَا الْمِيزَانَ، لَا دَرْدَرُهَا : فَذُو النِّقْصِ يَسْتَعْلِي، وَذُو الْفَضْلِ يَنْخَطُ

(١) الضرع : الخاضع الذليل المستكين . وعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . والمدي : جمع ندبة ، وهي السكين .

(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحجر أحم : صلب .

(٣) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في لباب الآداب : ” معرك ”

(٥) الجبل . (٦) العضب : السيف . والمقبايس : شعلة ارتفعت من معطم النار .

(٧) أوحاه : أمجله . وفي لباب الآداب » أوجاه » بمعنى زجره ، ونجاه ، وردده . (٨) الآسي : الطيب .

(٩) راجع ص ٧٨ ، ١٧٤ .

وَعِنْدِي عَلَى مَارَابَ مِنْ حَدَثَانِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيْمٌ ، مَا مَا عَقَلْتُ نَسْطُ^(١)
تُهَوِّنُ عِنْدِي الْخَطْبَ ، وَالْخَطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِضُ عَنِّي كَفَّهُ ، وَلَهَا الْبَسْطُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُدُوا فِي السَّلْمِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ^(٣)
فَبِمَا أَهَيْنُ النَّفْسَ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَمًا^(٥) أَقْدَمْتُ لِأَقْدَامِ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعَزِيْمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ مِنَ السُّيُوفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي إِلْفَانٌ مُذْ خُلِقَا تَقَاسَمَا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشَى الْهُوَيْنَى ، وَالْخَطْبُ فِي طَلْبِي يُوضَعُ طَوْرًا ، وَتَارَةً عَنَقًا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَذِلَّ ، وَلَا تَمَلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَرَقًا^(٩)

(١) حدثان الدهر : نوبه . والبصريمة : المزينة . وعقل : شد البعير بالعقال . والنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العال المنترف . (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الخريدة « ولطما » . (٦) الخنف : الموت .

(٧) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . ولم يرد في أهل الديوان . وأوضع : أسرع . والعنق :

السير الفسيح . (٩) هذا البيت ساقط في لباب الآداب .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَائِيَةٍ^(١) عَلَى فُؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلَقَ
لَا يَزِدُّهُ^(٢) خَوْفُ الْحِمَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مُلَّةٍ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّفَتِ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَه بَعْدَ التَّمَامِ مَحَاقُ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَهْيَهَا فَتَضَاءَلَتْ ، وَطَبَأُهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابْنِ مُنْقِذِ الَّذِي قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلِذَاكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فُضَائِلِهِ^(٤) عِبَالًا
وَقَرِيضُهُ عِنْدَ الظُّمَاءِ يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الزُّلَالَا
كَالدُّرِّ وَالْبَاقُوْتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانٍ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالَا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحَرِّمَ مِنْهُ لِي السَّحَرَ الْحَلَالَا
كَلَّا ، وَلَا يَشْكُو لِحَمْلِ رَسَائِلِ مَنِي كَلَالَا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الْأَشْعَارَ مُسْرِعَةً عِجَالَا

(٢) الازدهاء : الاستخفاف .

(١) في لباب الآداب : حادثة .

في الروضتين : مكارمه .

(٣) النص في الروضتين أيضا : ١١٧ .

(٥) الكللال : الإعياء .

مثل الحسان الغيد^(١) تآ هت في محاسنها دلالاً
 بذلت لك المتنوع ، ثم منحتنا منك ابتذالاً^(٢)
 وصددت عنها ، حين را مت من محاسنك الوصالاً
 ما كان مرسلها ، وحقك ، يستحق بها الملالاً
 هلاً بذلت لنا مقالاً ، حين لم تبدل فعلاً
 مع أننا نؤيك صبراً في المودة واحتمالاً
 ونبكك الأخبار ، إن أضحت قصاراً أو طوالاً
 سارت سراياناً لقصد الشام ، تعسف الرمالاً^(٣)
 ترحى إلى الأعداء جر د الخيل أتباعاً^(٤) توالى
 تمضى خفافاً للأغار^(٥) ر بها ، وتأيننا ثقلاً
 حتى لقد رام الأعادى من ديارهم ارتحالاً
 وعلى الوعيرة^(٦) معشر لم يعهدوا فيها القتالاً
 لما نأت عمن يحف بها يميننا أو شمالاً
 نهضت إليها خيائنا من مصر محتمل^(٧) الرجالاً
 والبيض لامعة ، وبيض الهند ، والأسل النبالاً^(٨)
 فغدت كأن لم يعهدوا في أرضها حياً حلالاً^(٩)
 هذا ، وفي تل العجور ل^(١٠) ، ملأ بالقبلى التسلالاً

- (١) الغيد : جمع غيدا ، وهي المثانية لنا .
 (٢) الابتذال : ضد الصيانة .
 (٣) اعتسف الطريق : خط على غير هداية .
 (٤) أتباع : يأتى بعضها خلف بعض .
 (٥) الأغار : الإغارة .
 (٦) الوعيرة : اسم حصن .
 (٧) احتله : حله . (٨) النبال : جمع ناهلة وهي المختلفة إلى المنبل . والأسل : الرماح . والبيض : السيوف .
 (٩) جمع حلة وهي القوم الزول ، وجماعة بيوت الناس . (١٠) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مُرِي^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُفْقَتِهِ اشْتِغَالًا
وَاسْتَأْنَقَ عَسْكَرُنَا لَهُ أَهْلًا يُجِبُّهُمْ وَمَالًا
وَسِرِيَّةُ ابْنِ فُرَيْجٍ الطَّا فِي طَالٍ بِهَا وَصَالًا
سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدْعَ فِيهَا خِلَالَ^(٣)
فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَجِيءُ عَلٰى فَعَانَا فِيهِمْ مَثَلًا
وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) نَزَالًا
وَيَنْبِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوٍّ لَهُ بِمَا قَدْ كَانَ قَالًا
لَرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُرًّا فِي مَعَاظِلِهَا اعْتِقَالًا
وَتَجَهَّزُوا لِلْسَّيْرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصَدُوا الشَّامَالَا
وَإِذَا أَبَى إِلَّا أَطْرَاحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالَا
عُدْنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فَأَجَابَهُ :

يَا أَشْرَفَ الْوُزَرَاءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالَا
وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمَى ، وَأَجَلَّ آلَا
وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالَا
فَلِذَاكَ قَدْ أَضْحَى الْإِنَا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِيَالَا
وَحِمَى الْبِلَادَ بِسَيْفِهِ عَنْ أَنْ تُذَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُذَالَ
وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرٍّ ، وَفِي بَحْرِ نِكَالَا^(٦)

(١) مري : أحد ملوك الفرنج الصليبيين . (٢) يلوي : ينفطر .

(٣) الخلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروضين . وفي الأصل : ننازلهم .

(٥) أذاته : أهته . والدولة : انقلاب الزمان . وأداله . أى جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به .

حَتَّى اَقْد سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتْلَا
نَبِهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبِيَّتَهُ ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
وَعَتَبَتَهُ ، فَأَنَلَتْهُ شَرَفًا وَمَجْدًا لَنْ يُنَالَا
وَكُسُونَهُ شَرَفًا ، إِذَا مَا طَاوَلَتْهُ الشُّهْبُ طَالَا ^(٢)
لَكِنْ ذَاكَ الْعَتَبَ يُشْعِلُ فِي جَوَانِحِهِ اسْتِعْلَا
أَسْفًا بِلَحْدِ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَانِمُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزُّلَالَا
وَأَجَرَ مَقُولِهِ ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّعَى ، وَهُوَ الْقَرْضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
لَكِنَّهَا الْأَيَّامُ تُوسِعُنَا مَطَالَا وَاعْتِلَالَا
وَتُسَوِّفُ الرَّاجِي ، وَتُورِدُ ذَا الصَّدَى الظَّمَانُ آلَا ^(٤)
وَالْدَهْرُ لَا يَنْفِكُ يَبْرِى ، أَوْ يَرِيْسُ لَنَا النَّبَالَا ^(٥)
وَيَصِدُنَا عَمَّا نَحْمَا وَلَهُ جِهَارًا وَاغْتِيَالَا ^(٦)
وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالٍ تَنَكَّرَ وَاسْتَحَالَا ^(٧)
وَدُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثُرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَا
مَلِكُ إِذَا زُغْنَا أَقَا لَ ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَا لَا
فِيْبِيْحُ جَاهِلُنَا وَسَائِلُنَا نَوَالَا وَاحْتِمَالَا
فَالِيهِ مَعْدَرَةٌ الْمُقْصِرِ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتَقَالَا

(٢) طاولني فطلة : كنت أطول منه .

(١) نبه باسمه : توه .

(٤) الصدى : العرش . والآل : السراب .

(٣) أجز مقوله : شق لسانه .

(٥) يرى المهم : نخته . وراش المهم : أزق عليه الريش . والبال : الدهام .

(٧) استحال : تحول وتغير .

(٦) اغتاله : أهلكه .

وبفضل مَالِكِهِ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَظُنَّ بِهِ الْمَلَالَا
أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَ لَ، لَسَمِعِهِ السُّحْرَ الْحَلَالَ
وهو النَّهْوضُ بِمَا تَحَمَّلَهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجَبَالَ
أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرِ جُعُ بَعْدَ خِفَّتِهَا ثِقَالًا
فَكَذَلِكَ عَادَ وَفُودُ بَا بِكَ مُثْقَلِينَ نَفَا^(١) وَمَالًا
ومسيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْتَغِي فِيهَا الْمَجَالَ
فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدِ لِكَ فِي الدُّنْيَا سَارًا وَجَالًا
فَاسْلَمْ لَنَا ، حَتَّى نَرَى لِكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثْلًا
وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِوَدِّ نُورِ الدِّينِ ، وَالتَّقَى بِهِ الرِّجَالَ
فَهُوَ الْحَامِي عَنْ بِلَا دِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تُذَالَ^(٢)
وَمِبِيدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعَهُمْ حَالًا فَجَالًا
مِلْكٌ يَدِيهِ الدَّمَرُ وَالِدُنْيَا بِدَوْلَتِهِ اخْتِيَالًا
جَمْعُ اخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعَ مِنْهَا خِلَالًا
فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّالِرِ يَنْ رَأَتْ عِيُونُهُمُ ، الْكَمَالَ
فَقِيَمَتَا لِلْمُسْلِمِينَ حِمَى ، وَلِلدُّنْيَا جَمَالَ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ مِنْ قَصِيدَةٍ تَقْدِمُ أَوَّلَهَا^(٣)
ذَا كَرِينَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالْصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهَوَلًا شَاءَ فِي الْأَنَامِ فَعُولُ

(١) النَّشَا : مَا أَخْبَرَتْ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ . وَتَنَا الْحَدِيثَ : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ .

(٢) أَذَالَه : أَهَانَهُ . (٣) انْظُرْ صَفْحَةَ ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ أُنَّا كُمْ بِهِنَّ مِنَ الرُّسُولِ
 أَنَّ بَعْضَ الْأَسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرِجِ مَا لَا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
 سَارَ فِي قِلَّةٍ ، وَمَا زَالَ بِاللَّهِ ، وَصَدَقَ النِّيَاتِ يَتَمَّى الْقَلِيلُ
 وَبَقَايَا الْأَسْطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ وَصُولُ
 فَخَوَى مِنْ عَكَّا وَأَنْظَرُ طُوسَ^(١) عَدَّةً لَمْ يَحِطْ بِهَا التَّحْصِيلُ
 جَمَعَ دِيوَانَهُ^(٢) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرِجُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
 قَيْدَ فِي وَسْطِهِمْ مَقْدَمُهُمْ ، يُهْدَى إِلَيْنَا ، وَجِيْدُهُ مَغْلُولُ
 بَعْدَ مَتَوَى جَمَاعَةٍ هَلَكَتْ بِالسَّيْفِ ، مِنْهَا الْغَرِيقُ وَالْمَقْتُولُ
 هَذِهِ نِعْمَةُ الْإِلَهِ وَتَعْدِيدُ أَيْدِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
 فَالْمَغْنَى قَوْلُنَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
 قُلْ لَهُ : كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكَفَّارِ ، فَاحْذَرِ أَنْ يَغْضَبَ الْمَطُولُ
 سِرِّي الْقُدُسِ ، وَاحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي اللَّهِ ، فَبِالسَّيْرِ مِنْكَ يُشْفَى الْغَلِيلُ
 وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَاللَّهُ إِذْنَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٣) .

بُجْهَلٌ فِي الْإِقْدَامِ رَأَيْ مَعَاشِرُ^(٤) أَرَاهُمْ إِذَا قَرُّوا مِنَ الْمَوْتِ أَجْهَلًا
 أَرْجُو الْفَتَى عِنْدَ انْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَإِنْ فَرَّعَنْ وَرْدَ الْمَيِّتَةِ مَرْحَلًا^(٥)

(١) أنظر طوس : بلد ساحل بالشام . (٢) الديوان : لقب لطائفة من العليين .

(٣) ذكر أسامة هذه الأبيات أيضا في باب الآداب صفحة ٢٢٥ .

(٤) في أصل الديوان « رأى معاشر » بالإضافة والتصويب للأستاذ الشيخ أحمد شاكر في باب الآداب .

(٥) زحل عن مكانه كنعن : زال .

إِذَا أَنَا هَبْتُ الْمَوْتَ فِي حُومَةِ الْوَعَى ^(١) فَلَا وَجَدْتُ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ مَوْثِلًا ^(٢)
وَلِيَّ إِذَا نَازَلْتُ كَبَشَ ^(٣) كَتَيْبَةٍ فَلَسْتُ أَبَالِي أَيُّنَا مَاتَ أَوْ لَا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنَّ لِي فِي الخَطْبِ عَزَمًا مِثْلَ حَدِّ الْمُنْصَلِ ^(٤)
لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيا ^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلا
يَلْقَى الخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَالُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَجْثَلِي
تَنْجَابُ ^(٦) عَنْهُ الْحَادِثَاتُ إِذَا عَرَتْ عَنْ قُلُوبِ ثَبِتِ الْعَزَائِمِ حَوْلَ ^(٧)
قَدْ جَرَّبَ الْأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ يُبْدِي لَهُ الْمَاضِيَ خَفِيَ الْمُقْبِلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالْخَطَى ^(٨) مُعْتَرَكُ الْوَعَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعَ الظُّلُبَا ^(٩) فِي الْجَمَاجِمِ
سَلَّ الْمَوْتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّنِي عَلَى خَوَاضِهِ فِي الْحَرْبِ ثَبِتُ الْعَزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينِ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقٌ مِنْ بَجِيدِي ، مِثْلُ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
تَعْبِدُنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الْإِحْسَانِ رَقٌّ لِلْكَرَامِ

- (١) حومة الوعى : أشد موضع فيه . والوعى : الحرب . (٢) الموثل : المثلج .
(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٤) المنصل بضمين وككرم : السيف .
(٥) عي بالأمر : لم يند لوجه مراده ، أو يحز عنه ولم يطق إحكامه .
(٦) انجواب : انكشف . وعرا : غشى . (٧) حول قلب : محال بصير بتقلب الأمور .
(٨) الخطى : الرح . (٩) الظلبا : جمع ظلة ، وهي حد سيف أرسان أو نحوه .

فصَارَ إِلَى مَوَدَّتِكَ انْتِسَابِي عَلَى أَتَى الْعِظَامَى الْعِصَامِي^(١)
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنِّي لِأَنْتِمَانِي إِلَيْكَ رَمَى سَوَادِي^(٢) كُلُّ رَامٍ
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُصْحَبْ^(٣) شِمَائِي لِقَسَر^(٤) دُونَ إِعْذَارِ^(٥) الْحُسَامِ
وَلَكِنْ خِفْتُ مِنْ نَارِ الْأَعَادِي عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمْضِي الْعِزَامُ وَتَمْضِي لَدَى الْحَرْبِ السِّيُوفُ الصَّوَارُمُ
وَأُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِمْ وَتُغْزَى جِيُوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا
وَيُؤْنِي الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذَرِهِمْ وَنَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ، فَمَا
بَعَثْنَاهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ، قَاطِعًا
وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْخِفَارِ^(٩) إِذَا التَّطَى وَصَارَتْ عُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢)
فَمَا هَالَهُ بَعْدَ الدِّيَارِ، وَلَا ثَنَى يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ
وَتَمْضِي لَدَى الْحَرْبِ السِّيُوفُ الصَّوَارُمُ
وَأُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِمْ
وَتُغْزَى جِيُوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا
وَيُؤْنِي الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذَرِهِمْ
وَنَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ، فَمَا
بَعَثْنَاهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ، قَاطِعًا
وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْخِفَارِ^(٩) إِذَا التَّطَى
وَصَارَتْ عُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢)
فَمَا هَالَهُ بَعْدَ الدِّيَارِ، وَلَا ثَنَى
يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ

(١) عظامي عصامي : شريف المنصب والنفس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أحسب : أقاد .
وشمس القوس : استعصى على راحته . (٤) القسر : القهر . (٥) أعذر : أنصف . (٦) أضرم النار : ألهبا .
(٧) المفاز : جمع مفازة وهي الغلاة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يحاط بياضها شقرة . والوحد :
الإسراع . (٩) الخفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها دغ كلها ردال بيض . (١٠) من شبت النار :
أخذت . والنطى : تلعب . (١١) الجاحم : الجحيم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوم : الريح
الحارة تكون غالبا بالهار ، الجمع سائم . (١٤) هجر : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إذا ما طوى الرايات وقت مسيره
تبارى خيولاً ما تزال كأنها
فإن طلبت قصداً تساوين سرعة
هي الدهم^(٣) ألواناً وصبغ عجاجة
تصاحبها علماً بأن سوف تغتدى
كما أن وحش القفر ما زال منهم
خيولاً إذا ما فارقت مصر تبغى
يسير بها ضرغام^(٥) في كل مازق
ورفقتة عين الزمان ، وحام
مضى طاهر الأثواب من كل ريبة
هنيئاً له يستقى الرحيق^(٩) ، إذا غدت
ولو أننا نبكى على فقد هالك
ولكننا بعنا الإله نفوسنا
تهون علينا أن نصاب نفوسنا
وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه
وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش

غدت عوضاً منها الطيور الحوائم
إذا ما هي انقضت نسور قشاع^(١)
قوادمها^(٢) في جورها والقوائم
فإن طلبت أعداءها فالأداهم
بها ، ولها في الكافرين مطاعم
مدى الدهر أعراس لهم وولائم
عداً ، فلها النصر المين ملازم
وما يصحب الضرغام إلا الضراغ^(٦)
ويحي^(٧) ، وإن لاقى المنية ، حاتم
شهيداً ، كما تمضى السراة^(٨) الأكارم
نحيه في الخلد الحسان النواعم
لقلت له من الدموع السواجم
ورحناً ، وما منّا على البيع نادم
إذا لم تصبنا في الحياة المائم
عشية أصوات الرجال همائم^(١١)
لبارقها في ساحة الشام شائم

- (١) القشع : المسن من النسور الضخم .
(٢) القوام : ريشات في مقدم الجناح .
(٣) الدهم : جمع دهماء ، وهي السوداء .
(٤) الأدام : القيود .
(٥) ضرغام : قائد مصري آلت إليه الوزارة في أيام العاضد الفاطمي .
(٦) الضراغ : جمع ضرغام : الأسد .
(٧) أسماء قواد ثلاثة .
(٨) السراة : السادة .
(٩) الرحيق : الخمر ، أو أطيبها .
(١٠) خام عنه يخيم : تكس وجين .
(١١) المهمة : الكلام الخفى وتردد الزئير في الصدر من الهم وكل صوت معه يبح .
(١٢) برقية : طائفة من الجيش المصرى قدم أصولهم من بركة .

وأفناء^(١) جندٍ لو تَوَجَّهَ جمعهم
وجمعُ مماليكٍ بأفعالنا اقتَدَوْا
وسنيس^(٢) قد شادُوا المعالي بفعلهم
وثعلبة^(٣) أضْحَوْا بنا قد تأسَدُوا^(٤)
وإنَّ جذاماً^(٥) لم يزل قطُّ منهم
جيوشُ أفدناها اعتزاماً ونجدةً
إذا ما أثارُوا النَّقْعَ ، فالنَّغْرُ عابِسٌ
ولما وطَّأوا أرضَ الشام تحالفت
وواجههم جمعُ الفرنجِ بحملةٍ
فلقَّوهم زُرْقَ الأسنةِ ، وانطَوَّأوا
وما زالت الحربُ العوانُ^(٦) أشدَّها
يُسبِّههم من لآح جمعهم له
وحسبك أن لم يبقَ في القومِ فارسٌ
وعادُوا إلى سِلِّ السيوفِ ؛ ففقطعتْ
فلم ينبجُ منهم يومذاك مخبرٌ
كذلك ما ينفكُ تُهدى إلى العدا
وتسرى لهم آراؤنا وجيوشنا

لرومية جالت عليها المقاسمُ
فكلَّهم بالطعن والضرب عالمُ
وليس لهم إلَّا العوالى^(٧) دعائمُ
فألهم في المشركين مُقاومُ
قديمًا لحبل الكُفر بالشامِ جاذمُ^(٨)
فطائنا منهم ، ومنَّا العزائمُ
وإن جردُوا الأسيافَ فالنَّغْرُ بايمُ
فأضحت جميعاً عربها والأعاجمُ
تهونُ على الشجعانِ منها الهزائمُ
عليهم ، فلم ينجم من الكُفر ناجمُ^(٩)
إذا ما تلاقى العسكرُ المتصادمُ
بلجةً بحرٍ موجها متلاطمُ
من الجليشِ إلَّا وهو للرمح حاطمُ^(١٠)
رعوسٌ ، وحزَّت للفرنج غلاصمُ^(١١)
ولا قيل : هذا وحده اليومَ سالمُ
وللوحشِ أعراسُ لهم وماتمُ
بداهيةً تبيضُ منها المقادِمُ^(١٢)

(١) الأفناء من الناس : الأخطاء .

(٢) العوالى : أعالي الرماح .

(٣) جذمه : قطعه . (٦) نجم : ظور .

(٤) أسد كفرح : صار كالأسد . (٧) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة .

(٨) الحطيم : السكبر . (٩) الفلصة : اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الخلقوم .

(١٠) مقدم العين كعسن ومعظم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه ما استقبلت منه .

نَقَاتِهِمْ بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
وَمَا الْعَازِمُ الْحَمُودُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
وَقَدْ غَرَّقَ الْكَفَّارَ مِنْهُ بَقِطْرَةٌ
فَكَيْفَ إِذَا سَأَلْتَ عَلَيْهِمْ سُيُولُنَا
وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشِّرْكِ هَازِمٌ
فَقُولُوا لِلنُّورِ الدِّينِ ، لَا قُلَّ حَدُّهُ
تَجَهَّزْ لِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا تَبْنِ
فَمَا مِثْلُهَا تُبْدِي احْتِفَالًا بِهِ ، وَلَا
فَعِنْدَكَ مِنْ أَلطَافِ رَبِّكَ مَا بِهِ
أَعَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَعَمَ الْوَرَى
بَوَقْتِ أَصَابِ الْأَرْضِ مَا قَدْ أَصَابَهَا
وَحِيمٌ جَبِشَ الْكَفْرُ فِي أَرْضِ شَيْزِرٍ
وَقَدْ كَانَتْ تَارِيخُ الشَّامِ وَهْلَكُهُ
فَقُمْ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَاهَدْتَ : نَزْوَعُهُمْ
وَأَغَارَاتُنَا لَيْسَتْ تَقْتَرُّ^(٦) عَنْهُمْ
وَأَسْطَوْلُنَا أَضْعَافٌ مَا كَانَ سَائِرًا

تَدُوسُهُمْ مِنَ الْمَذَاكِي الصَّلَاحِ^(١)
مَعَ الْعَزْمِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
سَحَابُ انتِقَامٍ عِنْدَنَا مُتَرَاكِمٌ
وَجَاسَتْ لَنَا تِلْكَ الْبَحَارُ الْخَضَارُمُ^(٢)
وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
وَلَا حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي الْغَوَاشِمُ^(٣)
وَتُظْهِرُ قُتُورًا أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمٌ^(٤)
تُعْضُ عَلَيْهَا لِلْمُلُوكِ الْأَبَاهِمُ^(٥)
عَلِمْنَا بِقَيْنَا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمٌ
بَأَنَّكَ قَدْ لَا قَيْتَ مَا اللَّهُ حَاتِمٌ
وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ الدَّوَاهِي الْعِظَائِمُ
فَسِيقَتْ سَبَايَا ، وَاسْتَحَلَّتْ مَحَارِمُ
وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لَكَ عَادِمٌ
إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهَ لِلخَلْقِ لَا زِمُ
وَنَحْلَفُ جَهْدًا أَنْتَا لَا تُسَالِمُ
وَلَيْسَ يُجِيبِي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
إِلَيْهِمْ فَلَا حِصْنٌ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمُ

(١) الصلح كزبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والمذاكي من الخيل : ما أتى عليها بعد فرحها بته أو ستان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : الظلم .

(٤) حارم : مديعة بالنام . (٥) الأباهم : جمع إيهام بالكسر (وهذا كناية عن الدم) .

(٦) تقتر : تقطع وتضعف

وَنَزَجُو بِأَنْ نَجْتَا^(١) بِقِيَمِهِ بِهِ
عَلَى أَتْنَا لَنَا مِنَ الْمَجْدِ مَا بِهِ
وَلَكِنَّا نَبْغِي الْمَثُوبَةَ جَهْدَنَا
وَنَحْتَمُّ بِالْحُسْنَى الْفَعَالَ، وَإِنَّمَا
وَنُحْوِي الْأَسَارَى مِنْهُمْ وَالْعَنَائِمُ
نُفَاحِرُ أَمْلَاكَ الْوَرَى وَنُقَاوِمُ
وَطَاقَتْنَا، وَاللَّهُ مُعْطٍ وَحَارِمُ
تُزَيِّنُ أَعْمَالَ الرِّجَالِ الْخَوَاتِمُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونَ الْوَرَى وَالْمَكَارِمُ
وَصَلَتْ، فَأَغْنَيْتِ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
وَجُدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
تَكَفَّلْتَ الْإِسْلَامَ أَنَّكَ مَانِعٌ
فَأَصْبَحْتَ تَرَعَى سِرْحَهُ بِصَرِيحَةٍ^(٢)
وَأَيْدَتَهُ بِالْعَدْلِ، وَالبَذْلِ، وَالتَّقَى
فَعَدَلُ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
رَمَيْتِ الْعَدَا بِالْأُسْدِ فِي أَجَمِ الْقَنَا
بِمَثَلِ أَيْ^(٣) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
يُبَارِزِينَ شُهَبَ الْقَدْفِ يَحْمِلُنْ مِثْلَهَا
سَرَايَا كَمَوْجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْلٍ عَثِيرٍ^(٤)
تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا
فَقَنَّ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
وَصُلَّتْ، نَخَافَتْ مِنْ سُطَاكِ الصَّوَارِمِ
نَدَاكَ [السُّكُوبِ^(٥)] الْمُسْتَهْلِ^(٦) الْعَنَائِمُ
حِمَاهُ، مَبِيحٌ مَا حَمَى الْكَفْرُ هَادِمٌ
مِنْ الْعَزْمِ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعَزَائِمُ
وَضُرِبَ الطَّلِي^(٧)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٨) مَا تَصُونُ الْخَوَاتِمُ
عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمٌ
وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْخَارِمُ^(٩)
مِنْ الْخَتَفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) مُجُومٌ نَوَاجِمُ
لَهَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عِدَاهَا وَلَا نِمُ

(١) الاجتياح : الإهلاك والاستئصال .

(٢) سقط بالأصل ولعله [السكوب] أو كلمة على وزنها ومعناها . (٣) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٤) من صرم السيف : أحتد . (٥) الطلي بالضمعة : الأعناق . (٦) أذله : أهته .

(٧) اللان : السيل يأتي من موضع بعيد . (٨) الخارم : الطرق . (٩) العثير : التراب .

(١٠) العوالى : جمع غالية وهي أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذى على السان .

فإن خَفَصَ الفُرسَانُ اللَّطْعَنَ فِي الوَغَى
تعرَّضَ منها فَوْقَ (غَزَّة) عَارِضٌ
فَلانْتَجَعَ سُبُبٌ ، وَالسِّيُوفُ بَوَارِقُ
بَوَارِقُ منها الغوثُ ، لَا الغَيْثُ ، يُرْتَجَى
فليس لِرَاجٍ غَيْرَ عَفْوِكَ مَلْجَأُ
تَزَهَتْ عَنْ أُمُوالِ مَنْ أَنْتَ قَاتِلُ
فَنَهَبُكَ أرواحٌ تُنْقِلُهَا^(٤) الظُّبَا
فلا مَوْرِدٌ إِلَّا بِمَازِجِهِ دَمٌ
فَسيفُكَ لِلْفَحْصِ المَعَانِدِ خَاصِمٌ
خَلَطْتَ السُّطَا بِالْعَدْلِ ، حَتَّى تَأَلَّفَتْ
يَسْنُ أَبُو الغَارَاتِ غَارَاتِ جُودِهِ
وَيَبْعُثُهَا شُعْتَ النِّوَاصِي^(٥) ، كَأَنَّهَا
تُلِظُ^(٦) بِأَرْضِ المَشْرِكِينَ ، كَأَنَّهَا
فَوَيْحَ العَدَا مِنْ بَاسِهَا ، إِنَّمَا سَرَى
فَهُمْ جَزَرٌ^(٧) لِلْبَيْضِ ، وَالْبَيْضُ كَالْدُمَى
غَزَوْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
فَأَفْنَيْتَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا بِأَسْرِهِمْ
فَلَمَّا أَبَادْتَهُمْ سِيُوفُكَ ، وَانْجَلَتْ

رِمَاحَهُمْ انْقَضَّتْ عَلَيْهَا القَشَاشُ^(٨)
سَحَابُ المُنَابَا فَوْقَهُ مُتَرَاكِمٌ
وَلِلدَمِ وَبَلٌ ، وَالنَّبَاتُ جَمَاجِمُ
أَشَانِمُ^(٩) ، لَا يَرَوَى بِهَا الدَّهْرُ شَانِمُ^(١٠)
وَلَيْسَ لِعَاصٍ لَمْ يُنَبِّ ، مِنْكَ عَادِمُ
فَقَدْ جُهِلَتْ بَيْنَ الْحَيُوشِ الْمُقَاسِمِ
وَسُمُرِ العَوَالِي ، وَالبِلَادُ مَغَانِمُ
وَلَا مَرْتَعٌ إِلَّا رَعْتَهُ المَنَاسِمُ^(١١)
وَعَدْلُكَ لِلشُّكُوى وَلِلْجُورِ شَاكِمُ^(١٢)
أَسْوَدُ الشَّرَى وَالْمُطَفَّلَاتُ الرِّوَانِمُ^(١٣)
عَلَى مَالِهِ ، وَهُوَ الْمَطِيعُ الْمُسَالِمُ
ذَابُ الْفَلَا تُرْدَى ، عَلَيْهَا الضَّرَاعِمُ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدٍ ، حَوَانٍ^(١٤) حَوَانِمُ
إِلَيْهَا ، وَلَمْ تَشْعُرْ ، رَدَى وَأَدَاهُمُ^(١٥)
سَبَايَا تُهَادَى ، وَالبِلَادُ مَعَالِمُ
وَجَفَلُهُمْ فِي أَرْضِهَا مُتَرَاكِمُ
فَنَاجِيَهُمْ مُسْتَسْلِمٌ أَوْ مُسَالِمُ
عَنْ الْأَرْضِ مِنْهُمْ طُلْدَةٌ وَمَظَالِمُ

(١) القشاش: النسور . (٢) الأشانم: ضد الأيا من . (٣) من شام البرق: نفاذ إليه أين يقصد وأين يخطر .
(٤) نقله: أعطاه إياه . (٥) المناسم: جمع منسم كجلس: خف البعير . (٦) خصمه: غلبه . وشاكم: ملجم .
(٧) المطفلات الروانم: يريد بهن الظباء . (٨) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الذم . وانتشت: تلبذ الشعر .
(٩) اللظ: اللزوم والإلحاح . (١٠) من حتى ظهره: عطشه . والحوانم: جمع حاتم، وهو العظشان .
(١١) الأدام: القيود . (١٢) الجور: جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة .

غزوتهم في البحر ، حتى كأنما الأساطيل فيه موجهُ المتلاطم
 بفُرسانٍ بحرٍ ، فوق دُهم^(١) ، كأنها على الماء طيرٌ ، ما لهن قوادم^(٢)
 يصرفها فرسانها بأعنة^(٣) ، حيث لم توصل بهن الشكائم^(٤)
 إذا دفعوها قلت : فرسان غارة سَروا بجياد ، ما لهن قوائم
 يسوق أساطيل الفرج بهم حمام ، وطير للفرج أشائم
 دماؤهم في البحر حمر سوائج وهامهم في البر سحم^(٥) جوائم
 فلم يخف في فج من الأرض هارب ولم ينج في لج من الماء عائم
 وعاد الأسارى مردفين^(٦) ، وسفنهم تُقاد ، كما قاد المهاري الخزائم^(٧)
 وقد شمر الملكان في الله ، طالبي بجد ، هو العضب الحسام ، وحده
 وقاما بنصر الدين ، والله قائم بنصرهما ، مادام للسيف قائم^(٨)
 وما دون أن يفنى الفرج ، وتفتح البلاد ، سوى أن يمضي العزم عازم
 فيا ملكا ، قد أحمد الله سعيه ونيته ، والله بالسير عالم
 تناء ، طبق الأرض نشره هو المسك ، لا ما ضمته اللطائم^(٩)
 تناء به يحدو الحداة ، ويُشد الرواة ، وتشدو في الغصون الحمام
 يسير مع الرجان ، أتى تيمموا على أنه في ساحة الحن هاجم^(١٠)
 أمير الجيوش ، اسمع مقالة بأصح بشرك ، يبدى مثل ما هو كاتم

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الخناجر . (٣) الشكائم : جمع شكة ، وهي في الجلام : الحديدة المعترضة في فم الفرس . (٤) سحم : جمع أسحم ، وهو الأسود . (٥) من أردف : إذا أركبه خلفك . (٦) الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البعير . (٧) قائم السيف : مفضنه . (٨) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .

بِفَضْلِكَ آلَى صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ لَعَايِصَ لَهُ فِي نَظْمٍ مَا هُوَ نَاطِمٌ
كَأَنَّ بَدِيعِي شِعْرَهُ وَبَيَانِهِ حُرُوفُ اعْتِلَالٍ ، وَالْهَمُومَ جَوَازِمُ
عَلَى أَنَّهُ كَالْصَّمِّ ^(١) : صَبْرًا ، وَقَسْوَةً تَحْزَنُ الْمُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ كَاطِمٌ
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُوى وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوهِي قَوَاهُ الْعِظَامُ
وَلَوْ كَانَتْ سَحَابًا أَجَرَ لِسَانَهُ ^(٢) (أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعِزَامُ)
هِيَ السَّحَرُ ، لَا مَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ هِيَ الدَّرُّ ، لَا مَا أَلْفَتْهُ النَّوَاطِمُ
فَرِيدَةٌ دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ عَلَيْهَا ، وَلِلْأَسْمَاعِ فِيهَا تَزَاحِمُ
إِذَا أُنْشِدَتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ سَامِعٌ : أَنْفَتُهُ سِحْرٍ ، أَمْ رُقَى ، وَتَمَانِمُ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي بَدَوْلَتَهُ الدَّهْرُ الْمُقْطَبُ بِاسْمِ
وَأَتَى أُمْنِي النَّفْسَ لَثَمَ بَنَانِهِ وَمَا كَانَ قَبْلِي لِلْسَحَابِ لِأَنِّمِ
فَفِيهَا مَنَایَا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمُ وَفِيهَا بِحَارٌ لِلْعَطَايَا خَضَارِمُ
وَحَطَى رِحَالُ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ بِحَيْثُ اعْتَدَا الْآمَالِ فِي الْمَالِ حَاكِمُ
وَيَعْجَبُ مِنِّي النَّاسُ ، حَتَّى يَقُولَ مَنْ رَأَى : إِلَى الْجَنَّاتِ قَدْ عَادَ آدَمُ
قَضَيْتُ ، لُبْعَدَى عَنْ ذُرَاهُ ، نَدَامَةً وَلَا عَجَبُ إِنْ مَاتَ بِالْهَمِّ نَادِمُ
أَتَتْكَ ابْنَةُ الْفِكْرِ الْحَسِيرِ ^(٣) ، بِوَأْتَمَّا تَسِيرُ مَسِيرَ الْبَدْرِ ، وَاللَّيْلِ عَاتِمُ
بِمَدْحٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مُمَدَّحٍ جَدِيرٍ بِأَنْ يُغْلَى بِهِ السُّومَ سَائِمُ
تَسُومُ ^(٤) جَمِيلَ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالِ ، إِنَّهُ بِذَوْلٍ لَهُ فِيمَا قَضَتْهُ الْمَكَارِمُ
تَضْمَنُ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأُورَاقُ الْكِتَابِ كَجَامِ
فُدِمْتَ ، وَدَامَتْ هَالَةً ، أَنْتَ بِدْرِهَا وَمُلْكُكَ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ، دَانِمُ

(٢) أجز لسانه : منه من الكلام .

(١) الصم : جمع أصم ، يريد به الجور .

(٤) سام : أراداد .

(٣) من حسر إذا أعيا

قافية النون

(٣٤٤)

وقال^(١) :

إليك ، فما تلتى شئونك^(٢) شأني
ولا تجزعى من بغتة البين، واصبري
ولا تحملي^(٣) هم اغترابي ، فلم أزل
وفياً ، إذا ما خان جفنٌ لناظرٍ
فلا أسدٍ غيلٌ حيثُ حلتُ، وإنما
ولا تسأليني عن زمانى ؛ فإننى
ولكن ، سأل عني الزمان ، فإنه
رمتني الليالى بالخطوب جهالةً
فما أوهنت عظمى الرزايا ، ولأهأ
وكم نكبة ظنَّ العدا أنها الردى
وما أنا ممن يستكينُ لحادثٍ
وإن كان دهرى غال^(٤) وفري فلم يغل
ولا تملك العينُ الحسان عَنائي
لعلَّ التَّانِي مُعْتَبٌ لشدائي
غريبَ وفاءٍ في الورى وبيانٍ
ولم ترعَ كُفُّ صحبةٍ لبَّانٍ
يهابُ التَّانِي قلبُ كلِّ جبانٍ
أنزله عن شكوى الخطوب لِسَانِي
يحدث عن صبرى على الحدَّانِ
بصبرى على ما نابني^(٥) وعَرَاني
بحسنِ اضطبارى في المُلمِّ يدانٍ
سمتُ بى ، وأعلتُ في البرية شأني
ولا يملأُ الهولُ المخوفُ جَنَانِي
ثنائي ، ولا ذكرى بكل مكانٍ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشئون : الدموع .

(٣) هنا البيت والبيت الذى بعده وردا في ابن عساكر بعد قوله " فلا أسد "

(٤) في ابن عساكر " فالتى " .

(٥) غال : أهلك .

وما كَانَتْ إِلَّا لِلنَّوَالِ وَلِلْعَرَى وَغَوَّثًا لِلْمُهَوِّفِ ، وَفِدْيَةً عَانٍ^(١)
حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطَعَانٍ
وَلَمْ أَذْخِرْ لِلدَّهْرِ ، إِنْ نَابَ أَوْ نَبَأَ^(٢) وَلِلنَّخَبِ إِلَّا صَارِي وَسِنَانِي
لَأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ وَكُلُّ الذِّى فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَإِنْ

قافية الهاء

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَغُصُّ الْأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبَى هَمَّتِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مُنَاهَا
أَنَا فِي كِفِّهَا بِكَدْوَةِ نَارٍ كُلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(١) العاني : الأسير .

(٢) نَبَأَ : فُجِعَ .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تجزَعَنَّ لخطبٍ فكلُّ دهرِكَ خطبُ
وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
تروحُ سَلماً ، وتغدو على الفتى ، وهى حربُ
ولا تَضِقْ باصطبارٍ ذَرعاً ، إذا اشتدَّ كربُ
فصبرُ يومِكَ مرٌّ وفى غَدٍ هو عَذْبُ
كم صابرَ الدهرِ قوم فأدرِكوْا ما أُحِبُّوا
وكلُّ نارٍ حريقٍ يُخشى لظاها سَتَحِبُّوا

(٣٤٧)

وقال :

أَيْحَسْبُ دَهْرِي . أَيْ جَزَعْتُ ، لَمَّا غَالَ مِنْ نَشْيٍ ^(١) وَانْتَهَبَ
فَقَدْ أَخْلَصْتَنِي أَحْدَانُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَاصُ الدَّهْبِ
وَمَا حَطَّنِي أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعَةُ مَا وَهَبَ
وَمَا لَنَا إِلَّا كَفْؤُ الشَّهَابِ ، إِذَا نَسَّسُوهُ اغْتَلَى وَالتَّهَبُ ^(٢)

(١) النَّشَبُ : المال الأصيل .

(٢) عبر عن هذا الخاطر بالبيت السابق ص ٢٢٩ ، وهو :

أما في كفها بكثرة نار كلها نكت تعالى سناها

(٣٤٨)

وقال :

لأصبرنَّ لدهرى صبرَ مُحْتَسِبٍ حتَّى يَرَى غيرَ ما قَد كان يَحْسِبُهُ
وَأَسْتَمِيتُ لما تَأْتِي الخطوبُ به لِيَعْلَمَ الخطبُ أُنَى لَسْتُ أَرْهَبُهُ
إِنْ غَالَبَتْنِي عَلَى وَفْرِ نَوَائِبِهِ فَحَسُنُ صَبْرِي فِي اللُّأْوَاءِ يَغْلِبُهُ ^(١)
أَوْ أَبْعِدْتَنِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَأَبْعَدُ الْفَرَجَ الْمَرْجُوَّ أَقْرَبُهُ
وَالْدَّهْرُ يَهْدِمُ مَا يَبْنِي ، وَيُخَمِّدُ مَا يُورِي ^(٢) ، وَيُبْعِدُ مَا يُدْنِي تَقْلِبُهُ

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دَغْ ذَا ، فَمَا عُدِرُ الْفَتَى فِي غِيَةِ ، وَالْفَوْدُ ^(٣) شَائِبُ
وَالْأَرْيَحِيَّةُ تَمْنَعُ الْكُرْمَاءَ أَنْ يَغْشَوْا الْمَعَايِبُ
وَالْجَهْلُ يَأْبَى أَنْ يَكُوْنَ لَهُ أَخُو السَّيِّئِ صَاحِبُ

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تقدمت ^(٤) :

كَفَّ عَنِّي وَاشْرَ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنْ التَّصَابِي الْمَشِيبُ
وَأَرْتِي السُّتُونَ نَهَجِي ، وَقَدْ كَا نَ عَفَا ، وَهُوَ مَهْيَعٌ ^(٥) مَلْحُوبٌ ^(٦)
وَانْقَضَتْ شِرَّتِي ^(٧) ، وَشَدَّ لِي الْحِلْمُ حُبًّا ^(٨) ، لَا يَحِلُّهَا مَا يَرِيبُ

(١) الوفير : الفنى . واللأواء : الشدة . (٢) أودى اللد : أوقطط .

(٣) الفود : معظم شعر الرأس مما على الأذن . (٤) انظر صفحة ص ٧ .

(٥) طويق موهج : بين . (٦) لعب الطريق : بيته .

(٧) شرتى : نشاطى .

(٨) احتنى بالثوب : اشتل ، أوجع بين ظهره وساقيه بهامة ونحوها . والاسم الحبة وبضم .

وخبِرْتُ الأَيَّامَ حَتَّى لَقَالَ السَّنَاسَ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيبُ
وَعَزِيزٌ عَلَى أَنِي وَقَدْ بَرَّ بَتْ دَهْرِي ، لَمْ يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وَإِذَا حُمَّتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمْرُ فِي الرَّأْيِ ، حَيْثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء

(٣٥١)

وقال (١) :

لَا تُنْكِرَنَّ مَرَّ الْعِتَابِ ، فَتَحْتَهُ شَهِدٌ ، جَنَّتَهُ يَدُ الْوِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالْدَّرُ يُطَلَّبُ فِي الْأُجَاجِ الْمَالِحِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَخْتَشِي ، أَوْ تَرْجِي تَظْفَرُ بِحُسْنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاحِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لَمَّا صَابَرُوا ظَلَمَ السُّرَى أَفْضَوْا إِلَى الْإِصْبَاحِ

قافية الحاء

(٣٥٣)

وقال :

تَزَهَتْ نَفْسِي عَنْ مَنْ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَتْ بِهِمْ رُبُّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَمَخُوا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْنِي إِلَى طَمَعِ يُزْرَى (٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هذان البيتان مما يرويهما مسالك الأبصار لأمانة ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أزرى : غاب ..

وقال :

مِرْعَنَ بِلَادِهِمْ فَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا عَيْسَى مَحُولَ مُعْرِسِي وَمُنَاجِي^(١)
وَدَعَ الْأَمَانِي ، إِنَّهَا غَرَارَةٌ ووعودُهَا لِلطَّامِعِينَ أَوَانِي^(٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ سَرَابَهَا غَيْرُ الْمَطَالِ بِمَوْعِدِ مُتَرَانِي

قافية الدال

وقال :

أُنْظُرْ بَعِيدِيكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُلُومُ عَلَى الْمَوَدَّةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّخَاءِ عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةٌ
وَلِكُلِّ مَا تَأْتِي وَتَمُوتَى إِنْ صَبَرْتَ ، مَدَى وَمُدَّةٌ

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَبَتْ عَلَى فَعْلٍ الْخَيْرِ وَالْجُودِ
وَلِإِنْ تَوَلَّتْ ، فَقَدْ رَادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ^(٣) ، جُلُودِ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقُضِي خُطُوبُهُنَّ الْبَيْضَ وَالسُّودِ

(١) معزى : من عرس القوم زلوا في آخر الليل للاستراحة . والمناخ في الأصل : مبعك الإبل . والمحول

المكان الجلب .

(٢) الأواني : جمع أنية وهي عود في حائط أو في جبل يدفن طارفا . في الأرض و يبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة .

(٣) اللأواء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقُظُ ، فَن يَسْنَاكَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَخْدَعُ الْيَقْظَانِ مَنْ هُوَ رَاقِدُ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمُبَارِدُ
وَتُلْقَى الْأَسْوَدُ بِالْخَدِيعَةِ فِي الرَّبَى ^(١) وَلَوْ جُوهرَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَانِدُ
وَإِهْمَالُ مَا يُخَشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكُ وَمَصْرُوعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتُ شَاهِدُ

(٣٥٨)

وقال ^(٢)

سَانِقٌ وَفَزَى ^(٣) فِي اكْتِسَابِ مَكَارِمِ أَظَلَّ ^(٤) بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْهِجَاءِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أَتَخَشَّى عَامِلًا ^(٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ فِتْنٍ يَلْقَى الْمِنِيَّةَ ضَاحِكًا ^(٦) كَأَن لَّهُ فِي الْقَتْلِ ^(٧) عَيْشًا مُجَدِّدًا
وَإِن نَلْتُ مَا أَرْجُو فَلِلْجُودِ ^(٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الرَبَى جمع زبية : حفرة للأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب " مَالِ " .

(٤) في المصدر قسه " أَعِيشَ " .

(٥) عامل التَّوَجُّع : صدره . والمَهْنَد : السيف .

(٦) في المصدر السابق " بِأَسْمَا " .

(٧) " فِي الْمَوْتِ " .

(٨) " ظَلَمَجْدَ " .

(٣٥٩)

وقال :

لا ترغبن فيمن إذا شاهدته وخبرته ، لم تُلَفِه بالشاهد
ومتى أردت تكثراً بدونه فاعلم بأنك لم تزد عن واحد

(٣٦٠)

وقال :

تلق ذوى الحاجات بالبشر ، إنه إلى كرماء الناس أشهى من الجدا^(١)
عسى من يُرجى سيبك اليوم يغتنى فتصبح فيمن ترتجى سيبه^(٢) غداً

(٣٦١)

وقال :

ارض الخمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ، ومن معاندة العدا
دون المعالي عدوة^(٣) إن خضتها متفحماً^(٤) أوردت مهجتك الردى
وإذا سلمت ونلت أيسر بغية منها جعلت لك البرية حسداً
فاسمع نصيحة من يكاد لعله بالدهر يدرى اليوم بالآتي غداً

(٣٦٢)

وقال :

ما كف كفى عن جودى بموجودى نواب ، وملأت لحت^(٥) عودى
في اليسر أبذل ميسورى ، وأبذل فى عسرى لطالب رفدى شطر موجودى

(١) الجدا : العطية .

(٢) السيب : العطاء .

(٣) العدو : المكان المرتفع .

(٤) متفحماً : من نعم فى الأمر : رى نفسه فيه نجاة بلا روية .

(٥) لحا العود : قنبره .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ ، فَصَبِرًا
فَالدهرُ يُرْهِقُ عُسْرًا وَيُنْبِغُ العُسْرَ يُسْرًا
لَوْ دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لَدَامَ مَا كَانَتْ سَرًّا

(٣٦٤)

وقال ^(١) :

أَتَى الخَطُوبَ إِذَا طَرَفْنَ بِقَلْبٍ مُحْنَسِبٍ صَبُورٍ
فَسَيَنْقُضِي زَمَنُ الحَمَوِ مِ ، كَمَا انْقَضَى زَمَنُ السَّرُورِ
فَنَ الحَالِ دَوَامُ حَا لٍ فِي مَدَى العَمْرِ القَصِيرِ

(٣٦٥)

وقال ^(٢) :

أُسْتُرْهُمُومَكَ بِالتَّجْمِيلِ ^(٣) ، وَاصْطَبِرْ إِنْ الْكَرِيمَ عَلَى الْحَوَادِثِ يَصْبِرُ
كَالشَّمْعِ ، يُظْهِرُ نُورَهُ مُتَجَمِّلًا خَوْفَ الشَّمَاتِ ، وَفِيهِ نَارُ تُسْهِرُ

(١) هذا الشعر ما دوى لأسامة في الغريدة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هذا الشعر ما دوى لأسامة في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجميل : التصبر .

(٣٦٦)

وقال :

لا تَأْمَنْنَ كَيْدَ الْعَدِ وَ ، فَأَمْنُ كَيْدِهِمْ غَرَزٌ^(١)
كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْقَوَى ، أَوْ الضَّعِيفَ ، عَلَى حَذَرٍ
فَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ طَبْعاً ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْ وَاحِدًا ، أَوْ فَالْتَمَسْ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدَى وَرَعٍ وَطِيبِ نِجَارٍ^(٢)
وَاحْذَرْ مُصَاحِبَةَ السَّفِيهِ ، فَشَرُّ مَا جَلَبَ النَّدَامَةَ صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذَى يُجْتَنَى مِنْهَا النَّارُ ، وَذَى وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَنْفَقْتَ مَا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَفَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدَيَّ وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غرر بنفسه : عرضها للهلكة . والاسم الفرر .

(٢) المحتد : الأمل والطبع . والنجار : الأمل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَبْوَابِهِ مُتَكَسِّبٌ وَمَعَاشُ
وَأَعْلَمَ بِأَنْتَهُمْ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، نَارٌ ، وَنَحْنُ فَرَّاشُ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ مِنَ الْهَمِّ يُنْسَى إِذَا مَضَى
وَالَّذِي سَاءَ مِنْ زَمَا نِكَ سَهْلٌ مَعَ الرِّضَا
وَأَخُو الْحَزْمِ مَنْ إِذَا أَعْضَلَ الْأَمْرُ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أَصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَائِتَهُ قَوَادِمُهُ لَا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إِذَا نَهَضَا
أَرْوَحُ مِنْ نَائِبَاتٍ لَا تُغَبُّ وَمِنْ هُمُومٍ عَيْشٍ كَمَا لَا اشْتَهَى غَرَضَا
لَكِنِّي قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَمَا يَرَانِي لِحَطْبٍ نَابٍ مُنْقَبَضَا
أَلْقَى الْحَوَادِثَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَمَقْدُورَ الْقَضَاءِ بِتَسْلِيمٍ لَهُ وَرِضَا
عِلْمًا بِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ الزَّمَانِ ، فَكَمْ رَأَيْتُ مُبْرَمَ أَمْرٍ عَادَ مُتَقَبَضَا

(١) استقله : حمله ورضه . واستقل الطائر : ارفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشتره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تَسْتَكِنَ لِلْهَمِّ ، وَاثْنِ جِمَاحَهُ بِعَزِيمَةٍ فِي الْخَطْبِ لَا تَتَضَعُضَعُ
فَإِذَا أَتَى مَا لَيْسَ يُدْفَعُ فَالْقَهْ بِالصَّبْرِ ، فَهُوَ دَوَاءٌ مَا لَا يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ يَسْرُهُمْ مَا سَاءَ نَأَى : لَا زَايَلَتْكُمْ حَسْرَةٌ وَتَلَهْفُ
شَمْلِي ، بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ نَشْتٍ وَتَفْرِقُ ، مُتَجَمِّعٌ مُتَأَلِفُ
وَالْمَالُ إِنْ غَالَ الزَّمَانُ تِلَادَهُ وَسَلَنْتُ ، سَدَّ مَكَانَهُ الْمُسْتَطَرَفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إِلَى كَمْ تَرْتَجِي عَطْفَ الْمُلُولِ وَتَسْتَجِدِي نَوَالًا مِنْ بَحْيِلِ
كَأَنَّكَ فِي الَّذِي حَاوَلْتَ سَاعِجَ لِمَجْعِ ضُحَى نَهَارِكَ بِالْأَصِيلِ
لَقَدْ أَوْقَعْتَ قَلْبَكَ فِي عَنَاءٍ كَبِيرٍ فِي رَجَاءٍ جَدًّا^(١) قَلِيلِ

(١) الجدا : العطية .

وفي الأطماع للعتَرِ ذُلٌّ وحُسْنُ اليأسِ عزٌّ للذَّلِيلِ
فلا تعصِ النهى؛ فالخزْمُ ناهٍ لمثلِكَ عن طِلابِ المستحيلِ
تَنَاسَوْا، أو نَسُوا عهدى، وما لَوْا إلى بَجدِ الهوى كُلِّ المَعِيلِ
ولمَّا أن رَأَوْا حَسَنِي قَبِيحًا رأوا غَمَطَ الجميلِ من الجميلِ
سَلَوْا، وتبدَّلُوا بك، فاسلُ عنهم ودَعْ ما رابَ منهم للبدِيلِ
ولا تَتَطَلَّبِ الأعواضَ عنهم فكلُّ الناسِ من أبناءِ جِيلِ
ولا تَجَزَّغْ لغيرِ من خَلِيلِ فقد نُسِخَ الوفاءُ من الخَلِيلِ
وأغضِ على القذى عينا، وسَكِنِ حشاكَ على جَوَى الهمِّ الدخِيلِ

(٣٧٥)

وقال :

ولمَّني لعصاة العواذل، لا أرى على شعث^(١) الخُلَّانِ مستبدلاً خلاً
ضنينٌ بمن صاحبتُ، أحسبُ أنه إذا بانَ، لا ألقى له أبداً مثلاً

(٣٧٦)

وقال :

أيها الرِّيعُ المحيلُ جدَّ بي عنك الرَّحيلُ
لستَ بالدارِ، ولا فيكَ لمن يَضْحَى مَقِيلُ^(٢)
غَابَ عَنِّي الرُّشدُ في قَصْدِيكَ والرَّأْيُ الأصيلُ
نَمْلَةٌ كانت، ولُطِفَ اللهُ ما زالَ يُقِيلُ

(١) شعث : تفرير .

(٢) ضى كسى : أصابه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . واعم المكان : مقيل .

ما مُقامُ الحرِّ في أرَضٍ بها الناسُ قليلُ
بلد فيه عزيزُ القومِ مقهورُ ذليلُ
لستُ أرجوكَ وقد لا حَتَّ لعنَى المحوّلِ
إنما يرتادُ أرضَ السَّجَلِ مغرورُ جهولُ

(٣٧٧)

وقال ^(١) :

أين ^(٢) غَضَّ دهرٌ من جماحي ، أو ثنى عَناني ، أو زلتَ بأخمصي النَّعلُ
تظاهرَ قومٌ بالشماتِ ؛ جهالةٌ وكم إحنة ^(٣) في الصدرِ أبرزها ^(٤) الجهلُ
وهل أنا إلا السَّيفُ فللِ حده قراعُ الأعادي ، ثم أرهفه الصَّقلُ

(٣٧٨)

وقال :

توالى إلى السَّائِلُوبِ ، وإنني لائفُ ألا يدركَ السُّؤْلَ سائلي
ولكنَّ مستوري كظاهِرِ حالمٍ فما حيلتي ، والحظُّ حربُ الفضائلِ
ولو بسطتُ أيدي الحوادثِ من يدي تلقتهُم قبلَ السُّؤالِ بنائلي

(١) روى هذا الشعر في خريدة القصر ١ : ١٠١ و ياقوت : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة و ياقوت « لئن غض » . (٣) الإحنة : الحقد والغضب

(٤) في الخريدة « أبرزها » .

(٣٧٩)

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رفعتُ وما بأيديهمُ رِزقي ولا أجلي
ما قَدَّرَ اللهُ لا أسطيعُ أدفعه وما لهم في سوى المقدور من عملٍ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَضَّني دهرِي بما أذهبَ من مالي
فهمني بالنجمِ معقودةً ما حطَّها ما حال من حالي
كلَّنا إن نكَّسها قابسٌ لم يتنَّس نورها العالی

قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شَغَفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكرمِ
ما غالَ دهرِي وفَرِي في ثقلِهِ إلا جعلتُ الندى سِتراً على العدمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا هِجْمَةٌ^(١) للحقِّ إن نابَ، والفري وللبَّارِ ما تنفكُ نهباً^(٢) مقسماً
إذا همي لم يعجلِ إلى الضيفِ درُّها أدرَ إيمانِي من عراقيها النِّعَمَا

(٢) التَّب : الضيعة .

(١) الهجمة من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لَا تُودَعَنْ سَمْعُ أَجْ شَكِيَّةٌ فَالْقَلْبُ أُولَى بِالذِّى أَجَنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنَّْا

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْمِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَهُمُّ أَنْ يَذْكُرَ الْقَوْمَ اللَّثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْجُرْهُمْ عَنْهُمْ ، وَأُنْثِيهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلَبُ الْغَنَى ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذِكْرُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْإِبْرَايَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَهْطُ ذَا ، وَقَصْرُهُمُ^(٢) الْمُنَايَا

(١) أجن : ستر . (٢) قصرهم : غائبهم .

ورأيتُه مُسْتَرْجِعًا تَزَرَ المواهب والعطايا
مُتَغَايِرَ الأحوالِ مَخْتَلَفَ الصَّرَائِبِ^(١) والسَّجَايَا
لا نعمةً فيه تدو مُ ، ولا تدومُ به البَلَايَا
لم أَغْطِ فيه بفائدةٍ ، ولم أَخْشَ الرِّزَايَا

(١) الصَّرَائِبُ : جمع صَرِيبةٍ وهي الطليعة .

في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صَبَرْنَا على البلاء احْتِسَاباً لَرَجَوْنَا عنه جَزِيلَ الثَّوَابِ
غير أَنَّ اصْطِبَارَنَا صَبْرٌ عَجْزٌ واضْطِرَارٌ ، كَذَاكَ صَبْرُ الدَّوَابِ
فلَحَى^(١) الله أَنْفُسًا تَرْضَى العَيْشَ ، إِذَا كَانَ فِيهِ دُئْلُ الرِّقَابِ

(٣٨٧)

وقال :

حَسْبِي مِنَ الْعَيْشِ خَيْرُ الْعَيْشِ يُدْرِكُهُ سَوَايَ بِي ، وَلِي الْأَوْصَابُ^(٢) وَالنَّصَبُ
كَأَتَيْتِ الْبُؤْسَ^(٣) تُسْتَمَرَّى^(٤) الْعَجُولُ^(٥) بِهِ وَلِئِمَّا لِسَوَاهُ الدَّرِّ وَالْحَلَبُ

(٣٨٨)

وقال^(٦) :

[بُعْدًا لِمَنْ]^(٧) شَرُّهُ أَنْعَمَى ، يُصِيبُ وَلَا يَرَى مَكَانَ الْأَعَادَى مِنْ ذَوَى النَّسَبِ
[كَالْتَارِ تَحْرَقُ]^(٧) طَبْعًا ، لَا تُمَيِّزُ بَيْنَ الْمُنْدَلِ^(٨) الرُّطْبِ ، فِي الْإِحْرَاقِ ، وَالْحَطَبِ

(١) لحى الله فلانا : فجع ولعمه . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء . والتعب .

(٣) البؤس : جلد الحواري يحنى تبسًا ، فيقرب من أم الفضيل ، فتعطف عليه ، فتدثر .

(٤) من مرى الناقة : مسح ضرعها للدر .

(٥) العجول : التكلل والواله من الإبل .

(٦) البيتان من مختارات المسالك لأدامة (١٠ : ٥٠٦) .

(٧) سقط بالأصل . والتكلمة من مسالك الأبحار .

(٨) المندل : المرود ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلَفْتُ الكجَاوَةَ^(١) بعد الثُّفُورِ ، وطَابَتْ ، وما خَلَّتْها لى تطيَّبُ
وصرفُ الزَّمانِ ، كما قَدْ علِمْتَ ، أَمَنَّكَ اللهُ مِنْهُ ، عجيبُ
يُعِيدُ صديقَكَ ، وهو العدوُّ وَيَأْنِي بغيضَكَ وهو الحبيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أما ترى المَاجِدَ المفضَالَ ترفَعُهُ أَيَّامُهُ ، وهو بالإِحسانِ مَقْتَرِبُ
طَوَعَ القِيَادِ كغُصَنِ البَانِ يَجْذِبُهُ مرُّ النَّسيمِ ، على ضَعْفٍ ، فينجذبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمَلًا ينجذبُ زهرةً ، كلَّما أَخَذَتْها نَمْلَةٌ انزعَمَتْ منها أخرى :
شاهدْتُ نَمَلًا قد مَجْذَبٌ زهرةً ذَا قد تَمَلَّكَهَا ، وهذا يَسْلُبُ
مثلُ الملوكِ مَجْذَبُوا الدُّنيا ، فَكَا حَصَلَتْ لِمَغْلُوبٍ وَلَا مَنْ يَغْلِبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يا آيَفَ الهَمِّ ، لا تَقْنَطْ ، فأياسُ ما تَكُونُ يَأْتِيكَ لُطْفُ اللهِ بِالْفَرَجِ
ثِقِ بِالذِّى يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَيُنْجِي مِنَ الْبَلَوِ ، وَيَسْتَنْقِذُ الْغَرَقَى مِنَ الْخَبْجِ

(١) الكجَاوَةُ (بالفارسية) : الخودج . فاعله يريد هنا : الاثروا . والبعد عن الناس .

(٣٩٣)

وقال :

ثَقَلِي إِذَا نَادَيْتَنِي لِمَلَّةٍ أَجْدَى مِنَ الْمَتَسَرِّعِ الْهَلْبَاجِ^(١)
إِنَّ الْأَنَاءَةَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَتَى تُغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَفْعٌ يُرْجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةُ الْإِنْفَاجِ

قافية الحاء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي جَرَتْ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، دُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنَحَا
لَكِنَّهُ لَلْحِفْظِ مِيزَانًا تَرْفَعُ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَالْمَحْطُّ مِنْ رَجْحًا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهْتَهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصِّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ ثُمَّتَ يَهْتَدِي
كَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَضَحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سَنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا زَمَنَ الْهَمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةُ مَوْلِيدِي

(١) في القاموس : الهلجاجة : الأحمق .

(٢) الدلج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر مما روى في خريدة القصر ١ : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ٥ : ١٩٥ ، ورسائل الأبرار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية باقوت ونريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحت في زمنٍ يسُيبُ لجوره فودُ الجنين، ويهرمُ المولودُ
وإذا شكونا اليومَ، ثم أتى غدٌ قلنا : ألا ياليتَ أمسِ يعودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودع أخا العزم مصرًا، لالميس، وخُضْ بالسَّاحاتِ بحارَ المهمةِ البدي^(١)
ويزرعن الأرض تنبو بالكرام، فقد طال انتظارُ الجنى من يابسِ العودِ

(٣٩٨)

وقال :

صديقُ لي، تنكَّرَ بعد وُدِّ وأُمِّ الغديرِ في الدنيا ولودُ
أراه مَلالُهُ حَسَنِي قبيحًا فصَدَ، وأيسرُ الغديرِ الصُّدودُ
وذمَّ اليومَ ما حمدته منى تجارِبُهُ ، وأوس به شهيدُ
ولستُ ألومه فيما أتاه أساء ، فراهُ الفعلُ الحميدُ
وقد يجِدُ المريضُ الماءَ مرًا بفيه ، وهو سلسالُ برودُ

(١) المهمة : المفازة البعيدة . واليد : جمع يدا . وهي الفلاة .

(٣٩٩)

وقال :

مَضَتْ لِدَاتِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَيِّتًا كَمَدًا
وَمَا أَرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ الشَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْفُقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ يَسْكُنُهُ الْإِنْسَانُ مُنْفَرِدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْحَظُوظُ فَيَسْتَعْلِي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مُحْدُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدِ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنَّ الْعُلَا بِالْحُدُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجْهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالْشَّمْسُ أَدْنَى سَجَابٍ عَنْ^(٤) يَسْتَرُهَا
وَإِنْ هُمْ كَدَّرُوا صَفْوِي بِغَيْشِهِمْ فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَذَى^(٥) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرٍ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شُهِرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَنِي النَّاسِ وَالْحَضَرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَفَى ضَوْؤُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصَرٍ

(١) اللدات : جمع لدة ، وهو الترب . (٢) المحذور : المحروم والمنوع من الخير .
(٣) الجدد : الحفظ . (٤) عن : ظهر . (٥) القذى : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدِي ولساني عن نوالٍ وعن أمرٍ
فما يَحْتَنِي الأعداءُ بأبي وسطوي ولا يَرْجِي الإخوانُ نفي ولا نصري
إذا نابهم خطبُ فكلُّ استِطاعتي تلهُبُ^(١) أنفاسَ أحرَّ من الجمرِ
ولا خيرَ في الدنيا إلى ولو صفت إذا كان لا يرجي لنفع ولا ضررٌ

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهلٌ على العارِفِ بالدِّهرِ مانابٌ من مُستَضِعِبِ الأمرِ
وكلُّ ما استُعِظِمَ من حادثٍ مُستَضَعِرٌ في جانبِ الصَّبرِ

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسنِ صَبْرِ الشَّمْعِ ، يُظهرُ لا رائينَ نوراً ، وفيه النارُ تَسْتَعْرِ
كذا الكريمُ : تراه ضاحِكًا جدلاً وقلبه بدخيلِ الهَمِّ^(٣) مُنْفَطِرُ

(١) في هامش الديوان "نضم" رواية .

(٢) هذان البيتان مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠١ ، رباغوت ٥ : ١٩٩ .

(٣) رواية رباغوت "الهم" .

(٤٠٦)

وقال :

اضْبِرْ عَلَى مَا كَرِهْتَ تَحْظَ بِمَا تَهْوَى ، فَمَا جَارِعُ بِمَعْدُورٍ .
إِنَّ اصْطِبَارَ الْجَنِينِ فِي ظُلَمِ الْأَحْ شَاءَ أَفْضَى بِهِ إِلَى النَّوْرِ

(٤٠٧)

وقال :

إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ وَإِنْ أَبْدَى الْمُدَاجَاةَ^(١) ، مَا تُخْفِي صَمَانَهُ
كَانْخَطُ يَلْحُظُهُ الْقَارِي ، فَيُرِصُّلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ نَظَرُهُ

قافية الزاى

(٤٠٨)

وقال :

اضْبِرْتَلْ مَا تُرْجِيهِ ، وَتَفْضُلُ مَنْ جَارَاكَ شَاوِ الْعُلَا سَبْقًا وَتَبَرِيزًا
فَالْتَبِرُ أَحْرِقَ بِالنِّيرَانِ مُضْطَبِرًا عَلَى لَظَاهَا ، إِلَى أَنْ عَادَ لِإِبْرِيزًا^(٢)

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) التبر : فات الذهب . والإبريز : الذهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبرِ إِذَا نَابَ خُطْبٌ، وانتظارِ فرجًا يأتي به الله بعدَ الرِّثِ^(١) واليَّاسِ
إنَّ اصطبارَ ابنة العنقود، إذ حُبِسَتْ في ظُلمة القَارِ، أدَّاهَا إلى الكَاسِ

(٤١٠)

وقال :

الضُّرُّ في أَيَّامِنَا هَذِهِ كاللَّيْلِ يَغْشَى سَائِرَ النَّاسِ
وكلُّهم راضٍ، وفوقَ الرِّضَا بُيُغَةِ الطَّاعِمِ والكَايِ
وَدُونَ ما يَرْجُوهُ ما نَبِعُ يَلْقَى وَجُوهَ النَّاسِ بِالْيَاسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أَرَانِي أَسْتَطِيلُ مَدَى حَيَاتِي وما في مَفْرِقٍ للشَّيْبِ وَخَطُ
ولو أَسْقَطْتُ مِنْهُ زَمَانٌ هُمِّي لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا الشَّخْصُ سَقَطُ

(١) الرِّث : الإبقاء .

قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطَاعٍ تُزَنِّعُهَا لَكَ الْمُنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَالْخَدَعِ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمَعِهِمْ وَجَدْتَ هُلْكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقٍ^(٢) رَجُعُ النَّدَاءِ جَوَابُهُ فَإِذَا عَرَا خَطْبُ فَأَبْعَدُ مَنْ دُعَى
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْفَى عَلَى مَكَانِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مِسْمَعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عِنْدَهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرَقٍ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَهْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ بِالْفَرَقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مُمَازِق : لم يظلمه .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديقٌ يُغُرُّ الأصدقاءَ، وما رأيتُهُ قَطُّ في وُدِّ امرئٍ صدَقًا
صديقُهُ أبدًا منه على وَجَلٍ^(١) كراكب البحرِ، يخشى دهره الغرقًا

(٤١٦)

وقال :

لا تقربنْ بابَ سلطانٍ، وإنْ ملأتْ هباتُهُ غيرَ مَمْنونٍ بها الطُّرُقًا
فإنَّ أبوابَهُم كالبحرِ : راكبُهُ مروءُ القلبِ، يخشى دهره الغرقًا

(٤١٧)

وقال :

أستُرُّ بصبرك ما تخفيه من كَمَدٍ وإنْ أذابَ حَشَاكَ الهمُّ والحُرْقُ
كالشَّمعِ يُظهرُ أنوارَ التَّجَمُّلِ، والدُّ موعٌ منهلةٌ ، والجسمُ مُحْتَرِقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

من رُزِقَ الصبرَ نال بُغْيَتَهُ ولاحظته السعودُ في الفلَكِ
إنَّ اضطبارَ الزَّجاجِ للسَّكِّ والدَّ سيرانِ أدناه من فَمِ الملكِ

(١) الوجَلُ : الخوف .

قافيه اللام

(٤١٩)

وقال ^(١) :

أُنْظِرْ إِلَى صَرْفِ دَدْرِي ، كَيْفَ عَوَّدَنِي بَعْدَ الْمَشِيبِ سِرْوَى عَادَاتِي الْأَوَّلِ
وَفِي تَغَايِرِ صَرْفِ الدَّهْرِ مَعْتَبَرٌ وَأَيُّ حَالٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلْ
قَدْ كُنْتُ مِسْعَرَ حَرْبٍ ، كُلَّمَا خَمَدْتُ أَضْرَمْتُهَا بِاقْتِدَاجِ الْبَيْضِ فِي الْقَالِيلِ ^(٢)
هَمِّي مَنَازِلَةُ الْأَقْرَانِ ، أَحْسَبُهُمْ فَرَائِيسِي ، فَهَمُّ مَنْ عَلَى وَجَلٍ
أَمْضَى عَلَى الْهَوْلِ مِنْ لَيْلٍ ، وَأَهْجُمُ مِنْ سَبِيلٍ ، وَأَقْدُمُ فِي الْهَيْجَاءِ مِنْ أَجَلٍ
فَصَرْتُ كَالْعَادَةِ الْمِكْسَالِ : مُضْجَعُهَا عَلَى الْحَشَا يَا وَرَاءَ السَّجْفِ ^(٣) وَالْكِلَالِ
قَدْ كَدْتُ أُغْفَنُ مِنْ طُولِ الثَّوَاءِ كَمَا يُصْدِي الْمَهْنَدُ طَوْلُ الْمَكِثِ فِي الْخِلَالِ ^(٤)
أَرْوَحُ بَعْدَ دُرُوجِ الْحَرْبِ فِي حُلٍ مِنَ الدَّبِيقِ ^(٥) فَبُؤْسًا لِي وَلِلْحُلَلِ
وَمَا الرِّفَاقَةُ مِنْ رَأْيٍ وَلَا أَرْبَى وَلَا التَّنْعُمُ مِنْ هَمِّي وَلَا شُغْلِي
وَلَسْتُ أَهْوَى ^(٦) بَلُوغَ الْمَجْدِ فِي رَفَةٍ وَلَا الْعِلَادُونَ حَطْمَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ٥ : ١٧٤ .

(٢) الذال : الجماعات من الناس . والقلة بالضم : أعلى الرأس والجمع قلل . والبيض : السيوف . وسعر الحرب :

أوقدها . (٣) السجف : السر .

(٤) الخلة : جفن السيف اغشى بالأدم والجمع خلال

(٥) الدبيق : كأمير بلد بمصر منها الباب الدبيقي .

(٦) في هامش الديوان « أَرْضَى » .

(٤٢٠)

وقال ^(١) :

إذا ما عرا خطبُ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّياليَ بالخطوبِ حواملُ
فكلُّ ^(٢) الذي يأتي به الدهرُ زائلٌ سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائلٌ

(٤٢١)

وقال :

كلُّ شيءٍ تراه في هذه الدنْيا يا خيالُ إذا انتهت يزولُ
ما يدومُ النعيمُ فيها ، ولا البؤسُ مناعُ الدنيا مناعٌ قليلُ
والذي يصرفُ الممومَ إذا ما ضقت ذرعاً بهنَّ صبرُ جميلُ

(٤٢٢)

وقال ^(٣) :

إني وثقتُ بأمرٍ غرَّني أُملي فيه ، وقد قيل : كم من واثقٍ خجلِ
عادتُ إلى الأمانِ منه آيسَةً فيا حياءَ المنى من خيبة الأملِ

(١) روى الطائف في تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن عساكر « وكل » .

(٣) روى هذان الطائفتان في مساند الأضار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ دِرْكٌ من رجاءٍ كاذِبٍ يَغْتَرُّنَا بِوَرُودِ لَامِعِ آلِ^(١)
أَبْدًا يُسَوِّفُنَا بِنُصْرَةِ خَاذِلٍ ووفاءِ خَوَّانٍ ، وَعَظْفَةِ قَالِ^(٢)
وَنَرَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِن مَالَنَا عَزَمٌ مَعَ الْأَمْوَاءِ وَالْأَمَالِ

(٤٢٤)

وقال :

لا تَعْنِبَنَّ مَنْ مَلَّ ، إِنَّ عَتَابَهُ كَثِيفٌ^(٣) مُعَوِّجٌ الظَّلَالِ الْمَكْمَلِ
يَلْقَى الْعِتَابَ بِسَمْعٍ لَاهٍ صَادِفٍ^(٤) وَيَرَى الْخُضُوعَ بِطَرَفِ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقَمْتَ دَلِيلَ قُبْحِ فَعَالِهِ دَفَعَ الْعِيَانَ بِحُجَّةِ الْمُتَجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لا يُؤَسِّفَنَّكَ مَا غَالَ الزَّمَانُ ، فَمَا يَرْضَى بِمَا^(٥) غَالَ : مَنْ وَفَرَ وَمِنْ مَالٍ
وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّدْرِيجِ يَنْقُلُنَا نَقَلَ الْمُخَادِعِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِمَا دُونَ النُّفُوسِ . وَمَا تُفْدَى إِذَا غَالَهَا ، حَاشَاكَ ، بِالْفَعَالِ

(٢) القائل : الميغص .

(٥) في الأصل (إذا) تحريف .

(١) الآل : السراب .

(٣) عطفه : سواه .

(٤) صدف : أعرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعلَ الأشغالِ عُدَّ رَأً في مُدافَعَتِي ومَطَرٍ
شُغْلِي إِلَيْكَ إِذَا اشْتَغَلْتُ، فإِذَا^(١) فرغتَ فأنتَ مِنِّي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَمْ أَجُوبُ الْأَرْضَ مَالِي مُعَرَّسٌ وَلَا لِمَسِيرِي فِي الْبِلَادِ قُفُولُ
كَأَنِّي فِي الدُّنْيَا قَدْ أَهَّيْتُ بِمَقْلَةٍ تَرَدَّدُ فِي أَرْجَائِهَا ، وَتَجُولُ
أَشِيمُ بِهَا بَرَقَ الْحَيَا^(٢) ، وَهُوَ خُلْبٌ وَأَرْتَادُ أَرْضَ الرُّوضِ ، وَهِيَ مَحُولُ
وَمَا مِنْ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا خَلَاصٌ بَغِيرِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ مَهُولُ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَّدَنِي فِي الْعَقْلِ أَتَى أَرَى عَنَاءَ الْأَيَّامِ بِالْجَهْلِ
وَالدَّهْرِ كَالْمِيزَانِ : ذُو الْفَضْلِ يَنْحَطُّ ، وَذُو النِّقْصَانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الْحُظُوظِ لِمَنْ أَصَبَنَ ، وَحَطُّ مَنْ أَخْطَأَنَهُ ، فِيهِ يَحَارُ الْعَاقِلُ
يُعْطَى الْغَنَى ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الْفَتَى كَالدَّيْكَ تَوَجَّ ، وَالْبُرَاةُ عَوَاطِلُ

(١) فِي الْأَمَلِ (فَإِذَا) . تَحْرِيف .

(٢) الْحَيَا : الْمَطَرُ . وَالْخُلْبُ : الطَّمَعُ الْخَلْفُ .

(٣) النَّدْبُ : الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ الطَّرِيفُ النَّجِيبُ .

قافيه الميم

(٤٣٠)

وقال ^(١) :

بِ مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ ^(٢) ، فلم يَزَعْ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَنْتِي ظِلَّهُ أَصَاحِبُهُ الدَّهْرَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامٍ
فَافْتَرَقْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَ رِزْقُ الْفَقَى بِقُوَّتِهِ نَازَلْتُ ضَارِي الْأُسُودِ فِي الْأَجَمِ
لَكِنَّهُ عَنِ مَشِيئَةٍ سَبَقَتْ فِي انْخِلَاقِ تَجَرِّي فِيهِمْ عَلَى الْقَسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرْشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهًا رَشَفَ الذُّعَافُ مِنَ السَّمِّ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرِهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانُ الْعِيُونَ مِنَ الْهَمِّ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أي العمر القاهل .

(٤٣٣)

وقال :

لَا تَأْسَفَنَّ لِذَاهِبٍ أَوْ فَاتٍ يُرْجَى ، وَلَا تُتْبِعْهُ زَفْرَةً نَادِمٍ
وَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثَانِ صَبْرَ مُسْلِمٍ مُتَيَقِّنٍ أَنْ لَيْسَ مِنْهُ بِسَلَامٍ
فَغَضَارَةُ الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ وَالْعَيْشُ فِيهَا مِثْلُ حُلْمٍ النَّامِ
وَالدَّهْرُ يَمْنَحُ ، ثُمَّ يَمْنَعُ نَزْرًا مَا أُعْطِيَ ، وَيَجْنَلُ بِالسُّرُورِ الدَّائِمِ
وَالنَّاسُ مِنْ لَمْ يَصْطَبِرَ لِمَهَامِهِ صَبْرَ الرُّضَا صَبْرَ اصْطِبَارِ الرَّاغِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قُلْ لِلرَّجَاءِ : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتَنِي بَعْدَ الْكَرَامِ
قَدْ عَمَّ دَاءُ الْبُخْلِ ، حَتَّى شَاعَ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
فَاكْفُهُم بِالْبُخْلِ مُقْفَلَةً عَلَى سُحْتِ^(١) الْحُطَامِ
فِي الْأَمِّ تَرْتَادُ الْحُورَ لَ ، وَتَرْجَى رَى الْجَهَامِ^(٢)

(٤٣٥)

وقال :

يَا أُنْعَى الشَّاكِي لِمَا أَشْكُوهُ وَالْحَامِلَ هَمِّي
وَنَسِيبَ الْوُدِّ لَا نِسَ بَةَ آبَاءِ وَعَمِّ

(١) السحت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لآما فيه .

ظلمتني دولةُ العَد ل ، فمن يَكشِفُ ظُلُمي
ومتى يُحَكِّم لي بالعَد ل ، والحاكِمُ خَصَمي

(٤٣٦)

وقال :

لَا تُطْلِعَنَّ لِسَانَ شَكْوَى بَائِحٍ صَجَرًا عَلَى سِرِّ الْفَوَادِ الْكَاتِمِ
وَعَالِمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ بَنُو الدُّ نِيَا يَزُولُ زَوَالِ حُلُمِ النَّائِمِ

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصْطَبِرْ لِلزَّمَانِ إِنْ حَافَ حِينًا أَوْ تَلَقَّكَ بِالْخَوَافِ حِينًا
إِنَّ صَبْرَ الْكَلِيمِ^(١) وَهُوَ طَرِيدُ الدَّ خَوْفٍ أَفْضَى بِهِ إِلَى طُورِ سِينَا

(٤٣٨)

وقال :

مَنْ مَلَّ فَاهْجُرْهُ ، فَقَدْ أَبَدَى لَكَ الْيَأْسَ الْمُبِينَا
أَعْيَا شِمَاسُ أُحْيِ التَّلَوْنَ وَالْمَلَالِ الرَّائِضِينَا^(٢)
لَنْ يَرْجَعَ الْفَخَّارُ بَعْدَ تَلَافِهِ بِالْكَسْرِ طِينَا

(١) الكلیم : موسى عليه السلام .

(٢) الشیماس : عدم الاقياد . وراض الفرس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

يا شاربَ الخمرِ بعدَ النَّسكِ والدينِ وبعدَ ما تَابَ عما رآبَ مُذِ حينِ
أفسدتَ دينَكَ، والسبعونَ أفسدتَ الدنيا، فلستَ بذى دُنْيا ولادينِ
ولأنَّما أنتَ نَفَّارٌ تَكسِرُ، لا يُرجى لنفجٍ ، ولا يُعَدُّ فى الطَّينِ

(٤٤٠)

وقال :

كم تقصِدُ المساجِدِينَ الفاضِلينَ، وكم تُعَلِّمُ الكرماءَ البُخلَ يازمَنُ
إذا تَوالتْ عليهم نائباتُكَ، واجتاحت^(١) فواضِلَ ما يُولونه المحنُ
فكيفَ بالجوْدِ والأحداثِ تُسَلِّبُ ما يُولى به العرفُ، أو تُسدَى به المننُ
شُغلُ الزمانِ بأهلِ النقصِ يرفعُهُم حتَّى يُجِرَّ للسرَّاثِ ما خَزَنُوا
ألهاهُ عن كرماءِ النَّاسِ، فهو على ذوى المكارمِ والأفضالِ مُضْطَفِنُ^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لا تَحْضَعَنَّ رَغْبًا وَلَا رَهْبًا، فما المَرَجُو والمَحْشَى إِلَّا اللهُ
ما قد قضاهُ اللهُ مالَكَ من يَدٍ بِدِفَاعِهِ ، وسواهُ لا تَحْشَاهُ

(١) الاجتناب : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطفن : انطوى على الحقد .

وقال :

نِلْتُ فِي مَصْرَ كُلِّ مَا يَرْجِي الْآ مَلُ : لِمَنْ رَفْعَةٍ ، وَمَالٍ ، وَجَاهٍ
فَاسْتَرَدْتُ مَا خَوَّلَنِي^(١) ، وَمَا أَسْرَعَ نَقْصَ الْأُمُورِ عِنْدَ التَّنَاهِي
كَنْتُ فِيهَا كَأَنِّي فِي مَنَامٍ زَالَ مِنْهُ مَا سَرَّ عِنْدَ انْتِبَاهِي

(١) قوله الله مالا : أَعْلَان .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشانمة برقاً بفودى راعها وما كل برق لاح يؤذن بالخصب
رأت شعراتٍ أخلقت بعد جذة ونفساً سلت بعد الغواية في الحب
فقلت : نهالك الشيب عن مَرَج الصبا ورداك بعد الجون دهرك بالعصب^(١)
فقلت : نعم أصبحت طوع عواذلى وأصبحت لا أصبو للهو ولا أصبي
ولا عجب : ليل تبليج بفره وحلم رمى شيطان جهلى بالشهب
وهم ورى بين الجوانح زنده أضاء له في مفرق لامع اللهب

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيب قد ردأك بعد دجى فوديك ، واهاً لذاك الليل ، بالعصب
وأسمعتك الليالى فى مواعظها أن ابن سبعين من ورد على قرب
أعرضت عن صبوات كنت ذا شغف بها ، وجانبت ما يدنى من الريب
وسرت طوع التهمى ، ترضى أنانى فى سبرى ، ومرى فى شدى وفى حجبى^(٢)

(١) الجون : الأسود . والعصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشد : العدو . والخب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١) :

لو كان صَدَّ مغاضِباً^(٢) ومُعَاتِباً^(٣) أَعْتَبْتُهُ^(٤) ، ووضعتُ خَدَيَّ تَائِباً
 لكن رَأَى تلكَ النَّضَارَةَ قد ذَوَتْ^(٥) لما غَدَا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٦)
 وتَعَاقُبُ الأَيَّامِ أَعْقَبَ لَمَتَى^(٧) من حَالِكٍ جَنَلٍ^(٨) شَكِيراً^(٩) شَابِياً
 ورَأَى النُّهْيَ بعد الغَوَايَةِ صَاحِبِي فَنَنَى العِنَانَ ، يُرِيقُ^(١٠) غَيْرِي صَاحِباً
 وأَبِيهِ ، ما ظَلَمَ المشِيبُ ، وإنَّه أُمِلَى ؛ فقلتُ : عَسَاهُ عَنِي رَاغِباً
 أنا كَالَّذِي ، لما انْتَهَى نَشْرَتْ لَهُ أَيْدِي الصَّبَاحِ من الضَّيَاءِ ذَوَائِبِ
 محسُونٍ من عُمرِي مضَتْ لم أَتَعْظَ فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عنها غَائِباً
 لم أَتَمَّعْ بِجَارِي فِيهَا عَلَى أَتَى لَقِيتُ من الزَّمانِ عَجَائِبِ
 وَأَتَتْ عَلَى بِمَصَرٍ عَشْرٍ بَعْدَهَا كَانَتْ عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِباً
 شَاهَدْتُ من لَعِبِ الزَّمانِ بِأَهْلِهِ وَتَقَلَّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١١) عَجَائِبِ

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صَحَا ، وللجَهْلِ أَوْقَاتٌ وَمِيقَاتُ وَلِلْغَوَايَاتِ وَالْأَهْوَاءِ غَايَاتُ
 رَأَى المشِيبَ كَبِيزٍ لَاهِنَةً لَهَا عَلَى فَوْدِهِ الْغَرِيبِ^(١٢) إِصْلَاحُ^(١٣)

(١) روى ياقوت في معجم الأدياب : ٥٠ : ١٩٧ والخريدة ١٠٠ : ١ البيت الأول والأبيات من الثالث إلى السادس .

(٢) في ياقوت والخريدة « معاتباً ومناضباً » . (٣) أعتبته : طلبت إليه العتي وهو الإضا .

(٤) ذوى الغصن : ذبل . (٥) نضب الماء : غار . (٦) النمة : الشعر المجاوز شمعة الأذن .

(٧) الجلل : الشعر الكثير الملتف . (٨) الشكير : الشعر اللين الرقيق . (٩) يريق : يبرد .

(١٠) الرقوب : التي لا يعيش لها ولد . (١١) الغريب : الشديد السواد . (١٢) أصلت السيف : جرده .

فراجعَ الحلمَ، وانجابت^(١) غَوَايَتُهُ وفي التَّهَى لِلْهَوَى الْمُرْدَى نِهَايَاتُ
والشَّيْبُ شُهْبٌ رَمَتْ شَيْطَانُ شِرَّتِهِ^(٢) فَأَقْصَدْتَهُ^(٣)، وَكَمْ تَنْجُو الرَّمِيَّاتُ
لِلَّهِ دَرُّ الصَّبَا، لَوْ دَامَ رَوْنَقُهُ فَمَا كَأَوْقَاتِهِ فِي الْعُمَرِ أَوْقَاتُ
وَلَا رَعَى الشَّيْبَ مِنْ زَوْرٍ^(٤) إِذَا نَزَلَ السَّمْنَى نَأَتْ، وَسَرَتْ عَنْهُ الْمَسْرَاتُ
طَوَالَعُ الشَّيْبِ إِنْ رَاقَتْكَ وَاضِحَةٌ طَلَائِعُ قَدَمَتَيْنِ الْمُنْيَاتُ

(٤٤٧)

وقال :

مَالِي رَأَيْتُ التَّلَجَّ عَمَّ شَيْبُهُ قُلِّلَ^(٥) الرُّبَا، فَزَهَتْ بِحَسَنِ نَبَاتِهَا
رَاقَ الْعَيُونَ، وَشَيْبُ فُودِي رَاعَهَا حَتَّى كَانَ الشَّيْبُ وَنَحْرُ^(٦) قَذَائِهَا

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دَعْ مَا نَهَى الشَّيْبُ وَالسَّبْعُونَ عَنْهُ، فَتَرِ بَاكَ : الصَّبَا، وَالشَّبَابُ الْغَضُّ قَدْ دَرَجَا^(٧)
واعتضتَ مِنْ فَتْكِ أَخْدَانِ الصِّبَاورَعَا وَمِنْ جَهَالَةِ أَيَّامِ الشَّبَابِ حِجَا
عُذِرْتَ، إِذْ جُرْتَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ، فَهَلْ عُذِرْتُ، وَشَيْبُكَ قَدْ أَذْكَى لَكَ الشَّرْجَا
وَمَا أَسَاءَتْ بِكَ الْأَيَّامُ إِذْ جَعَلْتَ فُودِيكَ دُرًّا ، وَكَانَا^(٨) قَبْلَهُ سَبَجَا^(٩)

(١) انجابت : انكشف .

(٢) أقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه .

(٣) قلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل والريوة .

(٤) زور : مات .

(٥) السج : خرز ، لعله أسود .

(٦) شرة الشباب : نشاطه .

(٧) الزور : الزائر .

(٨) الوزر : الطن لا يكون آنذا .

(٩) في الأصل (كانت) تحريف .

مافية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَنْتَبِذْنَ^(١) ، كأنَّها على الماء صَدْعٌ في الزُّجاجةِ بادٍ
وعَهْدِي بها فيما مَضَى ، وكأنَّها على الفِضَّةِ البيضاءِ نقشٌ سَوَادٌ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النهارُ بنُورِهِ تعَقَّبَهُ لَيْلٌ أحمٌ^(٢) رَكُودٌ
فما لي أرى لَيْلَ الشَّبَابِ إذا جَلَا وجاء نهارُ الشَّيْبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بياضَ مفارقي ، فاسترجعتُ أسفاً ، وقالت : أين ذاك الأسودُ
قلت : اضمحلَّ ، فأطرقتُ ، وتنفَّستُ نفساً تُصعِّده حُشاً تَتَوَقَّدُ
قلت : فَهَلْ من مَوْعِدٍ للقائنا فأرى نذيرَ اليَن ، قلت : المَوْعِدُ^(٣)

(١) الانتباز : التلحي . (٢) الأحم : الأسود من كل شيء .

(٣) يريد بالموعِد يوم القيامة .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جارَ عليك المشيبُ ومن ذا يُجِيرُ^(١) إذا الشيبُ جَاراً
وما كنتُ مغتبطاً بالشباب وهل كان إلا رداءً مُعاراً
ولكنتي ساءنى قَفْقَدُهُ فواهاً له ، أئى همُّ أثاراً
وما ساءنى أنْ إحالَ الزَّمانُ لئلى نهاراً ، وجَهلى وقاراً
ولكن يقولون : عَصُرُ الشَّبابِ يكونُ لكلِّ سرورٍ قَراراً
وما زلتُ مُنذُ تَرَدَّيْتُهُ تَكَايَطُ ليلٍ أعانى العثاراً
أَكْبِدُ دهرًا يُشِيبُ الوليدَ وهماً يَشُبُّ بأحشائى ناراً
فوجدى أئى فارقته ولم أبلُ^(٢) ما يزعمون اختِباراً

(٤٥٣)

وقال :

تَصَامَتُ عن لَوَمِ العذولِ ، كأنما رَمَى الوجدُ يومَ الينِ سَمْعِي بِالْوَقْرِ^(٣)
وقد كنتُ معذوراً بَانِفَةً^(٤) الصَّبَا فهل لى بَعْدَ الشَّيْبِ فى الجَهْلِ مِنْ عَذْرِ
وغيرُ ملومٍ مَدْبِجٌ^(٥) ضَلٌّ ، إنما يُلَامُ إذا ما ضَلَّ فى وَضَحِ الفَجْرِ

(١) أجار : أقمذ . (٢) أبلو : أخبر . (٣) الوقر : ذهاب السمع .
(٤) بانفة الصبا : مبه وأوليه . (٥) الدج : السير من أول الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ الْمَوْسَى، فَاسْفَنَى إِذْ عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَّلَجِ مَشْهُورًا
فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتُ تَغْيِيرُ صَبْغَتِهِ: سَبْحَانَ مَنْ رَدَّ ذَاكَ النَّدَّ كَاهُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ الْمَرْءِ مِنْ كِبَرٍ فَعَادَ كَالْقَوْسِ يَمْشِي، وَالْعَصَا الْوَتْرُ
فَالْمَوْتُ أَرْوَحُ آتٍ يَسْتَرْجِحُ بِهِ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْذِيبُ وَالضَّرَرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ الْمَرْءِ كَالْقَوْسِ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشِي، وَهِيَ تَقْدُمُهُ، وَتَرَى
وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفُهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهِ الْكِبَرُ
فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمْنًا مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ

(١) الند : العنبر . والكاهور : طيب خشبه أبيض مشر .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لِدَتِي وَإِخْوَانُ الشَّابِّ مَضَوْا قَبْلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أُتِيَ
كُنَّا كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ بَجَرُوا فِي غَايَةٍ ، فَتَقَدَّمُوا سَبَقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُوا حَتَّى تَضُمَّ الْحَلْبَةُ^(١) الْخَلَقَا

(٤٥٨)

وقال :

تَلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشْبِيهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَاعٍ إِلَى طَيْبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذَّةِ وَمَسْرَةٍ ، فَسَرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَتْرِكِ السَّبْعُونَ فِي إِقْبَالِهَا مِنِّي سِوَى مَا لَا عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
حَتَّى إِذَا مَا عَامَهَا عَنِّي انْقَضَى وَوُطِئَتْ فِي الْعَامِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : مجال الخيل للسباق .

حَطَمْتُ قَوَايَ، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذَا بِمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفَعَلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلَيْتَنِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكْسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِيَّ، وَيُفْنِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجْمَلُ
وَأَبْيَكُ مَا أَجْمَعْتُ عَنْ خَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَثَرَنِي إِلَى أَجَلِي الْمَوْقِتِ لِي فَمَاذَا أَعْمَلُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاضِرِ الْمُنَاطِلِ فَلِإِلَامٍ تُوَضِّعُ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتْكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالْخَوْضِ فِي غَيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَزَهَّ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهَوَى فَقَدْ ارْتَدَيْتَ الدَّرَّ غَيْرَ مُفْصَّلِ
وَاعْفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمَهُ غَيْرُ الْمَلَمِ بِسَمْعٍ مَنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَضًا^(٣) صَبَغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرِي لَصِبْغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالِ
وَمَا أَبْيَضَ الْغَرَابُ الْجَوْتُ إِلَّا لِنَعْبَ بَانْتِقَالِ وَارْتِحَالِ

(١) المنصل : السيف . (٢) أرض مجهل كقوله : لا يُهْتَدَى فِيهَا . وأوضع : أسرع في سيرة .

(٣) نضًا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إن ضُعُفَتْ عن حِمْلِ ثِقَلِي رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِشَارَهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَلْعَصَا عِنْدِي عُنْدُ الْمُبْلِ^(٣) إِنْ عَجَزْتُ، أَوْ ضُعُفْتُ عَنْ حَمْلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قَالَتْ وَأَحْزَنَهَا بِيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرِيكَةُ^(٤) الْأَيَّامِ
فَبَكْتُ ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حِمَامِي

(٤٦٤)

وقال :

أُنْظِرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكَانَتْهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَفِّي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرِى^(٥) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُفْرِى^(٦) الْهَامُ
وَلَأَسْمِرُ لَدُنِ الْكَعُوبِ ، وَجَارُهُ^(٧) حَيْثُ اسْتَمَرَّ الْفِكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الحفا . وجي كرضي وجي فهو وج وجي . (٢) الكل : الفيد .

(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فقبله . (٤) التريكة : روعة يُغْفَلُ عَنْ رعبها .

(٥) تعرى من العروى وهي : الرعدة . (٦) فزاه يفريه : شقّه .

(٧) الجار في الأصل : جحر الضبع وغيرها .

تَرَائِلُ الْأَبْطَالِ عَنِي ، مِثْلَمَا نَفَرْتُ مِنَ الْأَسَدِ الْمَهْصُورِ نَعَامُ
فَرَجَعْتُ أَحْمَلُ بَعْدَ سَبْعِينَ الْعَصَا فَاعْجَبَ لِمَا تَأْتَى بِهِ الْأَيَّامُ
وَإِذَا الْحِمَامُ أَبِي مُعَاجَلَةَ الْفَتَى لِحَيَاتِهِ ، لَا تُكْذِبَنَّ ^(١) ، حِمَامُ

(٤٦٥)

وقال مخاطبا لصديق :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِي فَلَا نَ الدِّينَ ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى
أَنْتَى هَجَرْتِكِ لَا كَظْمِكَ طَائِعَا ، لَكِنْ بَرَغَمِي
أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ هِمَمِي ، وَفَلَّتْ حَدَّ عَزَمِي
وَرَمَتْنِي الْأَيَّامُ عَنْ قَوْسِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
وَعَدَا الدِّينَ بِهِمْ أَسَ لِي الْهَمُّ حِينَ يُلْمُ ، هَمِّي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سَمَّاها أُمَّ فُرُوءَ ، بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة
أَفَكَّرُ فِي فُرْيَةٍ مَا تُتَلَّقُ مِنَ الدُّنْيَا فَتَغْشَانِي الْهُمُومُ
وَتَصْعَدُ زُفُرَتِي أَسْفَا ، لَعَلَّمِي بِمَا يَلْقَى مِنَ الْبُؤْسِ الْيَتِيمُ
وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وَمَا يَنْسَى وَدِيعَتَهُ الْكَرِيمُ

(١) كَذَبَ الرَّجُلُ : أَخْبَرَ بِالْكَذِبِ .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لما مَحَطَّتَنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وساوَر الضَّعْفُ بعد الأَيْدِ^(١) أُرْكَانِي
وَأُدْخِلْتَ كَانِ فِي شُكْرِي وَفِي صِفَتِي واستَرَجَعَ الدَّهْرُ ما قَدْ كَانَ أُعْطَانِي
رُزِقْتَ فَرَوَةً ، وَالسَّبْعُونَ تُخْبِرُهَا أَنْ سَوْفَ تَيْتِمُ عَنْ قُرْبٍ ، وَتَنْعَانِي
وَهِيَ الضَّعِيفَةُ ، مَا تَنْفُكُ كَاسِفَةً ذَلِيلَةً ، تَمْتَرِي^(٢) دُمْعِي وَأَحْزَانِي
مَا كَانَ ، عَمَّا سَتَلَقَاهُ وَعَنْ جَزَعِي لَمَّا سَتَلَقَاهُ ، أَغْنَاهَا وَأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقَلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَنَبَتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحُزُونََا
وَإِذَا رَجُلِي خَانَتْنِي ، فَلَا لَوْمْ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَحُونَا

(٤٦٩)

وقال ، وكتبها بخط يده :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي السَّ بَعُونَ لَمَّا أَنْ عَلَتْ سِيتِي
وَغَيَّرْتَ خَطِّي ، فَاضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرْتَ مِنِّي
وَالْمَوْتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَذَى اللَّهِ نِيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَنِّي

(١) الأيد : القوة . (٢) امتدى الشيء : استخرج .

تأفیه الہاء

(٤٧٠)

وقال :

نَظَرْتُ مُبِیْضَ قَوْدِي ، فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : مَا الَّذِي بَعْدِي عَرَاهُ
قُلْتُ : هَذِي صِبْغَةُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَصْبِغُ الْأَسْوَدَ مِیْضًا سِوَاهُ

(٤٧١)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي بَعْدَ مَا شَبْتُ الْعَصَا فَتَحَمَّلْتَهُ تَحْمَلُ الْمُتَكَارِهَ
وَمَشْتُ بِهِ مَشَى الْحَسِيرِ ^(١) بَوْفِرِهِ ^(٢) لَا يَسْتَقِلُّ ^(٣) ، مَقِيدًا بِعِنَارِهِ
مَا آدَهَا ^(٤) ثِقْلِي ، وَلَكِنْ ثِقْلُ مَا أَبَقِيَ الشَّبَابُ عَلَى مِنْ أَوْزَارِهِ
وَرَجَايَ مَعْقُودُ بِنِ أَعْطَى أَخَا السَّبْعِينَ عُهْدَةً ^(٥) عِنَقَهُ مِنْ نَارِهِ

(١) حسر كحرب وفرح : أعيا ، فهو حسير .

(٢) الوقرب بالكسر : الحمل الثقيل .

(٣) يستقل : ينهض .

(٤) آده الأمر : بلغ منه المجهود .

(٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَارِبَ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنَلِي تَضْيِيعَ وَقْتِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَضْحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسَنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ، أَفَيْقُوا ، فَلِئْسَ أَمَّ هَبَّاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثِهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَدَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بِدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كَرَاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَا مِنْ النَّاسِ غَيْرَ الْبَعْدِ مَنَاجَا
يَسْرُكُ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ تُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبَرْتَ لِسَاءَ تِلْكَ الطَّوَيَّاتِ
فَاقْطَعْ حِبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمَّ فِي كُلِّ حَالَةٍ مَنْ دَانُوا حِبَالَاتُ^(١)

(١) حباله كتابية : الصبغة .

واحدَر من النَّاسِ ، إني قد خَبَرْتَهُمْ ولا يَغْرَنكَ خِبٌ ^(١) فيه إِيحَابٌ ^(٢)
 لا تَرْجُهُمْ في مِلَلَاتِ الزَّمانِ ؛ فما تُلِمُّ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمِلَلَاتُ
 وكلَّهم ، وهم الأحياءُ ، إن بُعِثُوا ^(٣) على الحياءِ وفعلِ الخبيرِ ، أمواتُ
 وقد سَمِعْنَا بأنَّ الأرضَ كانَ بها ناسٌ كرامٌ ، ولكن قيلَ : قد ماتوا
 ولستُ أدري صحيحًا ما تَضَمَّنَتِ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ أَمْ فيها ضَمَانَاتُ ^(٤)
 وأغلبُ الظنِّ أَنَّ القومَ قد جَمَعُوا لِلْبَاحِلِينَ حديثَ البُهِتِ ^(٥) : أى هَاتُوا
 لو كانَ ما جَمَعُوا يَبْقَى لَهُمْ لَقَضَّتْ عَلَيْهِمُ بِالْمُؤَسَاةِ المِروءَاتُ
 فكيف ، وهى عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْيَاءُ ^(٦) تُنْقَلُها في الناسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لا تَرْجِ الخلقَ ، فالأبوابُ مُرْتَجَةٌ دُونَ الحُطَامِ ، وبابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ
 وَالرِّزْقُ لو كانَ في أَيْدِي الأَنامِ أَبَوا أَنْ يَشْرَبَ المِاءَ مِنْ طُوفانِهِ نَوحٌ
 لَكِنَّهُ في يَدَيَّ مَنْ فَضَّلَهُ أَبَدًا لِلطَّائِعِينَ وَالْعاصِينَ مَمْنُوحٌ

(١) الخب : الخداع .

(٢) إِيحِب : خشم وتواضع .

(٣) بعث على الشيء : حمله على فعله .

(٤) الضممة بالضم وكسابة وسخابة : المرض .

(٥) البهت بالضم : الكذب .

(٦) أفيا : جمع في وهو الظل .

قافية الدال

(٤٧٥)

وقال :

مُذْ بَصَّرْتَنِي تَجَارِي ، وَنَبَّهَنِي خُبْرِي بدهري ، فَقَدْتُ الْعَيْشَةَ الرِّغْدَا
كَأَنَّي كُنْتُ فِي حُلْمٍ ، فَأَيْقَظَنِي خَوْفِي ، وَآلَى عَلَى جَفْنِي لَارَقْدَا

(٤٧٦)

وقال :

عَجَزْتُ عَنِ الدُّنْيَا ، فَمَا لِيَ مِنْ يَدٍ بِهَا ، وَلِيَ الْإِيدُ^(١) الْمُسَاعِدُ وَالْيَدُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْهَا ، فَأَرْعَوِي وَلَا نِلْتُ مِنْهَا مَا أَوْدُ ، وَأَقْصِدُ
شَقِيتُ بِمَا أَحْرَزْتُهُ : مِنْ فَضَائِلٍ بِأَيْسَرِهَا يَحْطِي الشَّقَى وَيَسْعُدُ
وَفِي النَّفْسِ ، إِنْ نَاجَيْتُهَا بِاطْرَاحِهَا وَبِالزُّهْدِ فِيهَا ، فَتَرَةً وَتَرْدُدُ
فِيَارِبَ أَلْهَمَهَا الرِّشَادَ بِتَرْكِهَا فَإِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ وَتُرْسِدُ

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

تَزَلْنَا بِهِ ، حَتَّى إِذَا يَوْمُنَا انْقَضَى رَحَلْنَا عَلَى الْعَيْسِ التَّجَائِبِ وَالْجُرْدِ^(٢)
تَوَّمَّ بِهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَنَبْتَغِي مِنَ النَّارِ عَتَقًا جَاءَ فِي سَابِقِ الْوَعْدِ
فِيَا مَنْ قَصَدْنَا بَيْتَهُ وَنَبَّيْهِ بِكَ الْعَوْدُ ، يَا مَوْلَايَ ، مِنْ خِيْبَةِ الْقَصْدِ

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجرد : قصير الشعر رفيفه . والعيس : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت^(١) :

أما رأوا تقلَّب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها أُخْلِدَا^(٢)
 كم نَسَفَتْ أَيْدِي الخطوب جَبَلًا وصيرت لجةً بَحْرًا قَمَدَا^(٣)
 ولم أعَادَتْ ذَا نَرَاء مُعَدَّمًا وذَا قَيْلٍ وَعَدِيدٍ مُفْرَدًا
 عَلِمْتُ مَا لَمْ يَعْلَمُوا ، وَنَظَرْتُ عَيْنَايَ دَهْرِي مَصْدَرًا وَمَوْرَدًا
 فَمَا رَأَيْتُ غَيْرَ ظِلِّ زَائِلٍ كُلُّ يَمَدٍّ نَحْوُهُ، جَهْلًا، يَدَا

(٤٧٩)

وقال^(٤) :

مُتَوَبِّةُ الْفَاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ بِصَبْرِهِ أَفْعَى مِنْ وَجْدِهِ
 يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
 مَا حِيلَةُ النَّاسِ؟! وَهَلْ مِنْ يَدٍ لَهُمْ بِدَفْعِ الْمَوْتِ أَوْ صَدِّهِ
 وَرُودُهُ لَا بَدَّ مِنْهُ ؛ فَلِمَ^(٥) تُنْكِرُ مَا لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ^(٦)
 سِهَامُهُ لَمْ يَسْتَطِيعْ رَدَّهَا دَاوُدُ بِالْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أتهم فيكم لاني وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا راجع ص ٦٦ .

(٢) أخلد إليه : مأل .

(٣) الحمد : الما ، القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في خريدة القصر ١٠٤٠١ .

(٥) رواية الخريدة " فإ " .

(٦) ينظر فيه إلى قول المتنبي : نحن بنو الموتى ، فإ بالنا نأف ما لا بد من ورده

ولا سليمان ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدل تساوى الخلق فيه ، فما يميز المالك عن عبده
كلُّ له حدٌ ، إذا ما انتهى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرض ، فكلُّ (١) امرئ في لحده كالطفل في مهده
أما ترى ورادنا (٢) عرسوا (٣) بمنزل دان على بعده
تبوءوا الأرض ، ولم يُخبروا عن حرّ منوَاهم ولا برده
لحدّ أسكتهم أمسكوا عن ابتداء القوم أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيرُما تزود المرء إلى لحده
فارجع إلى الله ، وثق بالذي وآفأك في الصّادق من وعده
للصّابرين الأجر ، والأمن من عذابه ، والفوز في خلده

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلى الصمد
ما يصبغ الأسود الغريب غيرك مبيضاً ، ولا يتعاطى صبغه أحد

(١) في المخرية " وكل " .

(٢) في المصدر منه " أسلطنا " .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزولوا .

قافية الرءاء

(٤٨١)

وَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ بِصُورٍ ^(١) :

اخْذَرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْعُمْرِ الْقَصِيرِ
وَانْظُرِي إِلَى آثَارِ مَنْ صَرَعَتْهُ مَنَا بِالْغُرُورِ
عَمَرُوا ، وَشَادُوا مَا تَرَاهُ : مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ بَعْدِ سُكْنَانِهَا إِلَى سُكْنَى الْقُبُورِ

(٤٨٢)

وقال :

لَا تَغْطِطِ بِسُرُورٍ دِي ، يَا ، مَا يَدُومُ بِهَا سُرُورُ
وَكَذَلِكَ لَا تَجْزَعُ لِحَا دَهَّةٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
بِجَمِيعِ مَا فِيهِ الْآنَا مُمْ ، أَلَيْسَ آخِرُهُ الْقُبُورُ

(٤٨٣)

وقال :

أَرَى الْعَيْنَ تَسْتَحْلِي الْكَرَى ، وَأَمَامَهَا كَرَى لَيْسَ تَقْضِيهِ إِلَى دَاعِي الْحَشْرِ
وَلَيْسَ يَنَامُ الْخَائِفُونَ ، فَهَلَا تَنَامُ عَلَى عُظْمِ الْمَخَافَةِ وَالذُّعْرِ

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروضتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عقيل محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فأراها تهدمت ، وتغير زخرفها ، فكتب هذه الأبيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنيائى ناشزة^(١) ، فإن فارقتها طوعاً ، وإلا فارقتى كارهاً
 إنا لننكر سوء عاقبة الورى فيها ، ونهواها على إنكارها
 كلُّ بها كافٌ ، ومن يزهد يكن فى زهده متكلفاً متكارها
 أذكرت نقى مضرع الآباء من قبلى ، فَا أَصْغَتْ إِلَى إِذْكَارِهَا
 وعجبت منها ، كيف لم يجر الذى خلقت له يوماً على أفكارها
 والموت إن لم يأت فى إمسائها وافي مع الإصباح فى إينكارها
 وأمامها السفر البعيد ، وقطعه بالبر ، لا يقرومها^(٢) وينكارها^(٣)
 والدمر يطرق بالخطوب ، ومالنا بعوانها^(٤) أئد ، ولا أبكارها
 والترُّب أوكار الأنام ، وكنا كالطير ، رائحة إلى أوكارها

(٢٨٥)

وقال ، وكتبها على حائط مسجد سبرين ، بظاهر مدينة حلب^(٥)

لك الحمد يا مولاي ، كم لك منة على ، وفضلاً^(٦) لا يقوم به شكرى
 نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو ، موفور النصيب من الأجر

(١) نزلت المرأة : استمتعت على زوجها .

(٢) القرم : بالفتح الفعل ، وجهه قروم .

(٣) البكرة بفتح وسكون وبحرك : الجماعة الفنية من الإبل ج بكار .

(٤) العوان من النساء : من كان لها زوج . والأئد : الشدة والقوة .

(٥) روى هذا الشعر فى الروضتين ١ : ٢٧٠ ، وقد كتبها أسامة سنة ٥٥٧ هـ .

(٦) هذه رواية الأصل فى الروضتين " وفضل " .

ومنه رحلت العيس في عامي الذي مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر
فأديت مفروضي، وأسقطت ثقل ما تحملت من وزر السنين على ظهري

(٤٨٦)

وقال :

أيها الظالم . مهلاً أنت بالحاكم غر
كل ما استعذبت من جورك تعذيب وجر
ليس يلقى دعوة المظلوم دون الله ستر
نخف الله ، فأخفى عليه منه سر
يجمع الظالم والمظلوم بعد الموت حشر
حيث لا يمنع سلطان ، ولا يسمع عذر
أو ما ينهك عن ظلمك موت ، ثم قبر
بعض ما فيه من أهوال فيه لك زجر

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

الناس كالطير ، والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض ومخيط^(١)
والموت قناصهم ، يأتي على مهل أهلِكهم بين مذبوح ومغتبط^(٢)

(١) الخيط . السير على غير هدى . (٢) اغتبط الذبيحة : نحرها من غير علة ، وهي سمية قبة .

وَقَدْ شُغِّلْنَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَاخْلُقْ مَا يَنْ مَحْزُونٍ وَمُعْتَبِرٍ
هَذَا يُسْرُ بِحَالٍ لَا تَدُومُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْفَرْطِ
وَلَيْسَ يَسُوَى^(١) الَّذِي نَالَ الْمُلُوكُ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعْ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا زِلْتُ فِي غِبْطَةٍ عَيْشِي عَالِمًا أَن سَيُزُولُ بِالْهَمِّ مَا غَبَطُ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتِدَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَاظُ
بَيْنَا الْفَتَى تَعْلُو بِهِ جُدُودُهُ إِذْ أَسْلَمْتَهُ لِرَزَايَا ، فَهَبَطُ
حَتَّى يَرِقَّ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَافَسَ فِيهَا ، وَغَبَطُ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ الْمَعْتَرِّ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِحِ النَّازِعِ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتِ ، فَاسْتَعْصِمُوا بِالْيَأْسِ ، مَنْ دَانٍ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبط : البحر اليابس القديم .

(٣) غبط : مر . والنبطة : النعمة والبرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطة : حسده .

(٥) المعتر : الضيف الزائر ، والمتعرض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المشتد

لا يَبْذُلْنَ ذُو فَاقَةٍ وَجْهَهُ لَدَى ثَرَاءٍ بَاخِلٍ بَاخِعٍ^(١)
 ما يَظْفَرُ الرَّاجِي نَدَى كَفِّهِ بَغِيرِ ذُلِّ الْخَاشِعِ الْخَاضِعِ
 هل يَنْفَعُ الظَّامِي إِذَا مَا طَمَأَ أَجَاجُ بَحْرِ لَيْسَ بِالنَّاسِقِ^(٢)
 لله دَرُّ الْبَاسِ مِنْ نَاصِحٍ لَيْسَ بِغَرَّارٍ ، وَلَا خَادِعٍ
 وَلَا سَقَى الْأَطْمَاعِ صَوْبُ الْحَيَا فَإِنَّهَا مَهْلَكَةُ الطَّامِعِ
 لَا تَرْجُونَ خَلْقًا ، فَكُلُّ الْوَرَى يَقْبِضُ كَفَّ الْمَانِعِ الْجَامِعِ
 وَمَا حَوَتْ أَيْدِيهِمْ فَهَوَ فِي مِثْلِ لَهَاةٍ^(٣) الْأَسَدِ الْجَانِعِ
 قَدْ سَمِعُوا بِالْجُودِ ، لَكِنَّهُ لِيُخْلِهِمْ مَا لَدَّ السَّامِعِ
 وَكُلُّهُمْ إِنْ أَنْتَ كَشَفْتَهُمْ مِثْلُ سَرَابِ الْقَيْعَةِ^(٤) اللَّامِعِ
 فَدَعُهُمْ ، وَاطْلُبْ مِنْ اللَّهِ مَا ضَنَوَا بِهِ : مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ
 فَمَا لِمَا يَقْطَعُ مِنْ وَاصِلٍ وَلَا لِمَا يُوْصِلُ مِنْ قَاطِعِ
 قَدْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ الْوَرَى فِي مُتَعَبٍ سَاجٍ ، وَفِي وَادِعِ
 كُلُّهُمْ يَأْتِيهِ مِنْ رِزْقِهِ كِفَايَةً ، لَوْ كَانَتْ بِالْقَانِعِ
 لَكُنْتُمْ مِنْ حِرْصِهِمْ قَدْ عَمُوا عَنْ الطَّرِيقِ الْمُهَيَّجِ^(٥) الشَّارِعِ
 لَوْ أَيْقَنُوا أَنْتَ لَهُمْ رَازِقًا لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مَنْ مَانِعِ
 وَلَا لِمَا يَرْفَعُ مِنْ خَافِضٍ وَلَا لِمَا يَخْفِضُ مِنْ رَافِعِ
 مَا طَلَبُوا مِنْ غَيْرِ مُعْطٍ ، وَلَا دَعَوْا إِذَا اضْطَرُّوا سِوَى السَّامِعِ

(٢) الناقع : القاطع للعطش .

(٤) القاع : أرض مهلة . طعنة انفرجت عنها الجبال

(٥) المهيج : البين .

(١) الباخع : المبالغ ، يريد المفرط في البخل .

(٣) اللهاة : اللجمة المشرفة على الحلق .

والآكام ، ج قيع ، وقبة وقيعان .

وقال :

أيتها الغافل ، كم هذا الهجوعُ أعلن الداعي ، فهل أنت سميعُ
أنت عما هو آت غافلُ وكان قد فاجأ الخطبُ الفظيعُ
نحن فرغ لأصولِ ذهبت كم ترى من بعدها تبقى الفروعُ
وزروعُ لنايا ، حصدت بيديها قبلنا منا زروعُ
بادر الخوف ، وقدم صالحاً ما لمن مات إلى الدنيا رجوعُ
نحن سفرُ سارمتنا سلفُ وعلى آثارهم يمضي الجميعُ
وإلى المورد ميعادهمُ يلتقي فيه بطي وسريعُ
أمتنا الدنيا رقوب^(١) ، يستوى عندها في الفقد كهلٌ ورضيعُ
مارأينا ناكلًا من قبها مالها في إثر مفقود دموعُ
كلنا منها ، ومنا كلها فهي لا تشبع أو نحن صريعُ
بأست الأم رمت أولادها برزاياها ، ألا بشس الصنيعُ
ما هنأهم فوقها نومهمُ فهم فيها إلى الحشر هجوعُ
أبدًا تجفؤ علينا ، ولنا نحوها الدهر حين وتزوعُ
هي ليلي ، والورى أجمعهم قيسها ، كل بها صب ولوعُ
جد يا مطلوب ، من جد نجا إن ذا الطالب مدراك تبوعُ

(١) رقوب : لا يبق لها ولد .

ليس يُنجَى الجفَلُ الجَرَّارُ من يده الطُولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
يأخذُ السلطانَ ذا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
ليسَ يرعى حرمةَ الجارِ ، ولا يُنقِذُ الشَّاسِعَ فى البُعدِ الشُّسُوعُ^(١)
ما مع السَّبعينَ تسويفُ ، فلا يخذعُكَ الأملُ إلهى الخلدوعُ
قد تَحَمَّلتَ على ضعفِكَ من ثقلِ أوزارك ما لا تَسْتَطيعُ
وتَقَصَّتْ^(٢) عنكَ أيامُ الصَّبا وعلى مفردك الشَّيبُ الشَّنيعُ
ثم أفضتَ مدَّةَ الشَّيبِ إلى هريمٍ يُعقبه الموتُ الدَّرِيعُ
صَوَّحَ^(٣) المرعى ، فإذا ترتجى بعد ما صَوَّحَ مرعاك المَرِيعُ^(٤)
هل ترى إلَّا هشيماً ذاوياً تجتويه^(٥) العينُ إن ولى الربيعُ

تافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تناهت الزلازل بحماة^(٦) .

أيها الغافلُونَ عن سَكْرَةِ المَوْتِ ، وإِذْ لا يسوغُ فى الخلقِ رِيقُ
كَمَ إلى كَمَ هذا التَّشاغُلُ والغَفْلَةُ ، حَرَّ السَّارَى ، وضلَّ الطَّرِيقُ
إِنَّمَا هَزَّتِ الزَّلَازِلُ هذى الأَرْضَ ، بالغافلين ، كى يَسْتَفِيقُوا

(١) الشُّسُوعُ : البعد .
(٢) تقصت : البعد .
(٣) صَوَّحَ : جف .
(٤) المَرِيعُ : الخصب .
(٥) تجتويه : اجتواه : كره .
(٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كما فى الروضتين (١ : ١٠٥) فى شهر رجب سنة إحدى . تحسین وخسبائة ، وهلك بها نحو من عشرة آلاف نسمة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَعْفٍ بها ، وملتُ إلى الإخْبَاتِ^(١) والنُّسُكِ
لكنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ ونزوةٌ ، كاختبِاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرَكِ
هَذِي عَقَابِيلُ^(٢) دَاءٍ ، كَانَتْ يَمْطُلُنِي ولم أزل مُشْفِيَا مِنْهُ عَلَى الْهُلُكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَّانِي تَصَرَّمَ ذَا لك الدَّاءُ عَنْ شَائِبِ الْفُودَيْنِ مُحْتَنَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أرى الموتَ يَسْتَقْرِئُ^(٤) النَّفُوسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَانِعٍ مَا فِي يَدَيْهِ بَنَجِيلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاخِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْثِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإخْبَات : الخضوع لله والخشوع . (٢) العقابيل : بقايا العلة .

(٣) حنكه السن وحنكه الأمور : عاد مجرباً فاحتك ، ورجل محنك ومحك .

(٤) يستقرئ : يتبع .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرا مالا أطبق دفاعه وأرْمَضَنِي^(١) الفكرُ المسهد^(٢) والهَمَّ
دعوتُ الذي ناداه موسى لدفع ما يحاذِرُ من فرعونَ، فانفَرَقَ اليم^(٣)
وناديتُ من ناداه ذو النونِ واثقاً به في ظلامِ البحرِ، فانكشَفَ الغمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فليس بعد الموتِ دارٌ سوى جنةِ عدنٍ ، أو لظاً تَضَرَّمُ^(٦)
والموعِدُ الحشرُ، وتُجْزَى عن الأَعمالِ ، والغبنُ لمن يندمُ
ويُصَفُّ المظلومُ من خصمه ويستوى السُّلطانُ والمُعِدُّ
ويشخصُ الخلقُ إلى حاكمٍ يحكمُ فيهم بالَّذى يَعْلَمُ
ولِإِلي واعِظٌ صامتٌ يُسمِعنا ، لو أننا نفهمُ
والناسُ في الدنيا نيامٌ ، وما أُسرِعَ ما يستيقظُ النَّوْمُ
ويقدمُ الخلقُ على وزرٍ ما تَقَلَّدوا أو أجزِ ما قَدَّموا

(١) أرمضه : أوجعه وأحرقه . (٢) المسهد : المورق .

(٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء ، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ و ٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، ما أنصفوا في الحب إذ حكموا... راجع القطعة (٩١) ص ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى المدح فقال : وسر إلى بحر خضم له... راجع القطعة (٣١٨) ص ١٩٣ .

(٦) ضم كفرج . اشتد حره .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نَمْنَا عَنْ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ ، فَأَصْبَحْنَا نَنْظُرُ الْبَقِيْنَ أَحْلَامَا
فَحَرَكْتَنَا هَذِي الزَّلَازِلُ أَنْ تَيْقِظُوا ، كَمْ يَنَامُ مِنْ نَامَا

(٤٩٧)

وقال .

فَوَيْضَ الْأَمْرِ رَاضِيَا جَفَّ بِالكَائِنِ الْقَلَمُ
لَيْسَ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ إِنَّمَا الرِّزْقُ بِالْقِسْمِ
دَلَّ رِزْقُ الضَّعِيفِ وَهْمٌ كَكَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
وافتقارُ القَوِي تَرْهَبُهُ الْأُسْدُ فِي الْأَجَمِ
أَنْ لِلْخَلْقِ خَالِقًا لَا مَرَدُّ لِيَا حَكَمَ

(٤٩٨)

وقال .

أَوْبَقْتَ^(٢) نَفْسَكَ يَا ظَلُو مُمْ بِمَا احْتَقَبْتَ^(٣) مِنَ الْمَظَالِمِ
أُظَنَنْتَ أَنَّ الْمَالَ لَا يَفْنَى ، وَأَنَّ الْمَلَكَ دَائِمٌ
مِهَاتٌ ، أَنْتَ وَمَا جَمَعْتَ كَلَّا كَمَا أَحْلَامُ نَانِمٌ

(١) احتجب : اختر .

(٢) أوبق : أهلك .

(٣) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

تَفْنِي ، وَيَفْنِي ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَأْتَمِ
وَعَدًا يُنَاقِشُكَ الْحِسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكٌ تُسَاجِيهِ الْقُلُوبُ مِنْ الذُّنُوبِ بِمَا تُكَلِّمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُخْفِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالَمٌ .

(٤٩٩)

وقال :

مَاذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارِ بَنِي سَلَمَ عَجَاءَ ، أَوْ قَدْ عَرَاها عَارِضُ الْبَرْكِ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعَهَّدُهُ وَغَالِ مُسْتَوِطِنِيهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ غَنَوُا^(١) بِهَا ، وَهُمْ الْأَقَارُ فِي الظُّلَمِ
بَلُّوا كَمَا بَلَيْتَ آثَارَهُمْ ، وَلَكُمْ أُنْبِئُوا الزَّمَانَ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّمْ
أَمْلى الزَّمَانَ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّمْ مَضُوءًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مَالًا وَلَا نَعْمًا
لَمْ يَخْصُلُوا حِينَ وَأَقَامَهُمْ حَامَمُهُمْ لَمْ يَخْصُلُوا حِينَ وَأَقَامَهُمْ حَامَمُهُمْ
وَصَبُوءُ النَّاسِ بِالْذُّنْيَا وَشَغْلُهُمْ عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنَى مِنَ اللَّعْمِ^(٢)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَغْبِطُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرِّهِمْ زَمْنٌ فَسَوْفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرضى : أقام به .

(٢) أمل له في غيبه : أطال وأمهل . وخزلوه : أعطوه . (٣) الهم : الجنون .

حتى يروحوا بلا شيء ، كما خلَقُوا كأنَّ ما حوَّلَوه أُمسٍ لم يكنِ
لا يصحبُ المرءَ مما كان يملكُه في ظُلْمَةِ اللَّحْدِ إِلَّا خِرْقَةُ الْكَفَنِ
يُسْتَنْزَعُ الْمَالُ مِنْهُ ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ جميعِهِ ، يالها من حَسْرَةِ الْغَبَنِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَهْلًا بَلَغَ الْعُمُرُ مَدَاهُ
كَمْ عَسَى مِنْ جَاوَزِ السَّبْعِينَ يَبْقَى ، كَمْ عَسَاهُ
أَنْسَيْتَ اللَّهَ^(٣) ، أُمَّ أَمَّانَكَ اللَّهُ لَظَاهُ
[تَظْلُمُ]^(٤) النَّاسَ لِمَنْ تَرْجُوهُ ، أَوْ تَخْشَى سَطَاهُ
أَنْتَ كَالْتَّنُورِ : يَصْلِي النَّارَ فِي نَفْعِ سِوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِ لِلدُّنْيَا ، فَمَا أَوْبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعْتَنَا بِأَبَاطِيلِ الْمُنَى فَارْتَكُسْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْتَمَلَّتْنَا بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَمَسَكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه القطعة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

(٤) سقط بالأصل والتكلمة من الخريدة .

(٦) ارتكس : انتكس ووقع .

(١) غيبه غيبا ويحرك : خدعه .

(٣) في الخريدة « أنسيت الموت » .

(٥) وبنت الأرض : كثرت فيها المرض .

وَعَدْتَنَّا بِاللَّهِ^(١) لَأَهِيَّةٌ فَاشْتَعَلْنَا بِنِقَاضِنَا لَهَا
وهي إن جاد بنزير يومها غَدَاها مسترجع تَزَرَ جَدَاها^(٢)
بِئْسَتِ الْأُمُّ رُقُوبٌ^(٣) أَكْثَرَتْ وَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمَتْهُمْ بِقِلَافِهَا^(٤)
وَعَدَا تَنَقَّلْنَا مِنْهَا إِلَى ظَلَمِ الْأَرْجَاءِ ضَنْكَ^(٥) مِنْ ثَرَاهَا
وَالَّذِي يَتَّبِعُنَا مِنْ سُنْحِنَا^(٦) تَبَعَاتٌ مُوْبَقَاتٌ^(٧) مِنْ شَذَاهَا^(٨)
وَنَحْوَزُ الْمَالَ بِالْإِرْثِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمِّ سِوَاهَا
فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةً ذَاتَ بَرٍّ وَحَسْبٍ ، لَا رَعَاهَا
أُورِدْتَنَا النَّارَ ، لَا مَأْوَى لَنَا مِنْ لَظَاهَا ، وَيَخَ مِنْ يَصَلَى لَظَاهَا
أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ امْرَأً مِنْهَا عَصَاهَا
أَهْ مِنْ تَفْرِيطِنَا ، شُغْلًا بَهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهًا

(١) اللّٰهِي : العطايا . (٢) الجدا : العطية . (٣) الرقوب : التي لا يبق لها ولد .
(٤) القلى : البفض . (٥) الضنك : الضيق .
(٦) * الدعوت : ما خبث من المكاسب فلزم عنه الدار . (٧) موبقات : مهلكات .
(٨) الشذى : الأذى . (٩) صلى النار : فاسى حرها . والظلى : هب النار .

باب المراثي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خِلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصْذَن الصَّقَرُ بِالْخَرْبِ^(١)
وَأَنْ أَيْدِيهَا شَلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا ضَرَبَتْ كَسْرُنَ النَّبْعِ^(٢) بِالْغَرْبِ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرُّيْدَ^(٤) قَدْ قَتَلَتْ أَسَدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقْبَ^(٥) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَاتُوا جَمِيعًا جِيرَةَ الصَّقَبِ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ^(٧) ، إِذْ حَانَ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ الثُّوبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عز الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ،
وهو غائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخوها غيب :

وَيْحَ الْغَرِيبَةِ ، وَالْدَيَّارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَغَرَّبِ
مَاتَتْ غَرِيبَةً وَحْدَةً : مِنْ تَرْبِهَا وَشَقِيقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُومَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ ، وَالْأَقَارِبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّعَ^(٩) فِي الْجَوَانِحِ ذِكْرُهَا قَالَ الْأَسَى : بِاللَّهِ يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الحرب محرّكة : ذكر الحياتي . والشطر مقتبس من المتنبي .

(٢) النبع : شجر اللقي وللسهام ينبت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بالتحريك : فجر . وهو مقتبس من المتنبي أيضا .

(٤) الريدة بالضم : لون إلى الغيرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : الشجاعة .

(٨) حان : جاء وقته . (٩) تضرّع : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبي بكرٍ ، وقد توفي صغيراً :

لَهَفَ نَفْسِي لِهِلَالٍ طَالَعَ مَا اسْتَوَى فِي أَفْقِهِ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومٍ غَشِيَتْنِي وَكُرْبُ
لَبَكِّي لِي نَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَبَكَاءِ الْمَيِّتِ لِلْحَيِّ عَجَبُ
أَنَا مَيِّتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مُسْتَرْجِعٌ ، وَمَعَانِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبٍ بِرِّكَ حِينَ تَطْرُقُكَ الْخُطُوبُ
أَيْنَ احْتِمَالُكَ مَا تَكَا دُ الرَّاسِيَّاتُ لَهُ تَذُوبُ
وَبَاتُ جَاشِكٍ حِينَ تَضْطَرُّ الْجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَهَاكَ ، إِلَى مَنْ هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِبُ
كَيْفَ اسْتَرْكَ^(١) بَعْدَ صَدِّ قِ يَقِينِكَ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سَيَرُدُّ مَنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خَلَّتْ أَنْ نَوَائِبَ اللَّهِ نِيَا لَغَيْرِكَ لَا تَتُوبُ
هِيَهَاتَ ، كُلُّ الْخَلْقِ مِنْ نَجَاتِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِهَا ، وَأَسْمُهَا نُدُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيِّبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واستزله غيره .

(٢) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلِّي النَّفْسَ أَنْتَ لِحَاقِنَا بِهِمْ قَرِيبُ
وَالِيهِمْ ، مِنْ بَعْدِ غَيْبَتِهِمْ ، وَإِنْ طَالَتْ ، تَنْوُبُ
(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة^(١) :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارٍ مِنَ الشُّكَّانِ أَقْوَتْ^(٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبُ^(٣)
وَلَكُمْ حَاطَهَا ، فَأَنْسَنِي أَوْطَانِ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبُ
فَاحْتَسِبْ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثُ ضُرُوبُ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
إِنْ تَخَصَّصْكُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَنْوُبُ
فَكَذَلِكَ الْقَنَاءُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْهَا صَدْرُ ، وَتَبْقَى كُعُوبُ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، بِكُمْ هَذَا التَّفَرُّقُ ، وَالتَّغَرُّبُ ، وَالتَّشَاتُ
أَبْدًا عَلَى سَيْرٍ كَأَنَّ الشَّمْسُ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
مَتَقَلِّقُ الْعِزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ^(٤) الْبَيَاتُ
نَاوٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَتْرَابِ^(٥) مَاتُوا

(٢) أقوت الدار : خلت .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) ما فيها عريب : ما فيها أحد . (٤) أفرقه : أفرقه . (٥) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد ملك .

وَلَيْسَ عَيْشُ الْمَرْءِ قَا رَقَهُ الْأَحِبَّةُ وَاللَّدَاتُ
فَالْإِلَامَ أَشَقَى بِالْبَقَا ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء

(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رَوْعِي^(١) وَرَزِيَّتِي وَحُرْقَةَ أَحْسَانِي لَفَقْدِ أَبِي بَكْرٍ
خَلَا نَظَرِي مِنْهُ ، وَكَانَ سَوَادَهُ وَلَمْ يَخُلْ مِنْ حَزْنِي وَوَجَدِي بِهِ صَدْرِي
خَشِبْتُ عَلَيْهِ الْيَتَمَ ، لَكِنَّ مُكَلَّهُ وَلَوْعَتَهُ لَمْ يَخْطُرَا لِي عَلَى فِكْرٍ
فِيالْيَتَمَ لَاقَى الَّذِي كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ ، وَأَتَى دُونَهُ صَاحِبُ الْقَبْرِ
فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَهُ لِي رَاحَةٌ فَيَا طَوَّلَ حَزْنِي إِنْ تَطَاوَلَ بِي عُمْرِي
وَلَمْ تُسَلِّني الْيَوْمَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا سُلِّوِي بِمَا أَرْجُو مِنَ الْآخِرِ فِي الصَّبْرِ

(٥١٠)

وقال فيه :

أُعَاتِبُ فِيكَ الدَّهْرَ ، لَوْ أَعْتَبَ^(٢) الدَّهْرُ وَأَسْأَلُ عَنْ نَهْجِ السُّلُوكِ ، وَقَدْ بَدَأَ
وَكَيْفَ التَّسْلِي ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ رَمَتْنِي فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ نَكْبَةً
عَلَى حِينِ أَقْبَى الدَّهْرِ قَوْمِي ، وَاتَزَلَّ هُمْ ذِرْوَةُ الْعُلْيَاءِ وَالْعَدَدُ الدَّهْرُ^(٣)

(١) الروعة : الفزعة .

(٢) أعْتَبَ : أعطى العتبي ، وهي الزمنا

(٣) الدهر : الكثير من كل . . .

إذا حاربوا فالأسدُ نَحْيَ عرينها
تُيَحُّ وتَحْيى منذ كانت سيوفهم :
مَضَوْا ، وانطَوَّتْ دُنْيَاهُمْ ، وتَصَرَّمَتْ
فَلَمْ يَبَقْ إِلَّا ذِكْرُهُمْ ، وتَأَسَّيْنِي
وأصْبَحْتُ لَا آلَ يُلْبُونُ دَعْوَتِي
كَأَنِّي مِنْ غَيْرِ التُّرَابِ ، فليسَ لِي
رُزْتُ أَبَا بَكْرٍ ، عَلَى شَغْفِي بِهِ
لِسَجِّ مَضَتْ مِنْ عُمْرِهِ ، غَالَهُ الرَّدَى
وَقُلْتُ : عَتِيقٌ مِنْ خُطُوبِ زِمَانِهِ
فَعَاجَلَهُ قَبْلَ النَّامِ حَامُهُ
وَيَأْمُرُنِي فِيهِ الْأَخِلَاءُ بِالْأَمْسَى ^(١)
يَقُولُونَ : كَمْ هَذَا الْبَكَاءُ ، وَلَوْ بَدَأَ
وَكُنْتُ أَظُنُّ الدَّمَعَ يُبْرِدُ غُلَّتِي
أَبَا بَكْرٍ ، مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِمَنْقُضٍ
أُطْلَتَ عَلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى كَأَنَّمَا
وَإِنِّي لَأَسْتَدْعِي الْكَرَى ، وَهُوَ نَافِرٌ
لَعَلَّ خِيَالاً مِنْكَ يَطْرُقُ مَضْجَعِي
تُمَثِّلُكَ الْأَفْكَارُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ

وإن سالموا كان التَّبْتُ لُ والدِّكْرُ
يُبَاحُ بِهَا تَغَرُّ ، وَيُحْيَى بِهَا تَغَرُّ
كَأَنَّهُمْ مَا عُمُرُوا ، وَلَهَا نَشْرُ
عَلَيْهِمْ ، وَلَنْ يَبْقَى التَّأْسُفُ ، والدِّكْرُ
وَلَا وَطَنٌ آوَى إِلَيْهِ ، وَلَا وَفَرٌ
مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ دُونَ الْوَرَى شَبْرُ
فِيَا لَهْفَتَا ، مَاذَا جَنَى الْحَادِثُ الْبِكْرُ
وَكُنْتُ أُرِحِّي أَنْ يَطُولَ بِهِ الْعُمُرُ
عَتِيقٌ بِهَذَا يَخْبِرُ الْفَالُ وَالزَّبْرُ
وَلَا عَجَبٌ ، قَدْ يُخَضِّدُ ^(٢) الْغُصْنُ النَّضْرُ
وَهِيَّاتَ ، مَالِي بِالْأَمْسَى بَعْدَهُ خَبْرُ
ضَمِيرُ الَّذِي بِي ، رَقَّ لِي ، وَبَكَى الصَّخْرُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي أَنْ دَمَعَ الْأَمْسَى جَمْرُ
طَوَالَ اللَّيَالِي ، مَا انْقَضَى الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ
زِمَانِي لَيْلٌ كُلُّهُ ، مَالَهُ بِفَرُ
بِهِ مِنْ جُفُونِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا دُعْرُ
فَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا رَمَانِي بِهِ الدَّهْرُ
وَتُوْنُسِي أَشْبَاهَكَ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ

(١) خَضَّعَ الْوَدَّ : كَسَرَهُ .
(٢) جَمَعَ أَسْوَدَ : وَهِيَ الْقُدْرَةُ .

إذا لَجَّ بِي شَوْقُ أَتَيْتَكَ زَائِرًا
وما القُرْبُ من قَبْرِ أَجْنَكَ نَافِعِي
أَقُولُ لِنَفْسِي ، حِينَ جَدَّ نِزَاعُهَا :
أَلَسْنَا بَنَى الْمَوْتَى ، إِلَيْهِمْ مَأْلًا
فَنَحْنُ كَسَفَرٍ عَرَّسُوا ، وَوَرَاءَهُمْ
من الْأَرْضِ أَنْشَنَّا ، وَفِيهَا مَعَادُنَا
هِيَ الْأُمُّ ، لَا بَرٌّ لَدَيْهَا ، وَرَدُّنَا
نُكُولُ ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا لِأَثَرِ هَالِكٍ
أَضَلَّ الْوَرَى حُبَّ الْحَيَاةِ ، فَحَازِمٌ
فَلَا يَأْمَنُ غَدَرَ اللَّيَالِي آمِنٌ
تُعِيرُ ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
وَنَحْنُ عَلَيْهَا عَاكِفُونَ ، وَابِسَ فِي
فَا بَالُنَا فِي سَكْرَةٍ مِنْ طَلَاهَا
مَضَى مَنْ مَضَى مِمَّنْ حَبَّتْ ، فَكَثُرَتْ
وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِنَى
يُحَاسَبُ عَنْ قِطْعِمِرْهِ (٦) وَنَقِيرِهِ (٧)

فَارْجِعْ كَالْمُخْبُولِ دَلَّهَ السَّحَرُ
إِذَا كَانَتْ فِيمَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سِتْرُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، إِنَّ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
بَلَا مَرِيَّةٍ ، وَالْفَرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ (١)
رِفَاقُ ، إِذَا وَافَوْهُمْ رَحَلَ السَّفَرُ
وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الْبَرُّ
وَكُلُّ رَقُوبٍ (٢) تَأْكُلُ دَمْعَهَا هَمْرٌ (٣)
خَيْرٌ سَوَاءٌ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَرِّ
وَإِنْ أَمَهَلْتَهُ ، إِنَّ إِمَهَالَهَا خَيْرٌ (٤)
وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
مَوَاهِبُهَا عُقْبَى تَسْرٍ ، وَلَا يُدْرُ
وَمَنْ نَالَهَا مَنَّا يَزِيدُ بِهِ السُّكْرُ
وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صِفْرُ
عَنْ (٥) الْفَقْرِ ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقْرُ
وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُ كُثْرٌ وَلَا نَزْرُ

(١) النجر : الأصل كالنجر بكسر النون وضمة

(٢) الرقوب كصبور : المرأة التي لا يبق لها ولد أو مات ولدها .

(٣) همر : منمر .

(٤) إغتر : الخديعة .

(٥) في الأصل (هو) وامل ما اختاره أول .

(٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة .

(٧) النقيير : النكتة في ظهر النواة والنمر .

وهذا هو الخسر المين ، فما لنا
وقد كانت في آبائنا زاجراً لنا
تفانوا ، فبطن الارض من بعد وحشة
وقد درست آثارهم وقبورهم
فهل لي في هذى المواعظ واعظ
يحث على الصبر الجميل ، فإنه
ومن نزع أيدي المنية من يدي
حراص على أمر عواقبه خسر
يبصرنا ، لو كانت يردعنا الزجر
بهم أهل مستأس ، وخلا الظهر
كما درسوا فيها ، فليس لها أثر^(١)
يرد ما يحفى من الكمد الصدر
ينال به حسن المعوضة والآجر
هو الذخر لي ، في يوم ينفعني الذخر

(٥١١)

وقال فيه :

أزور قبرك مشتاقاً ، فيحببني
فأثني ، ودومعي من جوى كبدي
ماهيل فوقك من ترب وأحجار
تفيض ، فأعجب لماء فاض من نار

قافية الزاى

(٥١٢)

وقال :

نخرمت^(٢) الأيام أهل مودتي
وأفردت منهم ، فارتباعي لفقدهم
فنفسي عن أنس المسرات ناشر
كروعة ثكلى أوجعتها الجناز
عليها ، إلى أن نالها وهى بارز
إذا مارمتني حاجز أو محاجر
فقد أبرزتني للحوادث ، لیس لي

(١) الأثر بضم الهزة : ما الوجه وروقه .

(٢) نخرمت الأيام : أخذتهم واستأصلتهم .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب بموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ، وَأَجْمَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْجَزَعُ
تَقَاسَمْتُهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَّى فَالْحَى كَلِمَتِي، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحْتُ وَحْشَةُ الْغِبَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْبَى بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْتَمَعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمَ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدٌ بِالْعَيْشِ يَنْتَفِعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَسَمٍ بَيْدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِي مِنَ النَّادَى صَمُوتٌ إِذَا دَعَى
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمَرَى شُتُونُكَ ^(٤)، وَادْمَعَى
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٥) جِدَّةٍ وَتَشْتِيَتِ الْأَفْ، وَإِحْشَاشُ مَجْمَعٍ
فَلِلْمَوْتِ سَكَّانُ الدِّيَارِ، وَلِلْبَلَى مَنَازِلُهُمْ، وَشَمْلُهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٦) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَاثُهُ حُسْنَ التَّصَبُّرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٧) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْأَشْجَانُ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدِيَ لَطَرِيقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَمَا أَرَى غَيْرَ أَجَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ احْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدُّرَّةِ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) الغبراء : الأرض . (٣) البلقع : الأرض القفر .

(٤) مرى النسي : استخرجه . والشتون : الدموع . (٥) أخلق الحديد : أبلاه .

(٦) عزه : غلبه . (٧) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

فأناني ، لست أدرى أين منقلبي كأنني حائر^(١) في الليل مُعْتَسِفُ^(٢)
 إن قصر العمرُ بي عن أن أرى خلفاً له ، ففي الأجرِ عند الله لي خَلَفُ
 أقول للنفس إذ جد النزاعُ بها : يا نفس ويحك ، أين الأهلُ والسلفُ
 أليس هذا سبيلَ الخلقِ أجمعِهِم وكلُّهم بورودِ الموتِ مُعْتَرِفُ
 كم ذا التأسفُ ، أم كم ذا الحنين ، وهل يردُّ من قد حوَّاهُ قبره الأسفُ

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أصبحتُ لا أشكو الخطوبَ ، وإنيما أشكو زماناً لم يدع لي مُشْتَكِي
 أفتى أخلاني وأهلَ مودتي وأباد إخوانَ الصفاءِ وأهلَكا
 عاشوا براحتهم ، ومثَّ لفقدهم فعلى يبكي ، لا عليهم ، من بكي
 بقيتُ بعدهم كأنني حائرٌ بمفازةٍ ، لم يلق فيها مسلكاً

(٥١٧)

وقال في ولده أبي بكر :

وسَّع صبري عن عتيقِ الإسي^(٤) من بعد ما ضاقَ بي المسلكُ
 أسلَّته ، إذ لم أجِدْ لي يداً بدفعٍ من يطلبُ ما يملكُ

(١) في الخريدة (خائف) . (٢) المعتسف : الخابط على غير هدى .

(٣) هذا الشعر يروى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٤ . (٤) الإسي : جمع إسوة وهي القدوة .

عَارِيَّةٌ كَانَتْ ، وَمَا كُلُّ مَا يُعَارُ ، يُسْتَقْنَى ^(١) ، وَبِئْسَ مَلِكٌ
أَعَارَهُ مُشْتَرِطًا رَدَّهُ وَالشَّرْطُ مَا بَيْنَ الْوَرَى أَمْلَكَ

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَمْ كَيْفَ اصْطَبَارِي ؟ مَا عَنْكَ صَبْرِي بِحَمِيلٍ
أَنْتَ ، حَيْثُ اتَّجِهْتُ ، فِي أَسْوَدَى عَيْنِي وَقَلْبِي ، مِمَّنَّلُ ، لَا تَزُولُ
وَعَلَامَ الْأَسَى ؟ وَنَحْنُ كَسَفَرٍ بَعْضُنَا سَائِرٌ ، وَبَعْضُ نَزُولُ
عَرَّسَ الْأَوَّلُونَ ، وَالْآخِرَتَانِ لِي إِلَيْهِمْ عَمَّا قَلِيلٍ يُثُولُ
وإِلَى حَيْثُ عَرَّسَ السَّافُّ الْأَوَّلُ لُ مِيعَادُنَا ، وَمِنْهُ الْقُفُولُ

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أَحَدْتُ عَنْكَ بِالسُّلْوَانِ نَفْسِي وَهَلْ تَسْلُو مُوَلَّهَةً نَكْوِلُ
إِذَا تَاجَيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَنْتُ كَمَا حَنْتُ إِلَى بَوٍّ عَجُولُ ^(٢)
إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ أَنْكَرْتُهُ وَتَعَطَّفُهَا الصَّبَابَةُ وَالْغَلِيلُ
وَلِي فِي الْمَوْتِ يَأْسٌ مُسْتَيْنٌ وَلَكِنْ حَالٌ وَجَدَى لَا نَحْوُلُ
أَحْنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا لِي إِلَى رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا سَبِيلُ

(١) القنية بالضم والكسر : ما اكتسب ، الجمع قنى - وقنى المال : اكتسبه .

(٢) البقر : جلد الحوار يمشى تبنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . والعجول : الواله من الإبل .

فيا لله من يأسٍ مُبينٍ يخالفُ حالَه الصبرُ الجميلُ
 يغالبني على عَقْلِي حنينٌ إليه ، لا تُغالبُه العقولُ
 فيُنسِنِي يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى مُعاقَرها السَّمولُ^(١)
 ويلحاني العَدولُ، وليس يدرى بما أخفي من الكَمَدِ العَدولُ
 إذا نامَ الخَلْيُ أراحَ^(٢) هَمِّي وأسهرَ ليليَ الحزنُ الدَّخيلُ
 كأنَّ نجومَ ليليَ موثقاتٌ فليست من أماكنها تزولُ
 وما في الصُّبْحِ لى رَوحٌ^(٣)، ولكن به يتعلَّلُ الدَّنْفُ^(٤) العَلِيلُ
 نهارى لا يلائمُنِي سُلُوٌّ ويلي لا يُفارِقُنِي العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما يُنسِنِي الدَّهْرُ روعَتِي^(٥) يَفْقَدُ أبى بكرٍ حَيَاتِي، ولا يُسَلِّي
 خَشِيبُ عليه اليُتمُ بعدى، فليَتَنِي رُمِيتُ بما أَخَشَيْتِي، ولم أُرَمَ بالشَّكْلِ
 فكلُّ بعيدٍ يُرتجى جَمْعُ شَمَلِهِ وبعْدُ المنايا غيرُ مُجْتَمِعِ السَّمَلِ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله الهالكين فى الزلازل بمحصن شيزر^(٦) :

حَيًّا رُبوعَكَ ، من رُبِّي ومنازلِ سَارَى الغَمِّ بكلِّ هَامٍ هَامِلِ
 وسَقَمَتِكَ يادَارَ الهوى بعد النَّوى وطفاءُ^(٨) تَسْفَحُ بالهتُونِ الهاملِ

(١) السَّمول : الخمر . ومُعاقَرها : المدام على شربها .

(٢) أراح الحزن همى : أى أعاد الحزن همى على عشية ، من أراح الراعى الإبل على أهلها .

(٣) الروعة . الراحة . (٤) تعلل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المريض .

(٥) الروعة : الغزوة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هملت عينه : فاضت .

(٨) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هى الدائمة السح .

حَتَّى تَرَوْضَ^(١) كُلَّ مَا حِ مَاحِلِ
 أَبْكِكَ ، أَمْ أَبْكِ زَمَانِي فِيكَ ، أَمْ
 مَا قَدَرْتُ دَمْعِي أَنْ يَقْسِمَهُ الْأَسَى
 أَنْفَقْتُهُ سَرَفًا ، وَهَا أَنَا مَائِلٌ
 وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى الْعَزَاءِ دَعْوَتُ مَنْ
 أَيْنَ الطَّبَاءِ عَهْدْتُهُنَّ كَوَانِسًا
 النَّافِرَاتُ مِنَ الْأَنْبَسِ تَكْرُمًا
 مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللَّقَاءِ مُنَازِلِ
 مَتَمَتَّ صَعِبٍ عَلَى أَعْدَانِهِ
 عَزُّوا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
 حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمْ بِخَطْوِهَا
 دَرَسَتْ مُنَازِلُهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
 وَاهًا لَهُمْ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمِ
 كَانُوا شَيْئًا فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
 غَوًّا لِلْمُهَوِّفِ ، وَمَلْجَأًا لِأَجْيَاءِ
 ذَهَبُوا ذَهَابَ الْأَمْسِ مَا مِنْ مُخْبِرٍ
 وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَلَابَةِ
 سَعَدُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهَا أَنَا بَعْدَهُمْ
 فَاجِبٌ لَشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمَقَامِهِ

عَافٍ ، وَتُرْوَى كُلُّ ذَاوِ ذَابِلِ
 أَهْلِيكَ ، أَمْ شَرَخَ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
 وَالْوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمَنَازِلِ
 فِي مَاحِلِ ، أَبْكِ بِحُفْنِ مَاحِلِ^(٢)
 لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرُمْتُ نَصْرَةَ خَاذِلِ
 بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّابِلِ^(٣)
 وَالْأَنْسَاتُ بِكُلِّ لَيْثٍ بِأَسَلِ
 رَحِبِ الْفَنَاءِ لَطَارِقٍ أَوْ نَازِلِ
 سَهْلِ الْمَقَادَةِ لِلخَلِيلِ الْوَاصِلِ
 أَفْعَالَهَا ، فَبَقَّتْهُمْ بَغَوَائِلِ^(٤)
 وَرَمَتْهُمْ بِجَوَادِثِ وَزَلَالِ
 مَأْنُوسُ أُنْدِيَّةٍ وَعَزُّ مُحَافِلِ
 وَمُنْعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
 وَقَذَى يَجُولُ بَعَيْنِ كُلِّ مُحَاوِلِ
 وَجَوَارَ رَبِّ جَرَانٍ وَطَوَائِلِ^(٥)
 عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الزَّائِلِ
 مُسْتَوْرَةٍ بِجَمَلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
 فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهَمٌّ دَاخِلِ
 مِنْ بَعْدِ أَسْرَتِهِ ، وَرَاحَةُ رَاحِلِ

(١) رَوْضُ الْمَكَانِ : جَعْلُهُ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الْأَوَّلِ : الْمَنْزِلَ الْجَدْبِ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الْجَامِدَ الَّذِي لَا يَدْمَعُ .

(٣) كُنْسُ الْفَاقِي : دَخَلَ فِي كَأْسٍ . وَهُوَ مُسْتَهْرَجٌ فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَالذَّابِلُ : الرِّقِيقُ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الدَّوَاهِي . (٥) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَانِيَّةُ . وَالطَّائِلَةُ : التَّرَّةُ . (٦) التَّجَمُّلُ : التَّصْبُّرُ .

دَعَا، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَّةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عَالِمًا كَالْجَاهِلِ
وَاصْبِرْ، فَمَا فِيمَا أَصَابَكَ وَصْمَةٌ كُلُّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّابِلِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَمَانِمُ الْأَيْكِ^(٣) هَيَّجَتْنِ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الْحَنِينُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؟! أَمَا
هَلْ ذَا الْعَوِيلُ عَلَى غَيْرِ الْهَدِيدِ^(٤)، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَخَوَّنَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ، وَمَا قَالُوا بِمَنْ، وَإِذَا
مَا حَدَّثَنِي بِالسُّلُوبِ بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ الْمَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي، فَكَمْ فَقَدُوا
فَلَيْكَ أَصْدُقْنَا بَنًا وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنَّ قَدِيمُ الْعَهْدِ نِسْبَانَا
فَقِيدَكُنَّ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقْدَانَا
تُرْجِعُ النَّوْحَ فِي الْأَفْنَانِ أُلْحَانَا
رَبُّ الْمَنُونِ وَدَهْرٌ طَالَ مَاخَانَا
قَالَ الْأَسَى : فَضْ، وَجُدْ سَحًّا وَهَتَانَا
أَفْرَدْتُ بِالرُّزَى مَا أَنْفَكُ أُسْوَانَا^(٥)
نَفْسِي، وَلَا حَانَ سُلُوبِي وَلَا آتَا
وَلَا تَخْرَمُهُمْ^(٦) مَتْنِي وَوُحْدَانَا
وَأَحْمِلُ الْخُطْبَ فِيهِمْ عَزَّ أَوْ هَانَا
أَخَا، وَكَمْ فَارُقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّابِلُ : صَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصْمَةُ : الْعَارُ .

(١) الْمَرَّةُ : هِجَارَةٌ بِضِ بَرَاقَةٍ .

(٣) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمُتَفَشِّطُ الْكَثِيرُ .

(٤) الْهَدِيدُ : فَرْخُ حَامٍ زَعَمُوا أَنَّ جَارِحًا مِنَ الطَّيْرِ صَادَهُ فَأَمَّ حَامَةً إِلَّا وَهَى تَبْكِي عَلَيْهِ .

(٦) تَخْرَمُهُمْ : اسْتَصَلَهُمْ .

(٥) الْأُسْوَانُ : الْحَزِينُ .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ
وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ
مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجَعِ الطَّرْفِ، وَانْقَرَضُوا
أَعَزَّ عَلَى بَهِيمٍ مِنْ مَعَشِرٍ صَبْرٌ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا
لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتُ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي
بَادُوا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا
هَذِي قَصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ
وَمَجَّ الزَّلَازِلُ ، أَفْنَتْ مَعَشِرِي ، فَإِذَا
نَبِيَّ أَبِي ، إِنْ تَيَدُّوا ، أَنْ عَدَا زَمَنُ
فَلَنْ يَبِيدَ جَوَى^(٢) قَلْبِي وَلَا كَمْدِي
أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِي عَلَى ، فَمَا
أُفْرَدْتُ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصْفُو لِمَنْفَرِدٍ
فَلَيْتِي مَعَهُمْ ، أَوْلَيْتَ أَنَّهُمْ
لَقِيتُ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٣) الْعُقُوقِ ، كَمَا

رَغَا ، نَحَرُوا عَلَى الْأَذْفَانِ إِذْعَانًا
سَقَتَهُمْ بِكُتُوسِ الْمَوْتِ ذَيْفَانًا^(٤)
هَلْ مَا تَرَى تَارِكُ لِلْعَيْنِ إِنْسَانًا
عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لُوتَةٍ^(٥) لَانَا
قَلْبًا أُجْشِمُهُ صَبْرًا وَسُلُوَانًا
وَعَاشَ لِلْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانًا
عَنْهُمْ ، فَيُوضِحُ مَا لَاقَوْهُ تَيْيَانًا
لِلخُطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَرَاءَ وَعُمَرَاءًا
كَذَلِكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سُكَّانًا
ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدُونًا
عَلَيْكُمْ أَوْ يُبِيدَ الدَّهْرُ نَهْلَانًا^(٦)
أَنْفَكَ فِيهِ كَيْبَبَ الْقَلْبِ وَلَهَانًا
عَيْشُ ، وَلَوْ نَالَ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
بَقُوا ، وَمَا بَيْنَنَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
لَقِيتُ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) السقب : ولد الناقة .

(٢) القوق : ولد الناقة .

(٣) اللوة بالضم : الاسترخاء والبطء والضعف . وهو مجزيت لقريظ بن أنيف العبدي .

(٤) إذا لقام بصري معتر خشن عند الحفيظة إن ذو لوتة لانا

(٥) الحماسة (١٤)

(٦) نهلان : جيل .

(٧) الجوى : شدة الوجد .

(٨) تبارج القوق : شدته .

لولا شَمَاتُ الأَعَادَى عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أُرِدُّ فَيَضُّ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
لَا أَلْتَقِيَ الدَّهْرَ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
أُخِنْتُ عَلَى مَعْشَرِي الْأَدْنَيْنِ، فَاصْطَلَمْتُ^(١)
كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكْتُهُ مِنْهُمْ مَلِكٌ
لَمْ يَحْمِهِمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا ، وَلَا رَهْبَتْ
أَتَاهُمْ قَدْرٌ لَمْ يَنْجِهِمْ حَذَرٌ
إِنْ أَقْفَرْتُ شِيزَرُ مِنْهُمْ ، فَهَمَّ جَعَلُوا
هُمْ حَمَوَهَا ، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا ، وَهُمْ
كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكٌ
عَلَوْا بِمَجْدِهِمْ سَيْفَ بَنِي يَزْنَ
كَانُوا مَلَاذًا لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَالَةٍ
إِذَا أَتَيْتَهُمْ أَلْفَيْتَ شَطْرَهُمْ
تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أَسْدًا ، وَيَوْمَ نَدَى
حَاولْتُ كِتْمَانَ بَنِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعُدَتْ
يَقُولُ بِالظَّنِّ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِ
أَسَامَةُ لَمْ يَسْؤُدْ فَقَدْ مَعْشَرِهِ

لِفَادَرْتُ أَدْمُعِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
فَتَسْنَحِيلُ مِيَاهَ الدَّمْعِ نِيرَانًا
بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
مِنْهُمْ كَهَوْلًا ، وَشَبَابًا ، وَوَلَدَانًا
فَعَادَ بِالْيَاسِ مِمَّا رَامَ لَهْفَانًا
بِأَسَا تَنَازَرَهُ^(٢) الْأَقْرَانُ أَزْمَانًا
مِنْهُ ، وَهَلْ حَذَرُ مُنْجٍ لِمَنْ حَادَ^(٣)
مَنْعَ أَسْوَارِهَا بَيْضًا وَخُرْصَانًا^(٤)
بِهَا ، لِشَاهَدَتْ أَسَادًا وَخَقَفَانًا^(٥)
كَهَفًا ، وَلِلْجَانِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
كَمَا عَلَتْ شِيزَرُ فِي الْعِزِّ غَمْدَانًا^(٦)
وَبَائِسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأَوْطَانًا
مُسْتَرْفِدِينَ^(٧) وَزُورَارًا وَضَيْفَانًا
غَيْثًا هَتُونًا ، وَفِي الظُّلْمَاءِ رُهْبَانًا
فَلَمْ يُطَقِّ قَلْبِي الْمَحْزُونُ كِتْمَانًا
بَعْدَ التَّصَاقُبِ مِنْ جَرَاهُ دَارَانًا
وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٨) أَوْ بَانَا :
كَمْ أَوْغَرُوا صَدْرَهُ غِيظًا وَأَضْغَانًا^(٨)

(١) اصطلمه : استأصله .

(٢) تناذروا : أنذرو بعضهم بعضا .

(٣) حان : هلك .

(٤) البيض : السيوف . والخرسان : الرماح .

(٥) الخفان : مأساة .

(٦) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وغمدان : قصر ضخم باليمن .

(٧) مسترفدين : طالين للرفد ، وهو العطا ، والصلة .

(٨) الأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد .

وما درى أن فى قلبي لفقدهم نارا تطفى ، وفى الأجفان طوفانا
 بنو أبي ، وبنو عمي ، دمي دمههم وإن أروني مناواةً وشَتَانًا^(١)
 كانوا جناحي ، فخصته الخطوب^(٢) ، وإخواني ، فلم تبق لي الأيام إخوانا
 كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثةً وجئتى ، حين ألقى الخطب عريانا
 بهم أصول على الأمر المهول ، إذا عرا ، وألقى عبوس الدهر جذلانا
 فكيف بالصبر لي عنهم ، وقد نظّموا دمعى على فـقدهم دُرا ومرجانا
 يطيبُ النفس عنهم أنهم رحلوا وخلفوني على الآثارِ بـجـلانا^(٣)
 سقى ثرى أودعوه رحمةً ملأت مئوى قبورهم روحاً وريحانا
 وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بـلـين تحت الثرى ، عفواً وغفرانا

(٥٢٣)

وقال :

حسبي من العيش ، كم لاقيت فيه أذى أقله فقد أتراني وخُلاني
 لم يبق لي مُشـكـى بـثٍ أحمله همى ، ولا من إذا استصرخت لباني
 وضمّ عني صدى صوتي ، وأفردني ظلى ، وملّ الكرى والطيف غشيانى
 وما نظرتُ إلى ما كان يُبهجنى إلا شـجـانى ، وآسـانى^(٤) ، وأبـكـانى

(٢) الخـص : حلق الشـمـر .

(١) الشـتـان : البـغـض .

(٤) شـجـاه : حزنه والأسا : الحزن .

(٣) المـجـلان : التـاكـل الـوالـه .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ، فَبَاحَتْ فِي فُرُوعِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَى أَحْزَانِي
بِخَيْلَةٍ الْعَيْنَيْنِ بِالْذَّمْعِ ، وَلِي عَيْنٌ تَجُودُ بِالنَّجِيعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بِرُوعَةٍ ^(٢) وَرُقٌّ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرْتَنِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

آخر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) الروعة : الفرعة .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحامة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطا^(١) شعرا لقيس بن ذريح :

كعهديك بانأت الحمى فوق كُنْها
ودارُ الهوى تحمى العدا سرح سربها
أقولُ ، وسُمرُ الخطِّ مجبُّ لحجِّها :
سقى طلل الدار التي أتم بها حنّات^(٢) وبلى صيف وربيع
بدارك ما بى : من بلى الشوق ، والهوى
وبى ما بها : من وحشة الين ، والنوى
سأروى ثراها من دموعى إن ارتوى
وخيماتك اللاتي بمُعرَج اللوى بلبن بلى لم تبهن رُبوع
وما الجور عن نهج السلو أعاجنى
على ذى أثاف^(٣) كالحمّام الدواجن
ولكن وفاء ، وزدّه غير آجن^(٤)
ولو لم يهجنى الظاعنوت لهاجنى حاتم وزق فى الديار وقوع

(١) التسيط : أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة اقوافى الأبيات .

(٢) الحنّات : السحاب السود .

(٣) الأثافى : جمع أففة ، وهى الجبر يوضع عليه القدر .

(٤) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون .

هَوَاتِفُ يُذَكِّرْنَ الشَّجِيَّ أَخَا الْجَوَى
 زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَائِعَةِ النَّوَى
 وَطَيْبَ لِبَالِهِ الْحَمِيدَةِ بِاللَّوَى
 تَدَاعَيْنِ، فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَائِحُ لَمْ تَذَرَفْ لَهْنٌ دُمُوعُ
 إِذَا مَا نَسِيمُ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
 أَقُولُ، وَأَشْوَاقِي تَزِيدُ تَضَرُّمًا:
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
 وَإِنِّ انْهَمَالَ الدَّمْعُ يَا لَيْلُ كُلَّمَا ذَكَرْتُكَ وَحْدِي خَالِبًا لَسَرِيعُ
 وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ ، قَدْ خَلَا
 بَعْمَرِي أَوْ شَرَحَ الشَّبِيهَ مَا ذَلَا
 وَقَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الْمَجَرِّ وَالْقَلَى
 وَسَوْفَ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْكَ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّسَائِي الْمَخُوفِ تَزْيِيعُ^(١)
 أُرْجُو لِي الْأَحَى مِنَ الْحَبِّ مَخْلَصًا
 وَقَلْبِي إِذَا مَا رُضْنُهُ بِالْأَمْسَى عَصَى
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتْ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى ، وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ

(١) التزيع : الغريب ، كالنازع .

أَطَاعَتْ بَنَى لِيلى اقْتَرَاءَ التَّكَذُّبِ
 وَصَدُّ التَّجَنِّيْ غَيْرُ صَدِّ التَّعْتَبِ^(١)
 فَيَاكَ مِنْ دَهْرٍ كَثِيرِ الثَّقَلْبِ
 مَضَى زَمَنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلى الْفُ شَفِيعُ
 الْأَنْغَبَةِ^(٢) مِنْ بَرْدِ أَنْيَابِهَا الْعُلَى
 وَرُدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجْتَلَى
 فَقُولَا لَهَا : جَادَنِكَ وَاهِيَةُ الْكُلَى^(٣)
 أَرَا جَعَةً يَا لَيْلى أَيَّامَنَا الْأُلَى بِذِي الرَّمْثِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَهْنُ رُجُوعُ
 أَعَاذَلَنِي ، مَالِي ، هُدَيْتِ ، وَمَالِكَ
 لَقَدْ سَاءَنِي أَنِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
 ذَرِينِي ، فَلَوْمِي ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ
 لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ^(٥) مَالِكٍ لَعَاصٍ لَامِرٍ الْعَاذِلَاتِ مُضِيعُ
 أَعِذْ ذِكْرَهَا ، أَحْبِبْ إِلَى بِذِكْرَهَا
 وَدَعْ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبَدٍ اِعْذِرْهَا
 فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَفَانِي وَغَدِرْهَا
 إِذَا أَمَرْتِنِي الْعَاذِلَاتُ بِهِجْرَهَا هَفَّتْ كَيْدُ عَمَّا يَقْلُبَنَّ صَدِيعُ^(٦)

(١) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . والتعب : مخاطبة الأدلال . (٢) النبة : الجرعة ويضم ، أو الفتح غيرة والضم للاسم .

(٣) كلية السحاب : أسفله . (٤) الرمث في الأصل : مرضى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه النضى ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الحزوة تشاكل الرمل ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٦) هفا : ذهب في إثر الشيء . موصدع : مشقوقة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاَهَا، وَعَتَبُهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَاءَتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهَى صَدَقُ اللّوَاحِي، وَكَذْبُهَا
وَكَيْفَ أَطْبِعُ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُؤْرِقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للجنون :

أَيَا لَأَنَّمِي فِي وَقْفَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمَرِ مُحْتَنَدِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لَعْمُكَ ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ ، فَلَمْ أَلِمْ بِهِ ، لِي شَائِقُ
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكُبُ صَعَبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَذْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَلِئِنْ مُرُورِي ، لَا أَكَلِمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَائِقُ
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حَذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءُ مُغَزَلُ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالنَّفُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْخَرْجِ مِنْ أَعْلَى الْجُنَيْنَةِ مَزْلُ فِسِيحٌ ، شَجِي صَدْرِي بِهِ مُتَضَاقُ

(١) لاذبه : بلأ ، ولاوذ ملاوذة : استتر .

(٢) الأدمة في الظباء : لون مشرب يابسا . وغاية مغزل : ذات غزال .

سَأْغِنُ ، وَالْمَصْدُورُ لَا بَدَّ يَنْفُثُ
 حَمَامَةً^(١) حُبَّ بِالْحَوَانِجِ تَضْبِثُ^(٢)
 يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْنُثُ
 وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
 هَوَى فِي عَفَافٍ لَمْ تُدَسِّسْهُ رِيْبَةٌ
 كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لُبْنَى وَتَوْبَةٌ
 أَقُولُ ، وَلِلْوَاثِي سَهَامٌ مُصِيبَةٌ
 أَجَلٌ ، صَدَقَ الْوَاشُونَ ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَى ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
 سَاخِضُ لَطِيفِ الْمَلَمِ بَعْتِكُمْ
 وَالصُّقُ خَدَى فِي الدِّيارِ بِتُرْبِكُمْ
 وَمَا زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاكُمُ وَقُرْبِكُمْ
 يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حَرِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمَيْصِ الْبَنَاقُ^(٣)
 هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسُوفَ^(٤) تُرَابَهَا
 وَأَبْكِي لَيْلًا لَيْلًا بِهَا وَانْقِلَابَهَا
 وَشُمْرًا بِهَا نَحْيَ الْأَعَادِي قِبَابَهَا
 كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَابَهَا بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَاقِبُ^(٥)

(١) الضمّة بالضم ، وكسحاب ومجاجة : المرض .

(٢) ضبث به يضبط : قبض عليه بكفه .

(٣) البنقة : جيب القميص .

(٤) السوف : الشم .

(٥) الذبوق : ما يشرب بالعشى — غبق : مقام ذلك .

نَاوَا ، وَعَسَى تَدْنُو بِهِمْ نِيَّةٌ ، عَسَى
بِشَمْسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حِنْدَسَا^(١)
كَأَنَّ فِيهَا الرُّوضُ لَيْلًا تَنْفَسَا
وَمَا دُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرُسَا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهيار^(٢) :

أَسَاءَتْهَا لِلْبَيْنِ وَهُوَ عَجُولُ
تَأَنَّ ، فَمَا هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سَتُولُ
لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَفُولُ يَقُومُهَا الْحَادُونَ ، وَهِيَ تَمِيلُ
تَجَانَفْنَ عَنْ وَعْثِ الطَّرِيقِ وَسَهْلِهِ^(٣)
وَأَعْرَضْنَ عَنْ خِصْبِ الْمَرَادِ^(٤) وَمَحْلِهِ
فَهُنَّ عَلَى جَوْرِ الْغَرَامِ وَعَدْلِهِ
نَوَاصِلُ^(٥) مِنْ "جَوْرٍ"^(٦) خَوَائِضُ مِثْلِهِ صُعُودٌ عَلَى حَكَمِ الطَّرِيقِ^(٧) تُزُولُ

(١) المهندس : الظلة . (٢) رويت هذه القصيدة في جوهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب
٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهيار بدوائه المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .
(٣) في الجهرة . مهله . تحريف . وتجانف : تمايل . والوعث : الطريق العسر .
(٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلا . (٥) في الجهرة « فواصل » تحريف . ونصل : نخرج .
(٦) جَوْر : موضع . (٧) في ديوان مهيار (الزمان) .

إِذَا أُجْفِلَتْ فِي الْيَدِ جُفْلَ نَعَامَهَا
 كَأَنَّ أَفَاعِي الرَّمْلِ تُبْنِي زِمَامَهَا
 ثَنَتْ لَيْتَهَا ^(١) نَحْوَ الصَّبَا وَانْتَسَامَهَا
 هَوَاهَا وَرَاهَا ، وَالسَّرَى عَنْ ^(٢) أَمَامَهَا فَهَنْتْ صَحِيحَاتُ التَّوَاطُرِ حَوْلُ
 بِهَا مِثْلَ مَا بِالظَّاعِنِينَ كَابَةٌ
 وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَابَةٌ ^(٣)
 وَلِلشَّوْقِ مِنْهَا ، مَا ^(٤) دَعَاها ، إِجَابَةٌ
 تَضَاعَى ^(٥) ، وَفِي فَرَطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرَعُو ، وَفِي طُولِ الرِّغَاءِ غَلِيلُ
 أَهْلَةٌ بِيَدٍ ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
 إِذَا لَحَتْ أَجْبَالَ سَلَمَى وَرَوَّقَهَا ^(٦)
 كَفَى شَوْقَهَا شَلَّ ^(٧) الْحُدَاةِ وَسَوْقَهَا
 تَرَادُ عَلَى "تَجْدٍ" ، وَيَجْذِبُ شَوْقَهَا مَظَلُّ عِرَاقِي الثَّرَى وَمَقِيلُ
 أَلَّا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عَيْشَةٌ
 وَفِي الشَّوْقِ لِلنَّائِي هُمُومٌ مُطِيشَةٌ
 وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانِ الْمُفَارِقِ بَيْشَةٌ ^(٨)
 وَمَا جَهِلْتُ أَنَّ "الْعِرَاقَ" ^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تَرْبِيهِ صَبَا وَقَبُولُ ^(١٠)

-
- (١) الليت بالكسر : صفحة العنق .
 (٢) خلبه : خلدته .
 (٣) تضاعى : تصيح .
 (٤) في الدِّيوان (من) .
 (٥) في الجمهرة (إذ) .
 (٦) الروق : مقدم البيت ورواقه .
 (٧) الشل : الطرد ، وفي الجمهرة نس ، ونسأه : زجره ، وساقه . (٨) واد بطريق البياضة مأسدة .
 (٩) في الدِّيوان (الجاز) .
 (١٠) القبول : ربيع الصبا .

وفي الركبِ مسلوبُ العِزاءِ فقيدهُ
 يزيدُ إذا هبَّ النَّسيمُ وقودهُ
 وما كلُّ أسبابِ الغرامِ تقودهُ
 ولكنَّ سحرًا "بأيليَّا" عَقُودهُ تُحلُّ البابُ بهِ وعُقُولُ
 وقد حَمَلَتْ لَدَنْ القِوامِ رشيقةُ
 حكي المسكُ فاهُ، والمُدَامَةُ ريقه
 فأضَى بها نأني الحلِّ سميقةُ
 نجانبُ إنَّ ضَلَّ الحِمَامُ طريقه إلى أنْفُسِ العُشاقِ فَهِيَ دَلِيلُ
 وإني لأشكو من فراقك هزَّةُ
 وروعة شوقٍ للحشا ^(١) مُستَفِزةُ
 وقد وَرَّتْ في القلبِ عيسك حَزَّةُ
 حملنَ وجوهاً في الخدورِ أعزَّةُ وكلُّ عزيزٍ يومَ رُخْبِ دَلِيلُ
 كَتَمْتُ هَوَى ظَميَاءٍ كَتَمَانَ مُعَانِ
 ونَهَنَتْ دمعاً عاصياً غيرَ مُذَعِنِ
 وقد قالت الأظعانُ للسلوةِ : اظعني
 قَسَمَنْ ^(٣) العُقُولَ في السُّتورِ ^(٤) بأعينِ قِوَاتِلَ ، لا يودى ^(٥) هُنَّ قَتِيلُ

(٢) الظامياء من الشفاء : الدابة في سيرة .

(١) في الجمهرة (في الحشا) .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الأصل (يسمن) تحريف .

(٥) يودى : تدفع دينه .

(٤) في الجمهرة (كاستور) . تحريف .

محبٌ إذا ما اللَّيْلُ غَارَتْ نجومُه
 تأوَّبه^(١) بثُّ الهوى وهوْمُه^(٢)
 وفي الحِدرِ بدرُ آفلٍ ، لا يريْمُه^(٣)
 وفيهنَّ حاجاتٌ ودينٌ غريمُه^(٤) ، ولكنَّ الملولَ^(٥) مطولُ
 بُكَّانُه^(٦) نفسٍ مستمرٌ عناوُها
 عيَاءٌ على مرِّ الليالي دواوُها
 قضى حبُّها ألا يصابَ شفاوُها
 يخفُّ على أهلِ القبابِ قضاوُها لنا ، وهى منَّ فى الرقابِ ثَقِيلُ
 وقفتُ على ربيعٍ لظمياءٍ أقفراً
 سقته دموعى ما أراضَ ونورا
 فقلت لخلدنى الخليلين أعذرا
 أبى الركبُ "بالبيضاء" إلا تنكراً^(٧) وقد تُعرفُ الآثارُ ، وهى محوْلُ
 سألتُ سيالات^(٨) الحمى ، قَبَائِلَتِ
 كموحدةٍ من جيرةٍ قد تَزَائِلَتِ
 ففاضتْ دموعٌ كالغروبٍ تَسَاجَلَتِ^(٩)
 ولما وقفنا بالذيَّار تَسَاكَلَتِ^(١٠) جُسُومُ بَرَاهِنِ الْبَلَى وطُلُولُ

(١) تأوَّبه : أناه ليلاً .
 (٢) لا يريْمُه : لا يبرحه .
 (٣) فى الديوان (الملى) .
 (٤) هذه رواية الديوان . وفى الأصل (تذكراً) .
 (٥) فى الجهرة «تساجلت» والغروب جمع غرب وهو الدلو .
 (٦) فى الديوان (تساجلت) .
 (٧) ورد هذا الشطر فى الجهرة متأثراً عن تاليه .
 (٨) الملى : الفنى .
 (٩) فى الديوان : الحاجة .
 (١٠) السَّيَال كسحاب : ما طال من السمر :
 (١١) فى الديوان (تساجلت) .
 (١٢)

دَعَانَا الْهُوَى وَاسْتَوْقَفَتْنَا الْمَعَارِفُ
وَأَدْمَى الْحَشَا ، وَالشَّوْقُ لِلْكَفِّ^(١) قَارِفُ
حَمَائِمُ وَرَقٍ فِي الْغُصُونِ هَوَاتِفُ
فَبَاكِ بَدَاءٍ بَيْنَ جَنْبَيْهِ عَارِفُ وَبَاكِ بِمَا جَرَّ الْفِرَاقُ جَهُولُ
نَعَمْ ، هَذِهِ الْأَطْلَالُ ، قَفَرُ فَارِيعٍ^(٢)
وَجَدَّدُ بِهَا عَهْدَ الْمَشُوقِ الْمَوْدِعِ
سَأَسْتَقِي ثَرَاهَا الرَّيَّ مِنْ سُحْبٍ أَذْمَعِي
وَأَسْأَلُ عَنْ ظَلَمِيَاءِ^(٣) صَمَاءٍ لَا تَعِي فَارَضَى^(٤) بِمَا قَالَتْ ، وَلَيْسَ تَقُولُ
تُصَدِّقُ ظَلَمِيَاءَ الْعَذُولِ إِذَا اقْتَرَى
وَأَكْذِبُ سَمَمِي فِي هَوَاهَا وَمَا أَرَى
وَأَقْنَعُ مِنْهَا بِالْخَيْالِ إِذَا سَرَى
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا بُزْنُهَا الْكَرَى دُنُوٌّ إِلَى طُولِ الْبِعَادِ يَثُولُ
مَلَلْتُ ، فَكَا تُدْنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةً
وَعِنْدَكَ لِلْوَاشِينَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ
وَحَفْظُ عَهْدِ الْغَادِرِينَ إِضَاعَةٌ
وَمَا أَنْتِ يَا ظَلَمِيَاءُ إِلَّا يَرَاءَةٌ^(٥) تَمِيلُ مَعَ الْأَزْوَاجِ حَيْثُ تَمِيلُ

(١) الكلام : الجرح . والفرف : التمسك في المرض . (٢) ربع كنع : وقف وانظر وتحبس .

(٣) الظلماء : من الشفاء : الذابطة في سمرة .

(٤) في الأصل « قترضى » . وروايه هذا البيت مضطربة في ديوان مهيار . (٥) البراعة : القصة .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوُّهَا وَدَوَّوْهَا
وَرَاخَتْهَا، لَوْ نَلْتَهَا وَشَفَّأْهَا
إِذَا بِنْتُ ضَاقَتْ أَرْضَهَا وَسَمَاوْهَا
فَإِنْ كَانَ سُؤْلًا لِلنَّفُوسِ بِلَاوْهَا فَإِنَّكَ لَلْبَلَوَى ، وَإِنَّكَ سُؤْلُ

(٥٢٨)

وقال يُسَمِّطُ قَصِيدَتَهُ المِيمِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَظَانِّهَا مِنْ هَذَا الدِّيَّانِ^(١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ ، أَمْ حُلْمٌ
وَصَبُوءَةٌ كُلُّ هَذَا الْوَجْدُ أَمْ لَمَمٌ^(٢)
أَحْيَيْتُ قَوْمًا، وَإِفْرَاطُ الْهَوَى نَدَمٌ
وَلَوْ ، فَلَبَّ رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكُمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
سَاوَى حُضُورَهُمْ عِنْدِي مَغْيِبُهُمْ
وَصَشْتُهُمْ فِيهِمَا عَمَّا يَعْيِيهِمْ
وَمُنْذُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا حَيِيهِمْ
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفَنَكْرِي مَا يَرِيهِمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمٌ
كَمْ رُضْتُ نَفْسِي بِالسُّلُوفِ ؛ فَا مَتَنَعْتُ
وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَاشِقَ الْهَوَى ، وَرَعْتُ
فَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدَرَةً ، فَضَعْتُ^(٣)

وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِي الْتَهُمُ

(١) ضما : اخْتِياراً واستناراً .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مِنْ قَرِطٍ وَجَدِي بِهِمْ أَحَبُّتُ غَدَرَهُمْ
 وَاللَّوْمُ فِيهِمْ لَسَمَعِي مِنْهُ ذِكْرُهُمْ
 وَصَنْتُ حَتَّى عَنْ الْأَوْهَامِ سَرَهُمْ
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَصَلِي السَّامِ
 مَا صَرَّحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلْبِ ، وَكَتَبُوا
 إِلَّا وَقَالَ الْهَوَى : مَهْلًا ، سَوَاكَ عَنَّا
 وَكُلَّمَا أَهْمَلُوا حَفَظَ الْهَوَى ، وَوَنَّا
 حَفَظْتُ مَاضِيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَّا وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصَلْتُ إِذْ صَرُمُوا
 كَمْ قَدْ سَعَيْتُ حَرِيصًا فِي مُرَادِهِمْ
 وَلَمْ رَعَيْتُ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
 لَحِينَ أَصْبَحْتُ طَوْعًا فِي قِبَادِهِمْ
 حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
 أَوْطَشْتُهُمْ خَافَ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوَاطِنِهِمْ
 فَأَخْرَجُوا^(٢) إِلَيَّ رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
 حَتَّى لَعْنَدَ مُسَيِّنِيهِمْ وَمُحْسِنِيهِمْ
 مَحَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ قَدَى ، وَذَكَرِي فِي آذَانِهِمْ صَمَمُ
 هُمْ أَبَاحُوا الضَّنَى جِسْمِي ، وَكَانَ حَمِي
 وَأَمْطَرُوا مُقْلَتِي بَعْدَ الدَّمُوعِ دَمًا
 وَمَا رَعَوْا فِي الْهَوَى عَهْدًا وَلَا ذِمًّا
 وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمْ

(١) اخلب : لحمة رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَأَوْا قَوَادِيَ الْهَجْرَانِ حِينَ أَمِنَ
وَكَانَ بِالْوَصْلِ مِنْهُمْ ، لَوْرَعَوْهُ ، قَيْنٌ ^(١)
وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ عُنْ
هُمْ مَجَالُ الْكَرَى مِنْ مُقَلَّتِيَّ ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَارُوا ، أَوْ اجْتَرَمُوا
لَمْ يَتْرُكِ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
وَلَمْ أُطِغْ فِيهِمْ نُضْحًا وَلَا عَدَلًا
وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى خَبَلًا
تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنَى بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصِفُوا فِي الْحُكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
فَقُلْ لِسَارِي الدُّجَى تَهْدِيهِ ظُلْمَتُهُ
وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضَ جُمَّتُهُ ^(٢)
تَغْرِي الْفَلَاحَ وَالدُّجَى وَالْهَوَلَ عَزَمَتُهُ :
يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيدَاءَ هَمَّتُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجِزُ عَمَّا تَدْرِكُ الْهَمُّ
إِذَا وَصَلْتَ ، وَفَاكَ اللَّهُ مَهْلَكَةً
وَذَادَ عَنْكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضْتَ مَعْرَكَةً
فَمَا سَلِمْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَمْلَكَةً
بَلِّغْ أُمِيرِي مَعِينَ الدِّينِ مَأْلَكَةً ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمِّ ^(٤)

(١) قَيْن : خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ .

(٢) الْبَلَمُ : الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، كَالْبَلَمِ . وَمِنْ الظُّهْرِ وَالْمَاءِ ، مَعْظَمُهُ : بَلَكْتُهُ .

(٣) الْمَأْلَكَةُ : الرِّسَالَةُ .

(٤) الْأُمُّ : الْقَرِيبُ . وَفِي هَامِشِ الدَّبْرَانِ أَنَّ أَسَامَةَ أَسْقَطَ هَاهُنَا بَيْتًا لَمْ يَرْضَهُ تَصْرِيفُهُ . وَالْبَيْتُ هُوَ :

وَقُلْ لَهُ أَنْتَ خَيْرُ التَّرَكِّ ، فَضْلُكَ الْحَيَاءُ ، وَالِدِينَ ، وَالْإِقْدَامَ ، وَالْكَرَمَ

(وَانْظُرِ الْقِطْعَةَ ٢٦٦ مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ صَفْحَةَ ١٤٦) .

لَمَّا وَلَيْتَ الرَّعَايَا سُرَّ كُلِّ وَلِيٍّ
وُسُسْتَهُمُ بِالتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُمْنِضِي الْقَضَايَا بِلَا حَيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُشْكَى إِلَيْهِ ، وَلِيٍّ شَكِيَّةٌ أَنْتَ فِيهَا الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ

فَاسْمَعْ قَضِيَّةً مَا أُخِذَ بِجُلَّتِهِ^(١)
وَفَاؤُهُ لَكَ أَرَدَاهُ بِغُلَّتِهِ^(٢)
وَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمُ
أُمِّ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فُقِدَتْ
أُمِّ فِي الْعُلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاءَهَا ، فَلَحَتْ^(٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمَدَتْ
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِدْمُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي ، وَلَهْفُ طَالَمَا شَفَتِ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي تِجَارِيئِي وَمَعْرِفِي
حَتَّى اغْتَرَزْتُ بِأَمَالٍ مَرْنُورَةٍ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ

(١) الخلة بالضم : الصداقة المختصة لا لخلل فيها .

(٢) الغلة : حرارة الحب .

(٣) لحاه : لاهه .

يَا مَنْ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعِي عَلَيْهِ أُذِنَ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءُ فِيهِ أَجِنٌ ^(١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكَتٌ مِيثَاقِي، فَكَيْفَ أَسِنٌ ^(٢)
 وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ: مَنْ وَدَّ، وَإِنْ أَجْلَبَ ^(٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَكَمْ رَمَانِي الْعِدَا بَغِيًّا بِإِفْكَهِمْ ^(٤)
 فَلَمْ أَرْقَ ، وَلَمْ أَفْرُقْ ^(٥) لِبَغْيِهِمْ
 وَكَمْ سَعَوْا بِي ، فَلَمْ أَحْضَلْ بِسَعْيِهِمْ
 لَكِنْ نِقَاتُكَ مَازَلُوا بِغْيَتَهُمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا ، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا ^(٦) عَلَى مَنْ كَانَ مَوْلَاهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَخْوَاهُمْ ^(٧)
 بَاعُوكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْغَنَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتُ بِهِمْ فِيمَا أَمَرْتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغَوْرُهُمْ كَانَ يَبْدُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ ^(٨)
 وَاللَّهِ مَا نَصَحُوا ، لِمَا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَّهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالنَّقْصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تِجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرَفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ

(١) أجِن الماء: تغير طعمه ولونه . (٢) أسِن: أجِن . (٣) أجلب: توطد بشره .
 (٤) الإفك: الكذب . (٥) فرق كفرح: فزع . (٦) مالوا عليه: اجتمعوا .
 (٧) الخول: العبيد . وخوله: أعطاه مفضلاً . (٨) السبر: امتحان غورا لجرح وغيره .

قَالُوا : الْأَمِيرُ وَفِيَّ بِالْعَهْدِ ، فَلَذِ
 بِذِي الْحَمِيَّةِ ^(١) ، إِنْ خَطَبُ أَلَمَ ، وَعُذُّ
 وَالْوَصْفُ فِي السَّمْعِ قَبْلَ الْإِمْتِحَانِ يَلْذِ
 أَيْنَ الْحَمِيَّةُ ، وَالنَّفْسُ الْأَبِيَّةُ ، إِذْ سَامُوكَ خُطَّةُ خَسِفٍ عَارُهَا يَصْمُ؟!
 لَمَّا رَأَيْتَ لَصَرْفِ الدَّهْرِ وَاعِظَةً
 لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَا تَنْفَكُ حَافِظَةً
 حَتَّى تَسْبَحَ سَمَاءًا أَوْ مَلَا حِظَةً
 هَلَّا أَتَقْتَ حَيَاءً أَوْ مَحَافِظَةً ^(٢) مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرْتَهُ الْعُرْبُ وَالْعَجْمُ؟!
 أَتَيْتَ فِينَا ، وَمَا اقْتَادَتْكَ مَوْجِدَةٌ ^(٣)
 إِسَاءَةٌ هِيَ لِلْإِحْسَانِ مُفْسِدَةٌ
 أَغْرَبْتَ ^(٤) فِيهَا ، بِخَاءَتِ وَهِيَ مُفْرَدَةٌ
 أَسْلَمْتَنَا ، وَسَيْوْفُ الْهِنْدِ مَغْمَدَةٌ وَلَمْ يُرَوْ سِنَانُ السَّمْهَرِيِّ ^(٥) دُمُ
 مَا شُبْتُ حُسْنَ ظُنُونِي فِيكَ بِالثَّهَمِ
 وَلَمْ تَمُرَّ بِفِكْرِي نَجْمَةٌ النَّدَمِ
 وَأَنْ إِفْكَ الْأَعَادَى مُخْفَرٌ ^(٦) ذِمِّي
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ

(١) الحمية : الأتفة .

(٢) المحافضة : الذب عن المحارم .

(٣) الموجدة : الفضب .

(٤) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) السمهري : الرمح الصلب .

(٦) مخفردمي : ناقض عهدي .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا ابْتَدَلَا
 وَلَا ابْتَغَى بِصَدِيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
 وَلَا رَأَى الْخُلُوفَ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
 وَأَنَّ جَارَكَ جَارٌ لِلْسَمَوَاتِ ، لَا يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالَهُ النَّقَمُ^(١)
 إِسَاءَةً جَثَمًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُهَا
 يُذِيعُهَا الدَّهْرُ فِي الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُهَا
 وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ يَا أَبَاهَا ، وَيُنْكِرُهَا
 هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عُذْرٌ ، فَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 مَا زِلْتَ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
 تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَاءِ طَبَعًا^(٢)
 لَكِنْ فِعْلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدِعًا
 أَلْقَيْتَهُمْ فِي يَدِ الْإِفْرِجِ مُتَبِعًا رِضًا عِدَاً يُسِخِطُ الرَّحْمَنَ فِعْلُهُمْ
 أَخْفَى الْهَوَى عَنْكَ بَعْدَ الْكَشْفِ أَمْرُهُمْ
 حَتَّى لَا نَكْرَتَ يَا مَخْدُوعُ مَكْرَهُمْ
 وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْقَوْتِ غَدْرَهُمْ
 هُمُ الْأَعَادَى ، وَقَالَكَ اللَّهُ شَرُّهُمْ وَهُمْ ، بَزَعَهُمُ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَدَمُ

(١) أسقط أسامة بعده هذا البيت بيتا لم يسطه وهو :

وما طان بأول من أسامة بالـ * سوا . ، لكن جرى بالكائن القلم

(٢) وانظر القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧ .

(٣) الطبع : الوخ الشديد والعب .

ما أنصفوك ، أتوا ما لست تجهله
 وما استقلوا^(١) بعبي أنت تجهله
 وخالفوا كل خير كنت تفعله
 إذا نهضت إلى مجرد توثله^(٢) تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 صدقهم ، وعهود القوم كاذبة
 وكل أحلامهم في الغدر عازبة^(٣)
 لغير دولتك الغراء طالبة
 وإن عرّتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيك مبتسم
 ضلالة قد أظلتهم غوايتها
 ودولة رفعت بالغدر رايها
 دنت لكفرانها النعمى نهايتها
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيبتها بحدد عزمك ، وهو الصارم الخدم^(٤)
 وأصبحوا في نعيم ما له خطر
 ما يعتري عيشهم بؤس ولا ضرر
 ولم يرع سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
 رشفت آجن عيش ، كله كدر ووردهم من نذاك الساسل الشيم^(٦)

(١) لا يستقل بالأمر : لا يطيع .

(٢) أنزل ماله : أصله .

(٣) عازبة : بعيدة .

(٤) غيابة كل شيء : ما سترك منه . والخدم : القاطع .

(٥) السرح : فنا . الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَاَتَهُمْ غَلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَفُقِ
فَلَمْ يَرَوْا حَقَّ تِلْكَ الْأَنْعَمِ الدُّقِ
وَعَامِلُوكَ بِيَغِشِ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
وَلِإِنْ أَنَا هُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحَلِّقٍ وَأَشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُجِبِي وَيُحْتَرَمُ
أَخْفَوْا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخْفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
وَأَضْمَرُوا مَخْنًا مِنْ غِشِّهِمْ وَلِمَاحِنٍ^(١)
وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَهُمْ ، وَمَنْ
وَكُلُّ مَنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْ وَالَاكَ فَهُوَ الَّذِي يُقْصَى وَيُهَنْضَمُ^(٢)
مَا زِلْتَ فِي وَدْهِمْ تَجْرَى عَلَى سَنَنِ
وَهُمْ يَدَاكَ فِيَا لِلَّهِ لِلْغَبَنِ
أَعْوَانُ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَغِيًّا وَكُفْرًا لِمَا أُولَيْتَ مِنْ مَنْ وَمَرَاتِعُ الْبَنِي ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُ
أَخْفَيْتَ بَادِي مَسَاوِيهِمْ لَتَسْتُرَهُمْ
وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسِرَهُمْ^(٣)
فَاكْشِفْ بِجَنِّكَ مَا أَخْفَوْا لَتُنْكَرَهُمْ
جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِيِي لَتَخْبِرَهُمْ فَلِلرَّجَالِ - إِذَا مَا جَرَبُوا - قِيمُ

(٢) الانهزام : الظلم .

(١) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحفدة والغضب .

(٣) المكسر : المخبر والأصل .

مازلتُ، منذ كنتُ، في عينِ العدوِّ قَدْى
يرى محلي فوق النجم مُنتَبِذاً^(١)
فسلهمُ بي تَرَدُّهم من جوى وأذى
هل فيهم رجلٌ يُغنى غَنائى، إذا جلى الحوادثُ حدَّ السيفِ والقلمُ

أم فيهم من يُجلى حِندسَ الشبه
بِعِزِّمِ أروع^(٢) مدرأك، لمَطْلَبِهِ
ماضٍ على الهولِ مُستوط^(٣) لمرْكَبِهِ
أم فيهم من له في الخطبِ ضاق به ذرعُ الرجالِ يدُ يسطو بها وفمُ

عرفتَ غَشَّهم في السرِّ والعلَن
وأنَّ نِيَّاتِهِم مَلَأَى مِنَ الدَّرَنِ^(٤)
ولم تزل عاكفاً منهم على وثنٍ^(٥)
لكنَّ رأيكَ أَدْنَاهُمْ وَأَبْعَدَنِي فليتَ أنا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقَتَسَمُ

لما خلطتَ يَقِينَ الوُدِّ بالشَّبه
رَعِبْتَ عَهْدِي بِطَرْفٍ غَيْرِ مُنْتَبِه
وملتَ بالودِّ عن مَلُحُوبٍ^(٦) مَذْهَبِهِ
وما سَمَّطْتُ بِعَادِي، إِذْ رَضِيتَ بِهِ وَلَا لِحُجْرٍ، إِذَا أَرْضَاكُمُ، أَلَمْ

(١) الانتباز : التتبع .

(٢) الأروع : من يعجبك بحسه ، أروع جماعته .

(٣) استوطاه : وجده وطياً ، أى على حالة لينة .

(٤) الدرن : الوحش .

(٥) الوثن : الصنم .

(٦) حب الطريق : بيته .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُفَتْ جَلْدِي
وَلَا النَّوَى عَنْ دَمَشِقٍ فَتَّ فِي عَضْدِي
أَنْتَى نَوَى اللَّيْثُ فَهُوَ الْخَيْسُ^(١) لِلْأَسَدِ
وَلَسْتُ أَسَى عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّحْمُ^(٢)
أَقُولُ إِذْ فَاتَ حَزِي عِزْمَةُ الرَّشْدِ
وَقَدْ بَدَأَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلْدِي:
لِلَّهِ دُرُكٌ ، لَوْلَا الْغَبْنُ ، مِنْ بَلَدٍ
تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَدِي ثُمَّ أَنْتَتْ ، وَهِيَ صِفْرٌ^(٣) ، مِلْؤُهَا نَدَمٌ
كَمْ عَزَّنِي^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَسَوْفَي^(٥)
وَكَمْ وَثِقْتُ بِمِعَادٍ فَأُخْلِفَنِي
حَتَّى تَلَاشَى رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ قَبِي
لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي فَنَى الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ
وَمِثْلَ وَجْدِي لُبْعَدِي عَنْكَ لَمْ أَجِدْ
وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُفْتَقَدٍ^(٦)
فَمَا تَنَكَّرَ لِي صَبْرِي وَلَا جَلْدِي
فَاسْلَمْ ، فَأَعِشْتَ لِي فَالْتَهَرُّطُوعُ يَدِي وَكُلُّ مَا نَالَنِي مِنْ بُؤْسِهِ نِعَمٌ

(١) الخيس بالكسر: موضع الأسد ، كالثبيسة .

(٢) البانزى : ضرب من الصقور . والشبهة : بياض يصدقه سواد . والرحم : جمع رنحة ، وهو طائر ضعيف .

(٤) عزَّن : غلبه .

(٣) صفر : خالية .

(٦) انتقدته : طلبه عند غيبته .

(٥) سوفى : مطلقى .

نجز ديوان الأمير: مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بحمد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .

الفهارس

١

فهرس القوافي مرتب على أغراضه الشعرية

في الغزل الباء

الصفحة	البحر	
٥١	وتمحاف عن تعنيفهم إن أذنبوا الكامل	صاحبهم بترفق ما أصحبوا
٥١	وبعد التقال غير بعد السباب الطويل	بنفسي قريب الدار والهجر دونه
٥٢	إيماض بارقة خلوب الكامل	حتى متى أنا شائم
٥٢	عن الحب لم يستحسن الظلم في الحب الطويل	نشدتكما يا مدعئين سلوة
٥٣	كانت قطيعته جوابي الكامل	قمر إذا عاتبته
٥٣	فألم وهو بودنا مراتب الكامل	ذكر الوفاء خيالك المتتاب
٥٤	فكيف حال من الدنيا تعذبه البسيط	نفسى بزهرة دنياها معذبة
٥٤	لك مسعد فالهجر يظهر حوبه الكامل	واعص اصطبارك إن تكفل أنه
٥٤	دم هذا بدمع هذا مشوب الخفيف	ليس طرفي جاراً لقلبي ولكن
٥٥	واصدف عن الواشي المراقب الكامل	أطع الهوى واعص المعاتب
٥٥	ونظم الدر بين الراح والحب البسيط	من زين الاقحوان الرطب بالشنب
٥٦	فلن رآه اكنن في السحب السريع	مهفهف يخجل بدر الدجى
٥٦	دعائي قل لي علام ذا الغضب البسيط	أدعو على ظالمي فيغضب من
٥٧	فمن العناء قياد غير المصحب الكامل	لا تكثرون عتاب من لم يعتب
٥٧	ونناني عن التصابي المشيب الخفيف	كف عنى واش وأغضى رقيب
		فأجابه :
		بأبي شخصك الذي لا يغيب

التاء

٥٨	فاليأس ينقض كل ما أبرمته الكامل	يا معمل الآمال دع خدع المنى
----	---------------------------------	-----------------------------

البحر الصفحة

الجيم

وقائل رابه ضلالي عن نهجي والحب ما له نهج الخفيف ٥٩

الحاء

نفسى فدت بدر تمام إذا
باح بشكوى ما به فاستراح
أرته غرته في الهجر مصلحتي
عقائل الحى أم سرب المها سنحا
عابني بالجد أو بالمزاح الخفيف ٥٩
فهل عليه في الهوى من جناح الخفيف ٦٠
جهلاً فأنسد مني كل ما صلحا البسيط ٦١
أفسدن ما كان بالسوان قد صلحا البسيط ٦١

الدال

حتام أرغب في مودة زاهد
إن خان عهدك من توده
يا ملولا قلما يرعى
مروع بالقل والصد ليس له
لا تحسبن اللوم أجدى
قل لمن لم يرع عهدي
حال عما عهدته من ودادي
وأروم قرب الدار من متباعد الكامل ٦٢
ونأى فلا يحزنك فقدته الكامل ٦٣
لمن يهواه عهدا الرمل ٦٤
صبر على الهجر والأعراض يسعده البسيط ٦٤
بل زاده كلفا ووجدا الكامل ٦٥
والذي ضيع وذى الرمل ٦٥
واعتدى في قطيعتي وبعادي الخفيف ٦٦

الراء

كم إلى كم أكاكم الناس
أيرجع لي شرخ الشباب وعصره
ما هاج هذا الشوق غير الذكر
دعاني إلى هجري بثينة حقة
ويح العواذل لا خلاق لهم
يا حاضراً بفؤاد ناء غائب
واها لليل خلتنى من طيبه
هبوني كما زعموا مذنباً
يا جائراً وهواي يعذره
ما حيلتي في الملول يظلمني
وجدي ويظهر الخفيف ٦٦
وكيف رجوع الليل قد لاح فجره الطويل ٦٦
وزورة الطيف سرى من مصر الرجز ٦٧
من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر الطويل ٦٨
وهموا ولم تصدقهم الفكر السريع ٦٩
والنجم أقرب من ملول حاضر الكامل ٦٩
متفياً في ظل طير طائر الكامل ٧٠
أسأت وقد جئت أستغفر المتقارب ٧٠
منك الذنوب ومنى العذر السريع ٧٠
وليس إن جار منه لي جار المنسرح ٧١

البحر الصفحة

- لا صبر لي عن بدر تم مشرق
أنا أفدي مغرى بصدي وهجري
من عاذر لي ومن للصب يعذره
حتام قلبي بالكآبة مكمد
من عذيري من شادن لم أطلق عند
قالوا اتسلو عن حبيب
ظبي تغار الشمس من حسنه
- أضحى له البين المشت سرارا
وهو شمسي ضحى وفي الليل بدري
من ناقض العهد ينساني وأذكره
باك ووجهي للتجمل مفسر
مع النسك والتحلّم صبرا
ك قلت لا والله ، عمري
ماء الحيا من خده يقطر
- الكامل ٧١
الحفيف ٧١
البسيط ٧٢
الكامل ٧٢
الحفيف ٧٢
الكامل ٧٣
الكامل ٧٣

الشين

- لا ترتج النجح من مواعده
فهي صباح ينجاب عن غبش المنسرح
- ٧٣

الصاد

- يا من مودته سحب زائل
وملا لکم أملی بجد ناکص
- ٧٤ ٧٤

الضاد

- صدّ عني وأعرضا
وتساسى الذي مضى
- ٧٤

الطاء

- لك أن أطيعك راضياً أو ساخطاً
قد جاء مستدرکاً بالعذر ما فرطاً
- ٧٥ ٧٥

الظاء

- أحفظتم قلبي بغدركم
والقلب أدنى الغدر يحفظه السريع
- ٧٦

العين

- يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى
فيه المؤمل للتفاضي موضعاً
- ٧٦

البحر الصفحة

أطيع هوى عصماء وهو يضلني وما أنا فيها للتهي بمطيع الطويل ٧٦

الفاء

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا
ومهفهف بي من قصور جفونه
لا تغترر بنحول خصر أهيف
مستصغر الذنب إن عدت إساءته
قل للوائم كفوا عن ملامكم
باحث بسرك أدمع تكف
ما بالملالة حين تعرض من خفا
فعاد ينكر منا كل ما عرفا البسيط ٧٧
سكر يقصر عنه سكر القرقف، الكامل ٧٨
فاللوت في حد الحسام المرفف الكامل ٧٨
وكلمها في الحشا يدمي وينقرف البسيط ٧٨
فإنه يستثير الهمم والأسفا البسيط ٧٩
فالأم تنكر وهي تعترف السريع ٧٩
إن لم تحن فابلق رضاك من الجفا الكامل ٨٠

القاف

حتى متى يا قلب لا تستفيق
قمر إذا عابته شغفا به
انظر شماعة عاذلي وسروره
يثينه ما أعرضت عنك ملالة
له ليلتنا التي رحبت لنا
يا لائمي انظر الى قمر
وغزال في فيه راح ودر
حسبك قد حملت ما لا تطيق الرجز ٨١
غرس الحياء بوجنتيه شفيقا الكامل ٨١
بكسوف بدري واشتهار محاقه الكامل ٨١
ولا أنا عما تعلمين مفق الطويل ٨٢
فيها المسرة في مجال ضيق الكامل ٨٢
في الأرض في وجناته شفق السريع ٨٢
وعقيق رطب ومسك فتيق الخفيف ٨٣

الكاف

عاديئتي حين عاديت الوري فيكا هجر القل والتجني كان يكفيكا البسيط ٨٣

اللام

أما في الهوى حاكم يعدل
قالوا : فلاك وملا
كم ذا التجني وكثرة العلل
قل للملول الذي أعيا تلونه
كيف الخلاص لقلبي من يدي قمر
ولا من يكف ولا يعدل المتقارب ٨٤
فقلت : حاشا وكلا المجنث ٨٦
لا تأمنوا من حوادث الملل المنرح ٨٦
تري ملالك هذا غير مملول البسيط ٨٦
أسير ناظره بالوجد مغلول البسيط ٨٧

البحر الصفحة

- غدرا فودي غير منتقل السريع ٨٧
 لأكرمها عن عرضة اللوم والعذل الطويل ٨٧
 فما الذي أطمع عذالي السريع ٨٨
 وأسأل معالمها بدمع سائل الكامل ٨٨
 فأسد فاه العذب بالقبل السريع ٨٩
 وفمي على فمه يقبله السريع ٨٩
 كتان فيض المدمع الهامل السريع ٨٩

أحبابنا إن كان هجركم
 يلومونني في حب ليل وإنني
 ما خطر السلوان في بالي
 وإذا مررت على الديار فقف بها
 نفسي الفداء لمن يعاتبني
 نفسي الفداء لمن يعاتبني
 كنتم بئي غير ان لم أطق

الميم

- فليتهم حكموا فينا بما علموا البسيط ٩٠
 وناصح العاشقين منهم المنسرح ٩٠
 فقواك تضعف عن صدور دائم الكامل ٩٢
 ما عسى دولة الصبا أن تدوما الخفيف ٩٢
 وجسم مشعر سقما الوافر ٩٢
 وضاع ودي في الظن والتهم المنسرح ٩٣
 وخافراً حرمة الذمام البسيط ٩٣
 إلى هواكم وفاء لست أسامه البسيط ٩٣
 وبع فما الحب في حال بمكتم البسيط ٩٤
 سلوا وقلبي بهم مغرم السريع ٩٤
 ف رقيه لي منه قسما الكامل ٩٥
 يغضب أن أدعو على ظالمي السريع ٩٥
 وألزموني الذنب والجاني هم الرجز ٩٦

ولوا قلما رجونا عدلهم ظلموا
 أقصر فلومي في حبه لم
 لا تستعر جلداً على هجرانهم
 قل لمن ناء بالجمال علينا
 جفون تستهل دما
 مل وأبدى تجهم السأم
 يا ناسياً عشرة التصافي
 يرينني ما أرى منكم ويعطفني
 أجب دواعي الهوى بالأدمع الجسم
 ما أنصفوا في الحب إذ حكموا
 قسما بمن لم يبق خو
 قولاً لذا الغضبان يا ظالما
 لما رأوا وجدي بهم تجرموا

النون

- وبارق مبسم أم برق مزن الوافر ٩٦
 واليأس منك الى السلوان الجاني البسيط ٩٧
 على قد لج في صدي وهجراني البسيط ٩٨
 إليه وفاء بالأخاء ضنين الطويل ٩٨
 ويا مبيع الدمع أجفاني السريع ٩٨
 وأدفع بالشك عنك اليقين المتقارب ٩٩
 يا مرشدي عن منهج السلوان الكامل ٩٩

محيا ما أرى ام بدر دجن
 إصلاح قلبك اعياني فأحياني
 يا رب خذ بيدي من ظلم مقتدر
 إذا أوحشتني جفوة الخل ردي
 بالله يا مغرى بهجراني
 إلى كم أرجم فيك الظنوننا
 زدني جوى يا حبه وأصلي

البحر الصفحة

- أيا هاجراً كلما زدت في
يا معرضاً راضياً وغضباناً
يا فتنة عرضت لي بعد ما عزفت
أحببتها في عنفوان الصبا
خضوعي له زاد هجرانه المتقارب ٩٩
وهاجري هاجماً ويقظانا المنسرح ١٠٠
نفسى عن اللهو واقتاد الهوى رسنى البسيط ١٠٠
وقلت إن الشيب يسليني السريع ١٠٠

الهاء

- يا هلالاً إذا تبدى يراه الـ
قل لمن أوحش بالهجر
تحفى عليّ ذنوبه في حبه
نبئت انهم بعد البعاد نسوا
حوري لا يمل راءؤه منه الخفيف ١٠١
جفوني من كراها الرمل ١٠١
ويرى ذنوبي قبل أن أجنيها الكامل ١٠٢
عهدي وقالوا مضى أمس بما فيه البسيط ١٠٢

الياء

- يغالطني فيكم هواي فأنثي
يا سائلي عما بيه
يا قمر أعجب ما فيه
إليكم على إنكار ما قد بدا ليا الطويل ١٠٣
سر المحب علانيه الكامل ١٠٣
در بديع النظم في فيه السريع ١٠٣

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

- أأحبابنا من غاب عمن يوده
ألمياء إن شطت بنا الدار عنوة
يا آمري بالصبر إـ
يا دهر مالك لا يصد
علام يا دهر بالعدوان تحبيني
رمتنا الليالي بافتراق مشنت
إلى الله أشكو عيشة قد تنكدت
إلى كم أعني بالسرى والسباب
أميت مثل الشمع بشرق نوره
فسيان عندي بعده واقترابه الطويل ١٠٤
فدارك أجفاني القريجة والخلب الطويل ١٠٤
ن البين موعده الغروب الكامل ١٠٥
ك عن إساءتي العتاب الكامل ١٠٥
في غير جنسي ولم أفقد ولم أغب البسيط ١٠٦
أشت وأنأى من فراق المحصب الطويل ١٠٦
علي ودهراً قد أحت نوائبه الطويل ١٠٦
ويصدع شملي بالنوى والنواب الطويل ١٠٧
والنار في أحشائه تتلهب الطويل ١٠٧

الجيم

- لم ينهه العذل لكن زاده لهجا
والعذل مما يزيد المستهام شجى البسيط ١٠٧

البحر الصفحة

الحاء

- كتم الجوى القلب القريح
يا نازحين واصطباري والاسى
فأذاعه الدمع الفضوح الكامل ١٠٨
يجم ذا دمعي وهذا ينزح الكامل ١١٠

الدال

- يا دار إن بخلت على
أتظن صبرك منجداً إن أنجدوا
مغناك سارية العهد الكامل ١١٠
هيات ليس لمستهام مسعد الكامل ١١١
لا جزعي مسعدي ولا جلدي المنسرح ١١٢
عسى جمرات في الجوانح تحمد الطويل ١١٢
جحد الغرام فأنبتته شهوده الكامل ١١٣
ورد يبأس كاشح وحود الطويل ١١٣
لبغضهم نار تلظى وقودها الطويل ١١٤
ضلوعي عما تحتهن من الوجد الطويل ١١٤
سبيله عنك فاسأل عنه من فقد البسيط ١١٤
النفوس فيها من اللذات موجود البسيط ١١٥
جوى أو رآه البعد رق لي البعد الطويل ١١٥
نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد الطويل ١١٥
جرت بنجيع فوق خدي مزبد الطويل ١١٦
فما تشكي من أليم الوجد الرجز ١١٦
وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز ١١٦
يا مصر جنان الخلد ما اشتهدت
بنفسي بعيد الدار بي من فراقه
تساءت بنا عن أرض نجد وأهله
أقول لعيني يوم توديعهم وقد
قد مرنت قلوبنا على النوى
أنهم فيكم لاثمي وأنجدا

الذال

- ظام يحوم عليهم ويلوذ
صدوه وهو صدى الفؤاد إليهم ١١٨

الراء

- لا غرو إن هجر الخيال الزائر
تساءوا وما شطت بنا عنهم الدار
ما أنت أول من تساءت داره
أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر
ما يستزير الطيف طرف ساهر الكامل ١١٨
ومالت بهم عتاً خطوباً وأقدار الطويل ١١٩
فعلام قلبك ليس تحبو ناره الكامل ١٢٠
فليس له نهى عليه ولا أمر الطويل ١٢٢

البحر الصفحة

- أحبابنا ما أشتكي بعد بعدكم سوى أنسي باق ولبى حاضر الطويل ١٢٤
 يا عين في ساعة التوديع يشغلك الـ بكاء عن لذة التوديع والنظر البسيط ١٢٤
 يا مصر ما درت في وهمي ولا خلدي ولا أجاتك خلواتي بأفكارى البسيط ١٢٥
 يا غائبين رجائي طيب العيش مذ بنتم غرور الكامل ١٢٥
 يا دمع أنجذني على بعدهم فقد ترى قلة أنصاري البسيط ١٢٥
 إلى الله أشكو فرقة دميت لها جفوني وأذكت بالهموم ضميري الطويل ١٢٦
 وجدد وجدي بعد ما كان قد عفا وراجعني حلمي ووازني صبري الطويل ١٢٦
 كأنني عجول أو ثكول إذا جرى بسمعي عن غير اعتماد لكم ذكر الطويل ١٢٧
 نأوا فادنتك منهم الذكر ومثلتهم لقلبك الفكر المنسرح ١٢٧
 غرضت من الهجران والشمل جامع ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر الطويل ١٢٧
 وصف الصبر لي جهول بأمرى فارغ البال من همومي وفكري الخفيف ١٢٧

الضاد

- في ذلك الحى المعرض لي هوى ودعته حذرا بطرف معرض الكامل ١٢٨

الطاء

- أجيرة قلبي إن تدانسوا وإن شطوا ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا الطويل ١٢٨
 إلى الله أشكو من جوى لم أجد له مساعاً ولا طول البكاء يبطه الطويل ١٣١

العين

- أحبابنا لي عند خطرة ذكركم نفس تقوم له حنايا أضلعي الكامل ١٣١
 يا قلب دعهم فقد جربت غدرهم وفي التجارب بعد ألغى ما يزع البسيط ١٣٢
 إلى متى أمسى وأضحى بالنوى مروعا الرجز ١٣٢
 أرايت بين معاطف الأجراع ومضان ذاك البارق اللماع الكامل ١٣٢
 ما أنكروا من عزمتي وزماعي شوق دعا أفلا أجيب الداعي الكامل ١٣٢

الغين

- يا لائم المشتاق دعه فقلما يصغي إلى نصح ووعظ بالغ الكامل ١٣٣

البحر الصفحة

الفاء

- أسير نحو بلاد لا أسر بها
يا لائم المشتاق تعني
أحبابنا من لي لو
أذكرهم الود إن صدوا وإن صدفوا
ما منهم لك معتاض ولا خلف
- إذا تبدت لعيني هيجت أسفي البسيط ١٣٣
ف المشوق الصب عف الكامل ١٣٤
دام التداني والحناء الرجز ١٣٤
إن الكرام إذا استعطفتهم عطفوا البسيط ١٣٥
فكيف يصبر عنهم قلبك الكلف البسيط ١٣٦

القاف

- لو أحسنوا في ملكنا أو اعتقوا
يا قلب كم يستخفك القلق
ماذا يروعك من وجدي ومن قلقي
ولما وقفنا للوداع عشية
ألف القل وأجاب داعية النوى
رفقا بقلب الصب رفقا
أقول للعين في يوم الفراق وقد
من مبلغ النائي المقيم تحية
أحبابنا ما لي إلى الصبر عنكم
إن تقطع الأيام منك علائقي
طالت يد البين في تفريق ألفتنا
بالغور أهلك يا بشين وأهلنا
كم ترزمني وكم تحني يا ناق
ليت من يسأل جيران النقا
أشناقكم فإذا نظرت إليكم
خليلي زورابي رويقة إنني
- لصفاء لهم من ودنا ما رنقوا الكامل ١٣٧
غير جميل بمثلك الخرق المنسرح ١٣٨
أم ما يريك من أجفاني الدفق البسيط ١٣٩
وطرفي وقلبي أدمع وخفوق الطويل ١٤٠
فليت منه بهجرة وفراق الكامل ١٤٠
هو دونكم بالبين يشقى الكامل ١٤٠
فاضت بدمع على الخدين مستبق البسيط ١٤٠
من راحل شاك جوى أشواقه الكامل ١٤١
دليل وقد ضلت على طريقه الطويل ١٤١
فأنا المواصل بالوداد الصادق الكامل ١٤١
فيا لها قصرت عن جمع ما افترقا البسيط ١٤٢
بالأبرقين فأين أين الملتقى الكامل ١٤٢
حسبك قد هجت الجوى والأشواق السريع ١٤٢
هل لنا بعد افتراق ملتقى الرمل ١٤٣
زاد الدنو صبابتي وتشوقي الكامل ١٤٣
اليها على قرب الزيارة شيق الطويل ١٤٣

الكاف

- نافقت دهري فوجهي ضاحك جذل
يا قلب مت كمدا على
- طلق وقلبي كتيب مكمد باك البسيط ١٤٤
من غبت عنه وغاب عنك الكامل ١٤٤

اللام

- لا ذنب للصب المشوق إذا بدت
أسراره يوم النوى للعذل الكامل ١٤٤

البحر الصفحة

- نفسى الفداء لمن قبلته عجلا
ونازح في فؤادي من هواه صدى
بنفسى عدول لام فيكم فرد لي
- ١٤٥ والبين يعجب من وجدي ومن عجل البسيط
١٤٥ لم يرو غلته بالعل والنهل البسيط
١٤٥ بذكركم روح الحياة عدول الطويل

الميم

- ما استجهلتك معالم ورسوم
إن لم تطيقا يوم رامة
إن لم أبح بهواك قلن لوائمي
أحبابنا مذ أفردتني منكم
قل للذين نأوا والقلب دارهم
كم قد جزعت لبين من فارقه
وهاج لي الشوق القديم هامة
سهرت بخزبترت فطال ليل
ما لي وللجبل الأغر وإنما
- ١٤٦ إلا ليعلمن شرك المكتوم الكامل
١٤٧ أن تسعدا فذرا الملامة الكامل
١٤٨ ذا مبطل ما الكتم شيمة هائم الكامل
١٤٨ صروف الليالي أفردتني بالهم الطويل
١٤٨ وجداننا كل شيء بعدكم عدم البسيط
١٤٩ وصبرت عنه والحشا يتضرم الكامل
١٤٩ على غصن في غيضة تترنم الطويل
١٤٩ علي ولم يطل ليل النيام الوافر
١٤٩ كل الهوى جبل أشم بهيم الكامل

النون

- ما يريد الشوق من قلب معنى
يا ناق شطت دارهم فحني
اعلمت ما فعلت به أجفانه
أهكذا أنا باقي العمر مغترب
أين السرور من المروع بالنوى
قسم الهوى دهر المزرع بالنوى
منصور دارك أضحت منك موحشة
وقد أفردتني الحادثات فليس لي
- ١٥٠ ذكر الآلاف والوصل فحنا الرمل
١٥١ وأعلنني الوجد الذي تجنى الرجز
١٥٢ سحت فباحث بالهوى أشجانه الكامل
١٥٤ ناء عن الأهل والأوطان والسكن البسيط
١٥٤ أبداً فلا وطن ولا خلان الكامل
١٥٤ شطرين بين شثونه وشجونه الكامل
١٥٥ قد أقفرت بعد سكان وجيران البسيط
١٥٥ أنيس ولا في طارق الخطب أعوان الطويل

الهاء

- سلا قلبه ما غال حسن سلوه
ألا من لصاد والموارد حمة
يكاء مثلي من وشك النوى سفه
يا قلب رفقا بما أبقيت من جلدي
ما وجد من فارق أحبابه
بأبي هوى فارقه ولثله
- ١٥٥ ورداه في الهوى وغلوه الطويل
١٥٦ له علل من بردها لم يروه الطويل
١٥٦ وأمر صبري بعد البين مشته البسيط
١٥٧ كم ذا الحنين إلى من أنت مثواه البسيط
١٥٧ كوجد من فارق روح الحياة السريع
١٥٨ لو كان يوجد مثله خلق الهوى الكامل

المكاتبات والمعاتبات

الهمزة

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى فليلي وصبحي في الظلام سواء الطويل ١٥٩

الباء

لم يبق لي في هواكم أرب سلوتكم والقلوب تنقلب المسرح ١٥٩
وقد كنت أرجو أن أراك وبيننا مفاوز أذناها الشناخيب والسهب الطويل ١٦٠
تبذل حتى قد مللت عتابه وأعرضت عنه لا أريد اقترابه الطويل ١٦٠
أيا نازحاً لم أحتسب بعد داره وقد كان لو نلت المنى قربه حسبي الطويل ١٦٠
يا من به سلوتي عن كل مفتقد ومن مودته أدنى من النسب البسيط ١٦١
أيا غائباً يدنيه شوقي على النوى لأنت إلى قلبي من الفكر أقرب الطويل ١٦١
وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رضيت بعد الديار من القرب الطويل ١٦٢
لئن فرق الدهر المشتت شملنا فأصبحت في شرق وأمست في غرب الطويل ١٦٤
أبا البركات لي مولى جواد مواهبه كمنهل السحاب الوافر ١٦٤
لي صديق أفضي إليه بسري وخبايا صدري ومكنون قلبي المديد ١٦٤

التاء

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت الوافر ١٦٥

الشاء

أيا منقذي والحادثات تنوشي ودافع همي إذ ترادف بعثه الطويل ١٦٥

البحر الصفحة

يا ثانياً للنفس وهـ و لناظري أعز ثالث الرجز ١٦٦

الذال

يا من هواه على التنا ثي والتداني في ازدياد الكامل ١٦٧
 أساكن قلبي والمهامه بيننا وإنسان عيني والمزار بعيد الطويل ١٦٨
 أبا حسن وافي كتابك شاهرا صوارم عتب كل صفح لها حد الطويل ١٦٨
 ألا أبلغنا عني أناساً صحبتهم فما حفظوا عهداً ولا راعوا الودا الطويل ١٦٨

الراء

أحبابنا خطب التفرق شاغل عن العتب لكن جاش بالكمد الصدر الطويل ١٦٩
 وكتاب منك فاجأني كشير جاء بالظفر المديد ١٧٠
 يا بعيداً أحله الشوق قلبي وناظري الخفيف ١٧٠
 يكائر ماء الرزم عند أدكاركم دموعي ولكن ذا برود وذو قطر الطويل ١٧٠
 أشمس الدولة اسمع بث شوق يضيق بمثله ذرع الصبور الوافر ١٧١
 أحبابنا ما مصر بعدكم مصر ولكنها قفر إليكم بها فقر الطويل ١٧١
 تذكره أحبابه الأنجم الزهر فيا ويحه ماذا به صنع الذكر الطويل ١٧١
 لأشكرون اهتماماً منك يذكرني في البعد حتى كأنني مصقب الدار البسيط ١٧٢
 أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبحر زاخر الكامل ١٧٣

السين

كتابي ولولا أن يأسى قد نبى اشتياقي لذاب الطرس من حر أنفاسي الطويل ١٧٣

الميم

ما لي وللشفعاء فيما أرتجي من حسن رأيك في وهو شفيعي الكامل ١٧٤

البحر الصفحة

نظام الدين لا سقيا لخطب رَمَانَا بالنوى بعد اجتماع الوافر ١٧٤

الفاء

مواصلتي كتبي إليك تزيدني إليك اشتياقا بل عليك تأسفا الطويل ١٧٤
وابتزني رأي عز الدين مستلما من بعد ما عملي إحسانه وضا الطويل ١٧٥
لكنني أشكو قوارص من تلقائهم قلبي لها يحف السريع ١٧٦

القاف

يا بن الألى جمع الفخار لبيتهم ما شئتوه من العطاء وفروا الكامل ١٧٧
إيهاً بحقك مجد الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقي البسيط ١٧٩
أحبابنا هلا سبقتهم بوصلنا صروف الليالي قبل أن نتفرقا الطويل ١٨٠
بعدت مسافة بيننا وتوحشت حتى على طيف الخيال الطارق الكامل ١٨١
أبا حسن لولا التعلل بالمتى قضى كمدا قلب إليك مشوق الطويل ١٨١
لا تفسدن نصيحتي بشقاق وأبيك ما السلوان من أخلاقي الكامل ١٨١
أنظن أنني بعد بعدك باقي أجزي عن الأشواق بالأشواق الكامل ١٨٣
يا راكب الشدنية الغيداق ومتابع الزملان بالأعناق الكامل ١٨٣
قد كنت أحسب أن آمسك منتهى أمد الفراق الكامل ١٨٥
ضياء الدين ما شوق دعاني فأسمعني بمصر من العراق الوافر ١٨٥
كم إلى كم يلحى المحب المشوق وهو من سكرة الهوى لا يفيق الخفيف ١٨٦
نظام الدين كم فارقت خلا وكم صليت حشاي لظى اشتياق الوافر ١٨٧
أبا الحارث أسلم من حوادث دهرنا ومن حر أنفاس المشوق المفارق الطويل ١٨٧

اللام

أبا حسن قدران بعد بعدكم على القلب هم ما أراه يزول الطويل ١٨٨

البحر الصفحة

- وإني كتابك مفتوحاً فبشرني
أبا المظفر أشواق مبرحة
يا خير من علقك كفي مودته
أين سمعي عما يقول العذول
- ١٨٨ البسيط بفتح سبيل اللقاء الزجر والقال
١٨٩ البسيط وما استقلت بكم للين أجمال
١٨٩ البسيط وصدقت لي في عليه آمال
١٩٠ الخفيف أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف

الميم

- أبني السرى والبيد لا
وكيف أشكر من أسدى إلى يدا
قصرت في خدمي تقصير معترف
يلط بالدين من مولاه مسلمه
أقسمت بالجود منا إنه قسم
يا راكباً تقطع البيداء همته
يا ناصر الدين يا بن الاكرمين ومن
- ١٩١ الكامل أغرى الزمان بكم عرامه الكامل
١٩١ البسيط سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام البسيط
١٩٣ البسيط وما كذا يفعل الإخوان والخدم البسيط
١٩٤ البسيط حتى يخلصه السلطان والحكم البسيط
١٩٤ البسيط وبالمودة منكم إنها رحم البسيط
١٩٦ البسيط والعيس تعجز عما تدرك الهمم البسيط
١٩٩ البسيط يغني ندى كفه عن وابل الديم البسيط

النون

- هذا كتاب فتى أحلته النوى
أحن إليكم والمهامه بيننا
نفسى الفداء لمن أذود بذكره
وإن امرأ أضحى بإربل داره
- ٢٠٠ الكامل أوطانها ونبت به أوطانه الكامل
٢٠٠ الطويل حنين ألوف بان عنها قرينها الطويل
٢٠١ الكامل عني عوادي الهم والأشجان الكامل
٢٠١ الطويل وفي شيزر أحبابه وشجونه الطويل

الهاء

- إن ألقه سره قربي وآسه
- ٢٠١ البسيط وإن أغب صدعني معرضاً ولها البسيط

الياء

- وإني كتابك معلناً بملامة
- ٢٠٢ الكامل قدحت زناداً في الجوانح وإربا الكامل

البحر الصفحة

٤

الأوصاف

الباء

رقصت أرضه عشية غنى الر
عد في الجو والكريم طروب الخفيف ٢٠٣

الذال

وصاحب لا تمل الدهر صحبته
يشقى لنفمي ويسعى سعى مجتهد البسيط ٢٠٣

العين

أنيسي في ليل القطيعة منهي
نحولا وتسهيذا ولونا وأدعا الطويل ٢٠٤
ومفردة تبكي إذا جن ليلها
خفاتا وفي أحشائها النار واللذع الطويل ٢٠٤

القاف

وسل عنك الهموم إن طرقت
بينت كرم في الكأس تأتلق المنسرح ٢٠٤
أعجب لمحتجب عن كل ذي نظر
صحبه الدهر لم أسبر خلائقه البسيط ٢٠٥

الميم

وافتك حالكة السواد بجالها
صنغ الشباب الناظر المتوسم الكامل ٢٠٥

٥

الملح

الباء

قولا لريم في حلة العرب
إليك أشكوما يصنع اسمك بي المنسرح ٢٠٦

البحر الصفحة

الشاء

متى أرى الطوبان قد مهدت حيطانه السود المحارث السريع ٢٠٧

الراء

شبيهة جبات القلوب لك الهوى وهل لفؤاد عن سويدائه صبر الطويل ٢٠٧
انظر إلى الأيام كيف تقودنا قسراً إلى الإقرار بالأقدار الكامل ٢٠٧

الشين

أميرنا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات منكش البسيط ٢٠٨

الصاد

رمان مصر كأنه ذرة آكله شاخص من الغصص السريع ٢٠٨

القاف

إذا صاحبت عمراً في طريق فقد سايرت ظلك في الطريق الوافر ٢٠٨

اللام

عابوا هوى شادن في رجله قصر من سكر الحاظه في مشيه ثمل البسيط ٢٠٩

الميم

نزلت بأرض بالوا وهي حصن علا حتى تمنطق بالنجوم الوافر ٢٠٩
عتيق كالهلال إذا تبدي لساري الليل من تحت الغيوم الوافر ٢١٠

النون

يا ساكني جنة رضوان خازنها العيش في روح وريحان البسيط ٢١٠
وصفوا لي بغداد حيناً فلما جئها جئت أحسن البلدان الخفيف ٢١١

المديح

الباء

- لقد عم جود الأفضل السيد الورى وأغنى غناء الغيث حيث يصبوب الطويل ٢١٢
 غرني لامع السراب وهذا البحر ر دوني عذب المياه شروب الخفيف ٢١٢
 يا أخلاي بالشأم لئن غبتم فشوقي إليكم لا يغيب الخفيف ٢١٤

الجيم

- يا منتهى الأمل امتدت مطارحه ويا حمى من إليه في الخطوب لجأ البسيط ٢١٧

الحاء

- فيا أخا العزم يطوي البید متصلنا في سبره عن مسير العاصفات وحي البسيط ٢١٨

الذال

- كناس سرب المها عريسة الأسد فكيف بالوصل للمستهتر الكمد البسيط ٢١٨

الراء

- يا منقذي ويد الزمان تنوشني ومقيل جدي وهو كابٍ عائر الكامل ٢١٩
 كل يوم فتح مبين ونصر واعتلاء على الأعادي وقهر الخفيف ٢٢٠
 صديق لنا كالليل يستر الد خان وييدي النور للمتنور الطويل ٢٢١
 يا من يهين المال في كسب العلا ويرى الثناء أجل ذخـر يذخر الكامل ٢٢١
 لكن مكانسي من أنعم الملك الصالح لا تهدي له الغير المنسرح ٢٢٢
 سارحل عن جنابك غير قال بشكر يفغم الافاق نشر الوافر ٢٢٣

السين

- لله درك من فتى أبدت به أيا منا بشر الزمان العابس الكامل ٢٢٣

البحر الصفحة

الطاء

ومن علقْتُ بالصالح الملك كفه
فليس له دون العلا والغنى شرط الطويل ٢٢٤

العين

لئن شئتُ أيدي الحوادث شملنا
فإليك بنت الفكر من بعد المدى
فجود أبي الغارات للشمل جامع الطويل ٢٢٨
تهدي فشرها بحسن سماع الكامل ٢٢٨

الفاء

هو الجواد الذي يلقاه مادحه
من كان لي من حماء خيس ذي لب
وإن غلافوق ما أثنى وما وصفا البسيط ٢٢٩
ضار ولي من نداء روضة أنف البسيط ٢٢٩
في كل سمع بدا من حسنه طرف البسيط ٢٣١
لكم سبيل الأمانى وانجلى الأسف البسيط ٢٣٣
أساعنا لمعانى درها صدف البسيط ٢٣٥

القاف

تهمي مواهبه والسحب جامدة
مثل منهل أنعم الملك الصا
فمن يديه مصاب الوابل الغدق البسيط ٢٣٨
لح يروي دان به وسحق الخفيف ٢٣٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل
أبا حسن في طي كل مساء
يرفع للشبه ذوي الجهل السريع ٢٣٩
من الله صنع للعباد جميل الطويل ٢٣٩
ومن مواهبه كالعارض الممثل البسيط ٢٤٠
ب وذخري إن غال وفري غول الخفيف ٢٤١
حسي ما نولت من مال السريع ٢٤٢
بخلاف أحكام الملك العادل الكامل ٢٤٢

الميم

وسر إلى بحر خضم له
من عزمه سيف وغى مخدم السريع ٢٤٣

البحر الصفحة

٢٤٣	سات لأمر عرا ومهم ألم المتقارب	دعوتك يا عمر المكرم
٢٤٤	قضاء فرضك عما فات من خدمي البسيط	لو استطعت ولو ملكت أمري في
٢٤٤	أخلاقك الغر يا ذا البأس والنعم البسيط	خلق تحلى به سلمان بينك من
٢٤٩	سهل فما في منه من السريع	يا منعماً مورد إحسانه

٧

الافتخار

٢٥٠	ضلالاً لما ظنوا وهل يكسد التبر الطويل	أظن العدا أن ارتحالي ضاثيري
٢٥١	لتحيا بنا الدنيا : ويفتخر العصر الطويل	أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر

الفاء

٢٥٦	فيه على ما رابني صلف السريع	يأبى احتمال الضيم لي خلق
-----	-----------------------------	--------------------------

اللام

٢٥٧	مالي أبى لي أن أعد بخيلا الكامل	جودي بموجودي على النكبات في
-----	---------------------------------	-----------------------------

٨

الحماسة

الهمزة

٢٥٨	مراراً ولكن ما الدماء سواء الطويل	قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم
-----	-----------------------------------	-----------------------------

الباء

٢٥٨	قواي عن سعي الى الحرب السريع	رجلاي والسبعون قد أوهنت
-----	------------------------------	-------------------------

الجيم

٢٥٩	ثبتت أواخي ملك كل متوج الكامل	أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم
-----	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لخمس عشرة نازلت الكهانة إلى أن شبت فيها وخير الخيل ما قرحا البسيط ٢٥٩

الذال

ولكنني ألقى الحوادث وادعا بقلب أريب بأسه يتوقد الطويل ٢٥٩
يا عجباً من وشك بين ما رغت فيه مطايانا ولا الحادي حدا الرجز ٢٦٠

السين

سل بي كهانة الوغى في كل معركة يضيق بالنفس فيها صدر ذي الباس البسيط ٢٦١

الطاء

ولكن قضت فينا الليالي يجورها وعادتها كفر الفضائل والغمط الطويل ٢٦١

الفاء

إن يحسدوا في السلم منز لتي من العز المنيف الكامل ٢٦٢

القاف

قلبي وصبري إلفان مذ خلقا تقاسما صادقين لا افترقا المنسرح ٢٦٢
قالوا ترشفت الليالي ماء واغتاله بعد التام محاق الكامل ٢٦٣

اللام

قل لابن منقذ الذي قد حاز في الفضل الكمال الكامل ٢٦٣
يا أشرف الوزراء أخلاقا وأكرمهم فعلا الكامل ٢٦٥
يجهل في الإقدام رأبي معاشر أراهم إذا فروا من الموت أجهلا الطويل ٢٦٨
قل للخطوب إليك عني إن لي في الخطب عزماً مثل حد المنصل الكامل ٢٦٩

الميم

إذا ضاق بالخطى معترك الوغى وهال الردى وقع الظبا في الحجام الطويل ٢٦٩

البحر الصفحة

٢٦٩	الوافر	بجيدي مثل أطواق الحمام	معين الدين كم لك طوق من
٢٧٠	الطويل	وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم	ألا هكذا في الله تمضي العزائم
٢٧٤	الطويل	فمن حاتم ما نال ذا الفخر حاتم	لك الفضل من دون الورى والمكارم

النون

٢٧٨	الطويل	ولا تملك العين الحسان عنائي	إليك فما تنسي شئونك شاني
-----	--------	-----------------------------	--------------------------

الهاء

٢٧٩	الخفيف	همتي أن تنال مني مناها	كم تغص الأيام منى وتأيى
-----	--------	------------------------	-------------------------

٩

الأدب

٢٨٠	المجتث	فكل دهرك خطب المجتث	لا تجزعن لخطب
٢٨٠	المقارب	ت، لما غال من نشبي وانتهب	أيحسب دهري أني جزع
٢٨١	البيسط	حتى يرى غير ما قد كان يحسه	لأصبرن لدهري صبر محتسب
٢٨١	الكامل	في غيه والفود شائب الكامل	دع ذا فما عذر الفتى
٢٨١	الخفيف	وناهني عن التصابي المشيب	كف عني واش واغضى رقيب

الحاء

٢٨٢	الكامل	شهد جنته يد الوداد الناصح	لا تنكرون مر العتاب فتحته
٢٨٢	الكامل	تظفر بحسن سكينه ونجاح	اصبر على ما تحشي أو ترتحي

الخاء

٢٨٢	البيسط	علت بهم رب الدنيا وإن شمخوا	نزعت نفسي عن من الرجال وإن
٢٨٣	الكامل	عيسى محول معرسي ومناخي	سر عن بلادهم فقد سثت بها

الدال

٢٨٣	الكامل	أحدأ يدوم على المودة	انظر بعيشك هل ترى
-----	--------	----------------------	-------------------

البحر الصفحة

٢٨٣	على فعل الخير والجلود السريع	عندي للأيام إن أقبلت
٢٨٤	وقد يندع اليقظان من هورائد الطويل	تقظ فمن يشناك يسهر ليله
٢٨٤	أظلم بها بعد المات مخلدا الطويل	سأنفق وفري في اكتساب مكارم
٢٨٥	وخبرته لم تلفه بالشاهد الكامل	لا ترغبين فيمن إذا شاهده
٢٨٥	إلى كرماء الناس أشهى من الجدا الطويل	تلق ذوى الجاحات بالبشر إنه
٢٨٥	مما تخاف ومن معاندة العدا الكامل	ارض الخمول تعش به في نجوة
٢٨٥	نواشب وملفات لحت عودي البسيط	ما كف كفني عن جودي بموجودي

الراء

٢٨٦	بما يسوء فصبرا المجتث	إن فاجأتك الليالي
٢٨٦	قن بقلب محتسب صبور الكامل	ألق الخطوب إذا طر
٢٨٦	إن الكريم على الحوادث يصبر الكامل	استرهمومك بالتجمل واصطبر
٢٨٧	و فامن كيدهم غرر الكامل	لا تأمنن كيد العد
٢٨٧	في محتدى ورع وطيب نجار الكامل	عش واحداً أو فالتمس لك صاحباً

السين

٢٨٧	وأنفقت مالا لا تجود به النفس الطويل	يقولون لي أفنيت كل ذخيرة
-----	-------------------------------------	--------------------------

الشين

٢٨٨	إياك والسلطان لا يدنيك من أبوابه متكسب ومعاش الكامل	إياك والسلطان لا يدنيك من
٢٨٨	كل مستقبل من الهـم ينسى إذا مضى الخفيف	كل مستقبل من الهـم ينسى إذا مضى الخفيف
٢٨٨	أصبحت كالنسر خاتنه قواده لا تستقل جناحاه إذا نهضا البسيط	أصبحت كالنسر خاتنه قواده

العين

٢٨٩	بعزيمة في الخطب لا تتضعع الكامل	لا تستكن للهـم واثن جماعه
-----	---------------------------------	---------------------------

الفاء

٢٨٩	لا زايلتكم حسرة وتلفه الكامل	قل للذين يسهـم ما ساءنا
-----	------------------------------	-------------------------

البحر الصفحة

اللام

٢٨٩	وتستجدي نوالا من بخيل الوافر	إلى كم ترنجي عطف الملول
٢٩٠	على شعث الخلان مستبدلا خلا الطويل	وإنني لعصاء العواذل لا أرى
٢٩٠	جد بي عنك الرحيل الرمل	أيها الربع المحيل
٢٩١	عناني أو زلت بأخصي النعل الطويل	أئن غض دهر من جماحي أو ثنى
٢٩١	لأنف ألا يدرك السؤل سائل الطويل	توالى إلى السائلون وإنني
٢٩٢	وما بأيديهم رزقي ولا أجلي البسيط	علام أخضع في الدنيا لمن رفعت
٢٩٢	دهري بما أذهب من مالي السريع	إن سر أعدائي أن عضني

الميم

٢٩٢	بها ولم أسل في حال عن الكرم البسيط	سلوت عن كل حال كنت ذا شغف
٢٩٢	وللجار ما تنفك نها مقسما الطويل	لنا هجمة للحق إن ناب والقرى

النون

٢٩٣	فالقلب أولى بالذي أجنا الرجز	لا تودعن سمع أخ شكية
-----	------------------------------	----------------------

الهاء

٢٩٣	أدعوه وأعصيه البسيط	ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي يطيعني حين
-----	---------------------	---

الياء

٢٩٣	لما رأيت صروف هـ هذا الدهر تلعب بالبرايا الكامل	
-----	---	--

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

٢٩٥	لرجونا عنه جزيل الثواب الخفيف	لو صبرنا على البلاء احتسابا
-----	-------------------------------	-----------------------------

البحر الصفحة

٢٩٥	البيسط	سواي بي ولي الأوصاب والنصب	حسبي من العيش خير العيش يدركه
٢٩٥	البيسط	يرى مكان الأعادي من ذوي النسب	بعدا لمن شره أعمى يصيب ولا
٢٩٦	المتقارب	ر وطابت وما خلقتها لي تطيب	ألفت الكجاوة بعد النفو
٢٩٦	البيسط	أيامه وهو بالإحسان مقرب	أما ترى الماجد المفضل ترفعه
٢٩٦	الكامل	ذا قد غلكتها وهذا يسلب	شاهدت غملا قد تجاذب زهرة

الجيم

٢٩٦	البيسط	تكون يأتيك لطف الله بالفرج	يا الف المسم لا تقنط فأياس ما
٢٩٧	الكامل	أجدي من المتسرع الهلج	ثقل إذا ناديتني للممة

الحاء

٢٩٧	البيسط	ما نال ذو الجهل دون الحازم المنحا	لولا الذي جرت الأقلام قبل به
-----	--------	-----------------------------------	------------------------------

الدال

٢٩٧	الكامل	وأخو المشيب يمحور ثمت يهتدي	قالوا انته الأربعون عن الصبا
٢٩٨	الكامل	فود الجنين ويهرم المولود	أصبحت في زمن يشب لجوره
٢٩٨	البيسط	بالساحبات بحار المهمة اليد	ودع أخا العزم مصرأ لا ليس وخض
٢٩٨	الوافر	وأم الغدر في الدنيا ولود	صديق لي تنكر بعد ود
٢٩٩	البيسط	دهري فعشت وحيداً ميتاً كمدا	مضت لداتي وإخواني وأفردي
٢٩٩	الخفيف	تنظر العاجز الحظوظ فيستعـلي وتعمى عن حازم محدود	

الراء

٢٩٩	البيسط	فالشمس أدنى سحاب عن يسترها	أن يستروا وجه إحساني بكفرهم
٢٩٩	البيسط	فضائي بين بدو الناس والخضر	إن كنت في مصر مجهولاً وقد شهرت
٣٠٠	الطويل	يدي ولساني عن نوال وعن أمر	كفى حزناً أن الحوادث قصرت
٣٠٠	السرير	ما ناب من مستصعب الأمر	سهل على العارف بالدهر
٣٠٠	البيسط	ئين نوراً وفيه النار تستعر	انظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للرا
٣٠١	المنسرح	تهوى فما جازع بمعدور	اصبر على ما كرهت تحظ بما
٣٠١	البيسط	أبدى المداجاة ما تخفى ضائره	إنني لأعرف من وجه العدو وإن

الزاي

اصبر تنل ما ترجيه وتفضل من جارك شأو العلا سبقا وتبريزا البسيط ٣٠١

السين

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا يأتي به الله بعد الريث والياس البسيط ٣٠٢
الضر في أيامنا هذه كالليل يغشى سائر الناس السريع ٣٠٢

الطاء

أراني أستطيل مدى حياتي وما في مفرقي للشيب وخط الوافر ٣٠٢

العين

لا تحذعن بأطماع تزخرها لك المنى بحديث المين والخذع البسيط ٣٠٣
ومما ذق رجع النداء جوابه فإذا عرا خطب فأبعد من دعى الكامل ٣٠٣

القاف

قوم يموت الناس عندهم ضراً وهم منهم على فرق السريع ٣٠٣
لنا صديق يغر الأصدقاء وما رأيته قط في ود امرئ صدقا البسيط ٣٠٤
لا تقربن باب سلطان وإن ملأت هباته غير ممنون به الطرقا البسيط ٣٠٤
استر بصبرك ما تحفيه من كمد وإن أذاب حشاك الهمة والحرق البسيط ٣٠٤

الكاف

من رزق الصبر نال بغيته ولاحظته السعود في القلك المنسرح ٣٠٤

اللام

انظر إلى صرف دهري كيف عودني بعد المشيب سوى عاداتي الأول البسيط ٣٠٥
إذا ما عرا خطب من الدهر فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل الطويل ٣٠٦
كل شيء تراه في هذه الدنيا خيال إذا انتهت يزول الخفيف ٣٠٦
إنني وثقت بأمر غرني أملي فيه وقد قيل كم من واثق خجل البسيط ٣٠٦
لا در درك من رجاء كاذب يغترنا بورود لامع آل الكامل ٣٠٧

البحر الصفحة

٣٠٧	كثفاف معوج الطلال المائل الكامل	لا تعتبن من مل ان عتابه
٣٠٧	يرضى بما غال من وفر ومن مال البسيط	لا يؤسفك ما غال الزمان فما
٣٠٨	في مدافعتي ومطلي الكامل	يا جاعل الاشغال عذرا
٣٠٨	ولا لمسيري في البلاد قفول الطويل	إلى كم أجوب الأرض ما لي معرس
٣٠٨	عناية الأيام بالجهل السريع	زهدي في العقل أنى أرى
٣٠٨	أخطائه فيه يحار العاقل الكامل	رفع الحظوظ لمن أصبن وحط من

الميم

٣٠٩	فلم يرع حرمتي وذمامي الخفيف	لي مولى صحبته مذهب العمر
٣٠٩	نازلت ضاري الأسود في الأجم المنسرح	لو كان رزق الفتى بقوته
٣٠٩	بها مكرهاً رشف الذعاف من السم الطويل	لحى الله أرضاً يرشف المرء رزقه
٣١٠	يرجى ولا تتبعه زفرة نادم الكامل	لا تأسفن للذهب أو فائت
٣١٠	أتعبتني بعد الكرام الكامل	قل للرجاء إليك قد
٣١٠	والحامل همي الكامل	يا أخي الشاكي لما أشكوه
٣١١	ضجراً على سر الفؤاد الكاتم الكامل	لا تطلعن لسان شكوى بائع

النون

٣١١	أو تلقاك بالخاوف حيناً الخفيف	اصطبر للزمان إن حاف حيناً
٣١١	أبدى لك اليأس المبينا الكامل	من مل فاهجره فقد
٣١٢	وبعد ما تاب عما راب مذ حين البسيط	يا شارب الخمر بعد النسك والدين
٣١٢	تعلم الكرماء البخل يا زمن البسيط	كم تقصد الماجدين الفاضلين وكم

الهاء

٣١٢	جو والمخنى إلا الله الكامل	لا تخضعن رغبا ولا رهبا فما المر
٣١٣	مل من رفعة ومال وجاه الخفيف	نلت في مصر كل ما يرتجى الا

١١

الكبر والمشيب

الباء

٣١٤	وما كل برق لاح يؤذن بالخصب الطويل	وشائمة برقاً بفودي راعها
-----	-----------------------------------	--------------------------

البحر الصفحة

- أما ترى الشيب قد رداك بعد دجى
لو كان صد مغاضبا ومعاتبا
فوديك واهما لذاك الليل بالعصب البسيط ٣١٤
أعتبته ووضعت خدي ثابيا الكامل ٣١٥

التاء

- صحبا وللجهل أوقات وميفات
ما لي رأيت الثلج عمم شبيه
وللغوايات والأهواء غايات البسيط ٣١٥
قلل الربا فزهت بحسن نباتها الكامل ٣١٦

الجيم

- دع ما نهى الشيب والسبعون عنه فتر
باك الصبا والشباب الغض قد درجا البسيط ٣١٦

الدال

- أرى شعيرات يتبذن كأنها
إذا ما جلا الليل النهار بنوره
على الماء صدع في الزجاجاة باد الطويل ٣١٧
تعقبه ليل أحمر ركود الطويل ٣١٧
أسفا وقالت أين ذاك الاسود الكامل ٣١٧
نظرت بياض مفارقي فاسترجعت

الراء

- يقولون جار عليك المشيب
تصائم عن لوم العذول كأنما
ومن ذا يجير إذا الشيب جارا المتقارب ٣١٨
رمى الوجد يوم البين سمعي بالوفر الطويل ٣١٨
إذ عاد حاله كالثلج مشورا البسيط ٣١٩
فعاد كالثوس يمشي والعصا الوتر البسيط ٣١٩
له حين يمشي وهي تقدمه وتر الطويل ٣١٩
إذا عاد ظهر المرء كالثوس والعصا

القاف

- لدتي وإخوان الشباب مضوا
ثلج النبات فراق لون مشبيه
قبلي وكم من بعدهم أنبى السريع ٣٢٠
فعلام لون الشيب ليس يروق الكامل ٣٢٠

اللام

- لم تترك السبعون في إقبالها
مني سوى ما لا عليه معول الكامل ٣٢٠

البحر الصفحة

٣٢١	فإلام توضع في الطريق المجهل الكامل	وضح الصباح لناظر المتأمل
٣٢١	لصبغ حال أم تغيير حال الوافر	نضا صبغ الشباب فلست أدري
٣٢٢	ورابني عثارها في السهل الرجز	إن ضعفت عن حمل ثقلي رجلي

الميم

٣٢٢	ماذا فقلت تريكة الأيام الكامل	قالت وأحزنها بياض مفارقي
٣٢٢	فكأنهم وكأنه أحلام الكامل	انظر إلى لعب الزمان بأهله
٣٢٣	ن الدين والأنباء تنمي الكامل	من مبلغ عني فلا
٣٢٣	من الدنيا فتغشاني المهموم الوافر	أفكر في فرية ما تلاقي

النون

٣٢٤	وساور الضعف بعد الأيد أركاني البسيط	لما تخطتني السبعون معرضة
٣٢٤	ونبت بي حين حاولت الحزونا الرمل	حملت ثقلي في السهل العصا
٣٢٤	ون لما ان علت سني السريع	نكست في الخلق وحطتني السبع

الهاء

٣٢٥	ثم قالت ما الذي بعدي عراه الرمل	نظرت مبيض فودي فبكت
٣٢٥	فتحملته تحمل المتكاه الكامل	حملت ثقلي بعد ما شبت العصا

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

٣٢٦	تضيع وقتي في هو وفي لعب البسيط	يا رب حسن رجائي فيك حسن لي
-----	--------------------------------	----------------------------

التاء

٣٢٦	له أفيقوا فللنوام هبات البسيط	يا غافلين عن الأمر الذي خلقوا
-----	-------------------------------	-------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لا ترتج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البسيط ٣٢٧

الدال

مذ بصرتني تجاريبي ونهني خبري بدھري فقدت العيشة الرغدا البسيط ٣٢٨
عجزت عن الدنيا فما لي من يد بها ولا الأيد المساعد واليد الطويل ٣٢٨
نزلنا به حتى إذا يومنا انتضى رحلنا على العيس التجائب والجرد الطويل ٣٢٨
أما رأوا تقلب الدنيا بنا وفتكها بمن اليها اخلدا الرجز ٣٢٩
مثوبة الفاقد عن فقدته بصره انتفع من وجده السريع ٣٢٩
تبارك اسمك كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعي الصمد البسيط ٣٢٩

الراء

احذر من الدنيا ولا تغتر بالعمر القصير الكامل ٣٣١
لا تغتبط بسرور ديني ما يدوم بها سرور الكامل ٣٣١
أرى العين تستحلي الكرى وأمامها كرى ليس تنضيه الى داعي الخشر الكامل ٣٣١
دياري ناشرة فإن فارقتها طوعاً وإلا فارقتني كارها الكامل ٣٣٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضلاً لا يقوم به شكري الطويل ٣٣٢
أيها الظالم مهلا أنت بالحاكم غر الرمل ٣٣٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض ومخبط البسيط ٣٣٣
ما زلت في غبطة عيش عالماً أن سيزول بالهموم ما غبط الرجز ٣٣٤

العين

من مبلغ المعتر والقانع وأين السبيل النازح النازع السريع ٣٣٤
أيها الغافل كم هذا المجوع أعلن الداعي فهل أنت سميع الرمل ٣٣٦

القاف

أيها الغافلون عن سكرة المو ت وإذ لا يسوغ في الخلق ريق الخفيف ٣٣٧

البحر الصفحة

الكاف

سلوت عن صبوات كنت ذا شغف بها وملت إلى الإخبات والنسك البسيط ٣٣٨

اللام

أرى الموت يستقري النفوس ولا أرى سوى مانع ما في يديه بخيل الطويل ٣٣٨

الميم

إذا ما عرامالا أطيع دفاعه وأرمضني الفكر المسهد والهيم الطويل ٣٣٩
فليس بعد الموت دار سوى جنة عدن أو لظاً تضرم السريع ٣٣٩
ثمنا عن الموت والمعاد فأصبح لنا نظن اليقين أحلاما الخفيف ٣٤٠
فوض الأمر راضيا جف بالكائن القلم الخفيف ٣٤٠
أو بقت نفسك يا ظلوم بما احتقبت من المظالم الكامل ٣٤٠
ماذا الوقوف على دار بذي سلم عجماء أو قد عراها عارض البكم البسيط ٣٤١

النون

لا تغبطن أهل بيت سرهم زمن فسوف يطرقهم بالهم والحزن البسيط ٣٤١
أيها المغرور مهلا بلغ العمر مداه الرمل ٣٤٢
أف للنديا فما أوبا جناها ليس يخلو من رآها من أذاها الرمل ٣٤٢

١٣

المراثي

الباء

قد كنت أسمع لكن خلته مثلا أن الليالي يصدن الصقر بالحرب البسيط ٣٤٤
ويح الغريبة والسديار ديارها لم تزحل عنها ولم تغرب الكامل ٣٤٤
لهف نفسي لهلال طالع ما استوى في أفقه حتى غرب الرمل ٣٤٥
يا نفس أين جميل ص برك حين تطرقت الخطوب الكامل ٣٤٥

البحر الصفحة

هلف نفسي على ديار من السـ كان أقنوت فليس فيها عريب الخفيف ٣٤٦

التاء

يا دهر، كم هذا التفر ق والتغرب والشتات الكامل ٣٤٦

الراء

إلى الله أشكو روعتي ورزيتي وحرقة أحشائي لفقد أبي بكر الطويل ٣٤٧
أعاتب فيك الدهر لو أعتب الدهر وأستجد الصبر الجميل ولا صبر الطويل ٣٤٧
أزور قبرك مشتاقاً فيحجن ما هيل فوقك من ترب وأحجار البسيط ٣٥٠

الزاي

تخرمت الأيام أهل مودتي فنفي عن أنس المسرات ناشئ الطويل ٣٥٠

العين

صبري على فقد إخواني وفقرتهم غدر وأجمل بي من صبري الجزع البسيط ٣٥١
وقفت على رسم ببيداء بلقع خلي من النادي صموت إذا دعى الطويل ٣٥١

الفاء

أزور قبرك والأشجان تمنني أن أهتدي لطريق حين أنصرف البسيط ٣٥١

الكاف

أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما أشكو زماناً لم يدع لي مشتكى الكامل ٣٥٢
وسع صبري عن عتيق الاسى من بعد ما ضاق بي المسلك السريع ٣٥٢

اللام

كيف أنساك يا أبا بكر أم كيف اصطباري ما عنك صبري جميل الخفيف ٣٥٣
أحدث عنك بالسليوان نفسي وهل تسلو مولفة ثكول الوافر ٣٥٣

البحر الصفحة

٣٥٤	الطويل	بفقد أبي بكر حياتي ولا يسلي	لعمرك ما ينسيني الدهر روعتي
٣٥٤	الكامل	ساري الغمام بكل هام هامل	حيا ربوعك من ربي ومنازل

النون

٣٥٦	البيسط	فليبك أصدقنا بنا وأشجانا	هائم الأيك هيجتن أشجانا
٣٥٩	البيسط	أقله فقد أترابي وخلاني	حسبي من العيش كم لافيت فيه أذى
٣٦٠		عن لوعتي وعن جوى أحزاني	ناحت فباحث في فروع البان

المسمطات

٣٦١	الطويل	كعهذك بانات الحمى فوق كثبها
٣٦٤	الطويل	أيا لائمي في وقفة التلود
٣٦٦	الطويل	أسائقها للبين وهي عجول
٣٧١	البيسط	توهم ما أراني الدهر أم حلم

(٢)

فهرس الاعلام

(س)

ابن سبراي ٥٨ .
السموئل ١٩٧ .

(أ)

أحمد بن علي بن الزبير (القاضي الرشيد)
٤٢١/١٢١

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أخي
١٥٩/١٧١/١٨٧/١٩٩ .
شوق (جارية) ٢٠٦ .

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٣٥٣/٣٥٢/٣٥١/٣٤٧/٣٤٥ .
بهاء الدولة بن منقذ أخو أسامة
١٦٥/١٦٧/١٧٠/١٧٣ .

(ص)

أبو صالح بن المهذب ٢٠٦ .

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن منقذ (ابن عم أسامة) ١٩٨ .

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز .

(ح)

حاتم (قائد) ٢٧١ .

حيدرة بن نجم الكاتب ٢٣٩ .

(ز)

زيد بن محمد نقيب الطالبين ١٨٥/١٨٩/١٩٣

(ض)

ضياء الدين = زيد بن محمد

(ط)

طمان ١٩٧ .

(ع)

الأفضل عباس ١١٦/١٩٩/٢٢٨ .

عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ١٣٢ .

عتيق ٢١٠ .

عز الدولة أخي أسامة ١٥٩/١٦١/١٦٧

١٦٨/١٨١/١٨٨/١٨٠/٣٤٤/٣٤٤ .

(ف)

فخر الملك بن طليب (أمير) ٢٠٧ .

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٧٣ .

القاضي الرشيد = أحمد بن علي .

القيسان (ابن الملوح وابن ذريح) ١٣٩ .

قيس بن ذريح ٣٦١ .

(م)

محد الدين (أمير) ٢٥١ .

مجنون ليل ٣٦٤ .

المحسن بن الحسين بن أبي المضاء

١٦٢/١٧٤/١٨٧ .

مرهف بن أسامة ١٧٤ .

معين الدولة أنر ٢٢٠ .

الملك الصالح ٥٧/٨٨/١٢٧/١٢٨/١٣٥

١٦١/١٦٢/١٨٦/١٩٠/١٩٣/٢٠٣/٢١٢

٢٢٢/٢٢٤/٢٢٨/٢٤٧/٢٤٧/٢٥١/٢٦٣

٢٦٧/٢٧٠/٢٨١/٣٤٦ .

(ن)

نظام الدين (الوزير) = المحسن بن الحسين .

الفهرس

٥ مقدمة
٤١ ديوان أسامة
٤٧ مقدّمة صاحب الديوان
٥١ باب الغزل
١٠٤ ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق
١٥٩ ما قاله في المكاتبات ، وما ينخرط في سلوكها من المعاتبات
٢٠٣ باب الأوصاف
٢١٢ باب المديح
٢٥٠ ما قاله مفتخراً ، وتمدّح به متأثراً
٢٨٠ باب الأدب
٢٩٥ في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال
٣١٤ في الكبر والمشيب ، وخلع رداء الشباب القشيب
٣٢٦ في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار
٣٤٤ باب المراثي
٣٦١ سمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة
٣٨٣ فهرس القوافي
٤١٤ فهرس الاعلام
٤١٦ الفهرس